كتاب

اوضح البرهان

في

تفسير ام القرآن

تاليف

العبد الضعيف الغريب الفقير الى الطاف مولاه القدير

ابى عبد الكريم محمد سلطان ابن ابى عبد الله محمد اورون

المعصومي الخجندى المكى المدرس فى المسجد الحرام

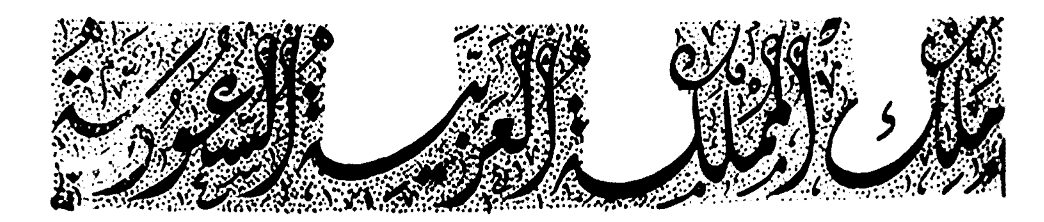
ومدرسة دار الحديث المكية غفر الله تعالى

ذنوبه وستر عيوبه برحمته آمين

طبع على نفقة

(ناصر السنة ومحيي آثار السلف الصالح حضرة صاحب الجلالة)

عبد العزيز العبد الرحمن الفيصل آل سعود



(الطبعة الاولى سنة ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م)

مطبعة أم القرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل الكتاب الذى لا ريب فيه هدى للمتقين وهو الله الاحد والمعبود الحق الذى نزل على عبده سيدنا محمد الكتاب الحق الواضح المبين وهو الله الذى انزل على محمد القرآن ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم والى الصراط المستقيم المبين ولا ريب ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين وتبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون بشيراً ونذيراً للعالمين وهذا القرآن هو الكتاب المبين هدى وبشرى للمؤمنين وهذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين وهذا الكتاب المبارك الذى انزله الله تعالى ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب وأرباب اليقين وهذا تنزيل من الرحمن الرحيم الذى فصلت آياته تبيانا لكل شيء حق التبيين ولا شك ان هذا الكتاب هو الهدى لجميع العالمين أفلا تتدبرون القرآن وتعملون به أم على قلوبكم الأقفال والاغلال يا أيها العاقلون وقد يسر الله تعالى هذا القرآن للذكر والتذكر والتدبر فهل من مدكر من المؤمنين الصادقين وهذا القرآن الكريم الذى لا يمسه الا المطهرون ولا يهتدى به الا المتقون من شرك المشركين وكفر الكافرين وعناد المعاندين وهذا القرآن هو الميزان الذى يقوم به الناس عدلا الى يوم الدين وهذا القرآن يحق أن يقول الانس والجن أنا سمعنا قرآنا عجباً يهدى الى الرشد فآمنا به ولا نشرك بربنا أحداً من العالمين .

ولا شك ان أم هذا الكتاب انما هى سورة الفاتحة التى هى السبع المثانى من القرآن المبين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى انزل الله تعالى هذا الكتاب اليه بواسطة الروح الامين بعد ان أرسله الله تعالى رحمة للعالمين وبشيراً للمؤمنين ونذيراً للكافرين فما نطق عن هواه بل عن وحى رب العالمين فرغبنا فى قراءة الكتاب وتدبر معانيه وتفكر قصصه وعبره وخص فاتحة الكتاب بخصائص ينالها من طلبها من أصحاب اليقين وفيها التهذيب عن ادراك الشرك والتنقية عن أوساخ الجاهلية والتحذير عما ارتكبه المغضوب عليهم والضالون وفيها بيان وظائف العبودية وحق العبد والمعبود والمعاملة بين الخالق والمخلوق وبيان طريق السعادة فى الدنيا والدين وهى أم القرآن وأس أساس الايمان وأصل أصول الاسلام فلهذا قرر الرسول الكريم بامر رب العالمين قرائتها فى كل ركعة من الصلوات التى هى معراج المؤمنين ، وحكم بانه لا تصح الصلوة بدونها على اليقين

وأفاد ﷺ أيضاً انها شفاء من كل داء ؛ يعنى من داء الشرك والكفر والضلال ووساوس الشياطين ، ثم الصلاة والسلام على سائر الانبياء والمرسلين وعلى الصحابة والتابعين الذين اقتفوا آثار الرسول وعملوا بسنته وأحيوا ملته فى كل وقت وحين وعلى تابعيهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد فيقول العبد الضعيف المهاجر وفى حرم الله المجاور ابو

عبد الكريم محمد سلطان بن أبي عبدالله محمد اورون المعصومي الخجندى أصلح الله تعالى حاله ووفقه لما يحبه ويرضاه ورحم والديه ، ان القرآن الشريف هو هداية الله العظمى لعباده قد صلح باتباعه الاسلاف الاولون فرفعوا لواء الاسلام وشيدوا أركانه فنالوا رضى الرحمان ولكن ضيعه الاخلاف المتأخرون فصاروا ضحكة فى العالم وأسارى تحت سيطرة أهل العمران واستحق اكثرهم غضب الرحمن

ونحن نحمد الله ونشكره ان بدأ الآن اثر من آثار فضله تعالى انشاء بعض المسلمين يشعرون فى هذه الايام بانهم مافقدوا مجد أسلافهم الصالحين وتلك السعادة والدولة التى كانت لآبائهم الاولين الا لانهم لم يهتدوا بهديهم ولم يسلكوا في مسلكهم ولم يأخذوه بقوة كاخذهم والحال ان الحق ماقاله الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى « لا يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها » والامة المحمدية فى حاجة شديدة الى فهم القرآن من حيث كونه هادياً الى السعادة ومرشداً الى الكمال فى الدارين وبالخصوص فاتحة الكتاب لان هذه السورة هى التى لا يجهلها مسلم فى العالم لانها من فرائض الصلوة وأركانها وقد أجمل الله تعالى فيها ما فصل فى الكتاب تفصيلا ولا ريب ان فهم القرآن انما يحصل بالتعقل والتدبر وهو حجة قائمة الى يوم القيامة ويجب على كل مسلم أن يكون له نصيب من فهمه . ولكن اكثرهم غافلون يديرونه كالقدح و يتغنون به غناء صندوق غر مامون والراديون فلهذا ترى الجاهلية اليوم بين

الناس أعرق وأعم من الجاهلية الاولى .

فلما كان الامر كذلك تشبثت بفضل الله واعتمدت على عون الله قائلا لاحول ولاقوة الا بالله فشرعت فى قيد ما التقطته من الاحاديث والآثار وتفسير السلف الصالحين الاخيار فيما يتعلق بفاتحة الكتاب أسأل الله تعالى أن يوفقنى لاتمامه بعد تسهيل سبيله ومرامه وأن ينفع به العباد فى عامة البلاد ونويت ان أسمى ماقصدت جمعه :

(أوضح البرهان فى تفسير أم القرآن)

فيا رب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم من الانبياء والمرسلين والعارفين والصالحين آمين يامجيب السائلين ويا رب العالمين وياخير الناصرين ويا ارحم الراحمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه وتابعيه باحسان الى يوم الدين

مقدمة

فى لزوم فهم معانى القرآن

أعلم أن الله تعالى أمرنا بالتفهم والتعقل لكلامه لانه انما أنزله نوراً وهدىً ومبيناً للناس شرائعه وأحكامه ولا يحصل ذلك الا إذا كانوا يفهمون ويتفهمون ويُفهمون ، ومقصدنا هنا بيان أن القرآن يرشد الناس الى ما فيه سعادتهم فى حياتهم الدنيا الحاضرة وحياتهم الآخرة الأبدية ، وهذا هو المقصد الاعلى منه ، ولا شك أن سلطان القرآن على نفوس الذين يفهمونه وتأثيره فى قلوب الذين يتلونه حق تلاوته لا يساهمه فيه كلام ، وقد قال أئمة الدين . ان القرآن سيبقى حجة على كل فرد من افراد البشر الى يوم الدين . لحديث « والقرآن حجة لك أو عليك » رواه مسلم فى صحيحه وذكره النووى فى أربعينه ولا يعقل هذا إلا بفهمه . والاصابة من حكمته وحكمه ، وقد خاطب الله تعالى جميع الناس بقوله عز وجل ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ فبعد هذا هل يعقل أنه يرضى منا بان لا نفهم قوله هذا ، فعلى هذا يجب على كل واحد من الناس أن يفهم آيات الكتاب بقدر طاقته لافرق بين عالم وجاهل ، لانه أنزله لهدايتنا وهو يعلم منا كل أنواع الضعف الذى نحن عليه ولأنه يقول تعالى ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ فعلينا أن نتدبر القرآن فنفهمه لأنه يفسر بعضه بعضاً ، وانه يرشدنا بعد الفهم الى الاعتقاد والعمل بموجبه مع بيان حكمة التشريع فى العقائد والاخلاق والاحكام لأنه هدى ورحمة وتبيان لكل شىء .

ولا يخفاك أن الله تعالى لا يسألنا يوم القيامة عن أقوال الناس وما فهموه ، وانما يسألنا عن كتابه الذى أنزله لارشادنا وهدايتنا . وعن سنة نبينا محمد الذى بين انا ما نزل الينا ﴿وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون﴾ سورة النحل ، فيسألنا هل بلغتكم الرسالة ؛ وهل تدبرتم ما بلغتم ، هل عقلتم ما به أمرتم ؛ وما عنه نهيتم ، وهل عملتم بارشاد القرآن . واهتديتم بهدي النبي ﷺ واتبعتم سنته ، عجباً لنا ننتظر هذا السؤال ونحن فى هذا الاعراض عن القرآن وهديه فيا للغفلة والغرور ، ونعرف أن القرآن كلام الله تعالى ومع ذلك لا نعقل معناه ، ولا نعرف من تعظيم القرآن والعمل به إلا أن آية كذا شفاء لكذا ، واذا كتبت ومحيت بماء وشربه صاحب مرض كذا يشفى وان من حمل القرآن لا يقربه جن ولا شيطان ، ويبارك له فى كذا وكذا ، وغير ذلك مما هو معروف للعامة وإلا الحركة والهزة المخصوصة والكلمات المعلومة التى تصدر ممن يسمعون القرآن اذا كان القارىء رخيم الصوت حسن الاداء عارفاً بالتطريب على أصول النغم ، ولهذا يمكن لنا أن نقول أن الجاهلية اليوم أشد من الجاهلية الاولى .

وقد رأيت فى كتاب جواهر الادب أنه روى عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى أنه كان يقول « اللهم ارزقنى التفكر والتدبر لما يتلوه لسانى من كتابك والفهم له والمعرفة بمعانيه والنظر فى عجائبه والعمل بذلك ما بقيت انك على كل شىء قدير » . وكذا رواه .

قال الحافظ ابن الجوزى فى كتابه : (تلبيس ابليس) ومن تلبيس ابليس على القراء أنه شغلهم بتحسين القراءة والاشتغال بالشاذ طول عمرهم حتى شغلهم ذلك عن معرفة الفرائض والواجبات ؛ ولو تفكر هؤلاء لعلموا أن المراد حفظ القرآن وتقويم الفاظه ثم فهمه ثم العمل به ثم الاقبال على ما يصلح النفس ويطهر اخلاقها ، ثم التشاغل بالمهم من علوم الشرع ، قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى : أنزل القرآن ليعمل به فاتخذ الناس تلاوته عملا يعنى أنهم اقتصروا على التلاوة وتركوا العمل به . الخ .

قال العلامة الحافظ ابن كثير فى تفسيره الشهير «وقال الرسول يارب أن قومى اتخذوا هذا القرآن مهجوراً » . فمن هجرانه ترك الايمان به ، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه ، وترك العمل به وترك امتثال أمره وترك اجتناب زواجره من هجرانه ، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه ، فنسأل الله المنان الكريم القادر على ما يشاء أن يخلصنا مما يسخطه ، ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقتضاه آناء الليل واطراف النهار على الوجه الذى يحبه ويرضاه انه كريم وهاب .

وفيه أيضاً . واعلم أن الله تعالى ندبنا الى فهمه فقال تعال ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً * وكتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب * أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها ﴾ والصحابة رضى الله عنهم كانوا يقرؤن ويفهمون فيعملون لأن العمل بلا فهم متعذر .

وقال الامام محيي السنة البغوي في تفسيره : ان النـاس كما أنهم متعبدون باتباع أحكام القرآن وحفظ حدوده ، فهم متعبدون بتلاوته وحفظ حروفه على سنن خط المصحف ، أعني الامام الذي انفقت عليه الصحابة رضي الله تعالى عنهم ، ثم روى بسنده عن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه رضي الله عنهما عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال « من قرأ القرآن فاحكمه وعمل بما فيه ألبس والداه يوم القيامة تاجا ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيت من بيوت الدنيا لو كانت فيه فما ظنكم بالذي عمل به » وكذا رواه عبد العظيم المنذري في الترغيب والترهيب. ثم قال رواه أبو داود والحاكم وقال صحيح الاسناد ، قلت يعني اذا كان والداه مسلمين ، ولا بد من هذا القيد لان الكافر لا يتأهل ذلك البتة. والله أعلم .

وفيه أيضا بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال « ان القرآن انزل على سبعة أحرف لكل آية منها ظهر و بطن » الحديث واختلفوا في تأويله . فقيل الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله ، وقيل الظهر ماحدث عن أقوام انهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر و باطنه عظة وتحذير أن يفعل أحد مثل مافعلوا فيحل بهم ماحل بهم ، وقيل معنى الظهر التلاوة والبطن التفهم . والحق ان لكل آية ظاهر وهو أن تقرأها كما أنزلت قال الله تعالى ﴿ ورتل القرآن ترتيلا ﴾ وباطن وهو التدبر والتفكر قال الله تعالى

﴿ كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته ﴾ وقد يفتح الله على المتدبر والمتفكر فى التأويل والمعانى مالا يفتح على غيره ، وفوق كل ذى علم عليم .

وفى الخازن والقرآن نور أنزله الله ليهدى به من الضلالة ؛ و ينقذ به من الجهالة ، وحكم بالفوز والفلاح لمن اتبعه وبالخسران لمن أعرض عنه بعد ماسمعه ، أمر فيه وزجر ، وبشر وأنذر ، وذكر المواعظ ليتذكر ، وضرب فيه الامثال ليتدبر ، وقص فيه من اخبار الماضين ليعتبر ، ودل فيه على آيات التوحيد ليتفكر، ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده ، ولا باقامة كلماته دون العمل بمحكماته ؛ ولا بتلاوته دون تدبر آياته فى قرآئته ولا بدراسته دون تعلم حقائقه وتفهم دقائقه

وذكر ابن كثير فى تفسيره أيضا ﴿ والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ﴾ قال مجاهد رحمه الله لم يسمعوا ولم يبصروا ولم يفقهوا شيئا ، وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى كم من رجل يقرؤها ويخر عليها اصم اعمى قال الشعبي رحمه الله تعالى ولا ينبغى للمؤمن أن يكون إمعة بل يكون على بصيرة من أمره ويقين واضح بين وقال البغوى فى تفسير الآية بل يسمعون مايذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيتبعونه .

وقوله تعالى ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ يعنى وقتها الاول وأما عن أدائها باركانها وآدابها وشروطها على الوجه

المأمور به ، وأما عن الخشوع والتدبر لمعانيها ، فاللفظ يشمل ذلك كله ، ولكل من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية .

وفى مجموعة التوحيد النجدية ، لا إله الا الله ، هى كلمة الاخلاص المنافية للشرك ، وكلمة التقوى التى تقى قائلها من الشرك بالله ولكن لاتنفع قائلها الا بشروط سبعة الاول العلم بمعناها نفيا واثباتا ، والثانى اليقين وهو كمال العلم بها المنافى للشرك ، الثالث الاخلاص المنافى للشرك الخ .

قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومى وفقه الله تعالى لما فيه رضاه ، وقد تبين مما ذكرناه أن فهم المعانى والتفهم لها واجب ؛ لانه لايصح العمل إلا بعد العلم ، والعلم لايحصل الابالفهم والتفهم ، والقرآن وان كانت تلاوته عبادة مطلوبة يتعبد بها ، ولكن المقصد الاصلى منه الفهم والعمل ، فمن يتلوه ولا يفهم معناه ولا يعمل به فهو كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، أو كمثل العرض بلا ذات ، أو كمثل اللون بلا طعم ولا رائحة طيبة ، أو كمثل بندقية أومدفع بلا سهم ولارصاص وها أنا ذاكر مثالين يشرحان المطلب .

ملك كبير له ممالك واسعة ، ونواب وامراء عديدة ، فكتب اليهم كتابا وأمر فيه بان يفعلوا كذا وكذا ، ويبنوا المدارس والبنايات الفلانية ، وينظموا العساكر والجنود على نظام كذا ، ويبنوا دارأيتام كذا ، ويربوا الايتام فيها تربية كذا ، ويعاملوا مع الداعرين والمفسدين

معاملة كذا ، فيعمروا البلاد و يؤمنوا الرعية والعباد ، وكذا وكذا .

فلما وصل الكتاب اليهم أخذوه بالتعظيم وقاموا إجلالا له فوضعوه على رؤسهم وقبلوه وقرؤه ، ثم علقوه فوق رؤسهم ، أو فى أعناقهم وصدورهم ، وكلما أصبحوا فعلوا هكذا وهكذا كل يوم ، ولكنهم لم يعملوا بما فيه الا البعض اليسير . فبعد مدة فتش الملك عن ذلك وبعث مفتشين ، فاذا لم يفعلوا مما أمروا فى الفرمان الا النزر اليسير ، فسألهم أما وصل اليكم الفرمان الملكى ، فقالوا نعم وصل ، فقالوا لم ما امتثلتم الامر ولم تفعلوا ما أمرتم به ، فأجابوا بانهم قرأوه وعظموه ورفعوه فوق رؤسهم واستبركوا به حتى قبلوه ووضعوه على عيونهم كما كان يفعل من قبلهم ممن شاكلهم ، فعاد المفتش وقال لم يكن مقصود الملك من ذلك قرائته فقط وتعظيمه صورة ، بل مقصوده العمل بما فيه وأنتم تركتم العمل ، فاجابوهم بانهم لم يفهموا معناه ، أو ظنوا انه حكاية عما مضى ، فبذلك خالفوا أمر مولاهم ، وصاروا سببا لهلاك الرعية وخراب المملكة ، فهل لا يستحق هؤلاء الامراء غضب الملك ، والا يستحقون العزل والطرد ، وهذا لا يشك فيه عاقل ، ولا يتوقف فى حكمه البصير ، انهم يستحقون الغضب والعزل والطرد . فكذلك نحن المسلمين منذ أزمنة بعيدة تركنا التدبر فى القرآن والعمل بمقتضاه ، لانه قد استولى على الحكم السفهاء ، وتصدى للفتوى الجهلاء ، وتصدر للتدريس الحمقاء ، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا أهوائهم ،

وقد أمرنا القرآن بالاتفاق والاتحاد ونحن متخالفون ومتخاذلون ، وأمرنا بالاستبصار والاعتبار ونحن نائمون ولاهون آناء الليل وأطراف النهار ، وأمرنا بالاستصناع واعداد العدة والآلات ونحن تاركون ذلك مضيعاً أوقاتنا بالخرافات ، وأمرنا بالصدق والامانة وأما نحن فمنغمسون فى ردغة الكذب والخيانة ، وأمر بالعدل والانصاف ونحن منهمكون فى الظلم والاعتساف ، وأمرنا بالعفة والصيانة ونحن متلبسون بالزنا والفاحشة واللواطة ، وهكذا غيرنا فغير الله تعالى علينا فاعتبروا يا أولى الابصار .

المثال الثانى صندوق ماكينة غرامافون وراديون فانهم حبسوا الاصوات فيه فيغنى ويقرأ ويؤذن ويسبح ويهلل ويتلوا القرآن بالحون القراء المصريين ، وكذا طير الببغاء والطوطى اذا يعلمونه القرآن فيتلوه فهل يحصل لهذا الصندوق ثواب لتلاوته القرآن أو تسبيحه وتهليله ؟ ولا شك أنه لا يحصل له شيء من الثواب ، ولما ذا مع أنه تلا القرآن وسبح وهلل لانه لا شعور له ولا علم ولا فهم ولا يتأثر منه ، فان كان هكذا فما الفرق بينه وبين تلاوة كثير منا ؟ فانا لا نفهم معناه ولا نتدبر ما فيه ولا نتعظ بمواعظه ، فاذاً نحن والجماد سواء ، بل نحن أسوء حالا منه فانا عاقلون مكلفون وبفهمه والعمل بما فيه مأمورون ، ولهذا قال النبي ﷺ « رب تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه » وكذا ورد « القرآن حجة لك أو عليك » أى اذا قرأت وفهمت وعملت فلك والا فعليك ،

أى اذا قرأت ولكن ما فهمت أو فهمت ولكن ما عملت[١] والله سبحانه الهادى الى سبيل الرشاد ، اللهم ازقنا تلاوته ، وسهل لنا فهم معانيه ، ووفقنا للعمل بمقتضاه ، فاجعله اللهم حجة لنا واحفظنا أن يكون حجة علينا آمين يا رب العالمين .

فصـــل

هل تنفع العبادات الظاهرة بلا تصحيح الاعتقاد والقلب

اعلم ان أول الضروريات الواجبة على المكلف انما هو تصحيح العقيدة على وفق عقيدة أهل السنة والجماعة من السلف الصالحين ، فان النجاة الأخروية مربوطة به ، وهم هم الفرقة الناجية ، لانهم على طريق النبي ﷺ وأصحابه رضى الله تعالى عنهم ، والمعتبر من العلوم المستفادة من الكتاب والسنة انما هو ما أخذه منهما هؤلاء الاكابر ، فان كل مبتدع وضال يدعى أنه أخذ عقيدته الفاسدة منهما بزعمه الفاسد ، ثم بعد تصحيح العقيدة لا بد من تعلم علم الحلال والحرام والفرض والمندوب والمكروه وغيرها مما تكفل به علم الفقه ، والعمل بمقتضى هذا أيضاً ضرورى ، فان وقع عياذاً بالله تعالى خلل على مسئلة من المسائل الاعتقادية الضرورية فقد تحقق الحرمان من النجاة الأخروية ، بخلاف العمليات فانها اذا وقعت

---

(١) ومما يناسب هذا المقام ما في الحلية لابى نعيم عن كعب الاحبار رحمه الله قال ليقرأن القرآن رجال وانهم أحسن صوتاً من عزافات وحداة الابل لا ينظر الله اليهم يوم القيامة وليصبغن أقوام بالسواد لا ينظر الله اليهم يوم القيامة انتهى ص $\frac{٣٧٧}{٥}$ منه عفي عنه .

المساءلة فيها يرجى العفو والتجاوز عنها ولو بلا توبة ، وان أخذ بها ولكن النجاة متحققة فى آخر الامر ، فعمدة الأمر تصحيح العقيدة وقد نقل عن الخوارجة عبيد الله الاحرار السمرقندى رحمه الله تعالى أنه قال : لو أعطينا الاحوال والمواجيد كلها ولم تكن حقيقتنا محلاة ومتزينة بعقائد أهل السنة والجماعة لا نعتقد تلك الاحوال شيئا غير الخذلان ولئن اجتمع فينا القصور والنقصان الظاهرية وحقيقتنا مستقيمة على عقائد أهل السنة والجماعة لا نرى بأساً فى ذلك فثبت أن الاعتقاد مقدم على العمل ، كما أن العلم مقدم عليه لقوله تعالى ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ كما حققه الشيخ احمد السرهندى فى المكتوب (١٦٠ — ٠٦٤) من مكتوباته.

قال الجامع المعصومى والاصل فى هذه المسئلة ما رواه الشيخان فى الصحيحين وأبو داود فى سننه واللفظ له بسنده عن على رضى الله عنه أنه قال انى سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج قوم من أمتى يقرؤن القرآن ليست قرائتكم الى قرائتهم شيئاً ولا صلاتكم الى صلاتهم شيئاً ، ولا صيامكم إلى صيامهم شيئا ، يقرؤن القرآن يحسبون انه لهم وهو عليهم ، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية » وفى سنن ابن ماجه بسنده عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال قال رسول الله ﷺ « أن قوما يتعبدون يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصومه مع صومهم » الحديث وفيه دليل على أن كثرة الصلاة والصيام والقربات لا تنفع مع العقيدة الفاسدة ، كذا حرره المحدث الفقيه

شاه عبد الغنى الدهلوى رحمه الله تعالى .

وذكر الشيخ احمد السرهندى فى المكتوب (٣٩ — و — ٥٣) من مكتوباته اعلم أن مدار الامر على القاب ، فان كان القلب متعلقا ومفتونا بغير الله تعالى فذلك القلب خراب وأبتر ، ولا يحصل شىء من مجرد الاعمال الصورية والعبادات الرسومية ، بل لا بد من كل من سلامة القلب والاعمال الصالحة المتعلقة بالبدن التى أمر الشرع بفعلها ودعوى سلامة القلب بدون اثبات الاعمال الصالحة باطلة ، كما أن وجود الروح بلا بدن غير متصور فى هذه الدنيا كذلك وجود البدن بدون روح باطل وكثير من الملحدين يدعون هذه الدعوى فى هذا الزمان نجانا الله تعالى عن معتقداتهم السيئة .

وفى المكتوب (٧٣ — و — ٨٥) منه أيضا وصورة الصلاة والاسلام لا تنفع من النجاة شيئا ، بل لابد لحصول النجاة من تحصيل اليقين والاعتقاد الصحيح ، وقد تقرر عند الحكماء أن المريض مادام مريضا لاينفعه غذاء أصلا ولو كان من أعز الاكل وأحسنه ، فلا بد أولا من إزالة مرضه ثم الاجتهاد فى تحصيل القوة بالاغذية المناسبة فكذلك الانسان مادام مبتلى بمرض القلب بالشرك ونحوه لاتنفعه عبادة وطاعة اصلا . الخ . فاللازم علينا أولا تصحيح العقائد على مقتضى الكتاب والسنة على نهج أهل السنة والجماعة ، ثم علم الاحكام الشرعية من الفرائض والسنن والحلال والحرام ، ثم العمل بمقتضاه ،

فما لم تصح العقيدة لا ينفع العلم ولا العمل شيئا ، وهذا هو الاساس .

قال الجامع المعصومى وفقه الله لما فيه رضاه ، ان كثيراً من الناس مغرورون بالظاهر، ومفتونون بالالفاظ والصور، فلا يتدبرون المعانى ولا يتفكرون فى المقاصد والمطالب ، الا النادر ممن وفقه الله تعالى من أولى الالباب .

ولا يخفاك يا أخى هل المقصد من الجوز واللوز والفستق غير لبه ، فلا يغتر بالقشور الا الصبيان أو من يشابههم وقد ذكر العلامة العز بن عبد السلام فى اواخر كتابه (قواعد الاحكام فى مصالح الانام) مانصه أن معظم الناس خاسرون ، وأقلهم رابحون ، فمن أراد أن ينظر فى خسره وربحه فليعرض نفسه على الكتاب والسنة متفهما ومتدبراً فان وافقهما فهو الرابح ان صدق ظنه فى موافقتهما ، وان كذب ظنه فياحسرة عليه ، وقد أخبر الله تعالى بخسر الخاسرين وربح الرابحين ، وأقسم بالعصر إن الانسان لفى خسر الا من اجتمع فيه أربعة أوصاف الايمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، واجتماع هذه الخصال فى الانسان عزيز نادر فى هذا الزمان الا من وفقه الله تعالى ، فكم من جاهل يظن انه عالم ، وكم من غافل يظن انه متيقظ ، ومن عاص يظن انه مطيع ، ومن بعيد يظن انه قريب ، ومن مخالف يظن انه موافق ، ومن منتهك يعتقد انه متنسك ، ومن مدبر يعتقد انه مقبل ، وآمن يعتقد انه خائف ، ومن مراء يعتقد انه مخلص ، ومن ضال يعتقد انه

مهتدى، ومن عم يعتقد انه مبصر، ومن راغب يعتقد انه زاهد ، وكم من عمل يعتمد عليه المرائى وهو وبال عليه، وكم من طاعة يستهلك بها المستمع وهي مردودة عليه ،والشرع ميزان يوزن به الرجال ، وبه يتيقن الربح من الخسران ؛ فمن رجح فى ميزان الشرع كان من اولياء الله ، وتختلف مراتب الرجحان ، ومن نقص فى ميزان الشرع فاؤلئك اهل الخسران، وتتفاوت خفتهم فى الميزان ، وأخسها مراتب المشركين والكفار ، ولا تزال المراتب تتناقص حتى تنتهى الى منزلة مرتكب اصغر الصغائر، فاذا رأيت انسانا يطير فى الهواء او يمشى على الماء او يخبر بالمغيبات، ويخالف الشرع بارتكاب المحرمات بغير سبب محلل ؛ اويترك الواجبات بغير سبب مجوز ، فاعلم انه شيطان نصبه الله فتنة للجهلة واهل الضلالة ، وليس ذلك ببعيد من الاسباب التى وضعها الله للضلال ،فان الدجال يحيي ويميت فتنة لاهل الضلال ، وكذلك من يأكل الحيات ويدخل فى النار ، فانه مرتكب للحرام بأكل الحيات ، وفاتن للناس بدخول النيران ليقتدوا به فى ضلالته ، ويتابعوه على جهالته . الخ . قلت وكل هذه ناشئة من عدم الفهم حقيقة الشرع والاوامر الالهية ، او عناد وتكبر وضلالة ، نسأل الله تعالى التوفيق والعصمة ؛ والحاصل ان من لم يفهم المعنى فهما صحيحا يقع فى هاوية الضلال وردغة الخبال ، فلا ينفعه الصور والجمال ، نسأل الله تعالى ان يرزقنا فهما لمعانى كتابه ؛ ويوفقنا للعمل به مخلصا لله تعالى آمين

(فصل)

الفاتحة أم الكتاب وام القرآن

إنما سميت بالفاتحة لانها اول القرآن فى هذا الترتيب ، وهى نزلت بمكة خلافا لمجاهد رحمه الله تعالى فالاجماع على ان الصلاة كانت بالفاتحة لاول فرضيتها ، ولا شك ان ذلك كان بمكة ، وقال بعضهم انها نزلت مرتين. مرة بمكة عند فرضية الصلاة ، واخرى بالمدينة حين حولت القبلة والله تعالى اعلم

وانما سميت بام القرآن لانها تشتمل على جميع ما فى القرآن ، لان القرآن ما نزل الا لاجل امور اولها التوحيد ، والثانى الوعد والتبشير لمن عمل به ، والوعيد والانذار على من اعرض عنه . وقد وعد الله المؤمنين بالاستخلاف فى الارض والعزة والسلطان ، وأوعد المخالفين بالخزى والشقاء فى الدنيا ، كما وعد المؤمنين فى الآخرة بالجنة والنعيم ، وأوعد الكفار بالعذاب ونار الجحيم ، والثالث العبادة التى تحيي التوحيد فى القلوب وتثبته فى النفوس ، والرابع قصص من وقف عند حدود الله تعالى واخبار الذين تعدوا حدوده كما سنفصله انشاء الله تعالى ومن آيات ذلك وامثلته ان السنة الالهية فى هذا الكون ، سواء كان كون ايجاد اوكون تشريع ، ان يظهر سبحانه الشئ مجملا ، ثم يتبعه التفصيل بعد ذلك تدريجا ، وما مثل الهدايات الالهية الا مثل البذرة والشجرة العظيمة ، فهى بدايتها مادة حياة تحتوى على جميع اصولها ، ثم تنمو

بالتدريج حتى تبسق فروعها بعد ان تعظم دوحتها ثم تجود عليك بثمرها والفاتحة مشتملة على مجمل ما فى القرآن وكل مافيه تفصيل للاصول التى وضعت فيها وهذا لا شك فيه ولا ريب فعلى هذا تكون الفاتحة جديرة بان تسمى ام القرآن وام الكتاب كما نقول ان النواة ام النخلة فان النواة مشتملة على شجرة النخلة كلها حقيقة لا كما قال بعضهم ان المعنى فى ذلك ان الام تكون اولا ويأتى بعدها الاولاد .

نزلت هذه السورة لتعليم العباد كيف يتبركون باسم الله عز وجل فى سائر احوالهم وكيف يحمدونه ويستعينون به فيبتدىء القارىء قائلا اقرأ متبركاً باسم الله الرحمن المنعم بجلائل النعم كالسموات والارض والصحة والعقل والرحيم المنعم بدقائقها كسواد العين وتلاصق شعرات اهدابها المانعات من دخول الغبار المؤذى لها مع ان النور يلمع من خلالها وهكذا الهم الله الانبياء واوحى اليهم ان يعلموا العباد كيف يتبركون باسم الله فى اول اعمالهم كالقراءة والاكل ذاكرين ربهم ورحمته الواسعة التى عمت سائر العوالم فيمتلئ قلب العبد ايقاناً بالرحمة واستبشاراً بالنعمة وفرحا برحمة الرحمن الرحيم فاذا ابتدأ القارئ بالتسمية وامتلأ قلبه بتلك الرحمة لا جرم ينطلق لسانه بالحمد بعد ان افعم قلبه بالاجلال فيقول الحمد لله ها انا اذا عرفت رحمة الله سارية فى سائر العوالم ، ولقد علمت ان كل من انعم عليه بنعمة يشكر مسديها ، فالولد يشكر والديه على التربية ، والضعيف الذليل يشكر القادر الشجاع الذى انقذه من الذلة

والمتعلم يشكر العالم الذى اسبغ عليه نعمة العلم ، كما ذكره الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى فى تفسيره .

وقال ايضا هذه السورة تسمى فاتحة الكتاب وام القرآن وام الكتاب والوافية والكافية ، ولقد يعجب القارئ من تسميتها بام القرآن وبام الكتاب وبالوافية وبالكافية ، وكيف تقرأ فى كل صلاة ، فيعلم ذو اللب ان الذى يتلى على اللسان دائما ، ويتلوه الجاهل والعالم سراً وجهراً يصبح فى انفس التالين من المألوفات التى لا يسعى الى شىء وراءها وتصبح كالسمع والبصر والعقل والجسم الانسانى عند الجهلاء . فالناس لما رأوا اجسامهم والانهار والسماء والارض لم يظنوا فيها عجائب ولا غرائب لانها مكشوفة امامهم معروضة كل حين كالعالم فى بلده والنبى فى قريته . فهكذا فاتحة الكتاب يقرؤها المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها واكثرهم جاهلون لا يعقلون ، ولذلك داستنا الفرنجة فقتلت ابناءنا واستحيت نساءنا ونحن فى غفلة معرضون وفى الالعاب والترهات منهمكون .

واعلم ان العلماء هم الذين يعرفون اسرار الاشياء وحكمها فكذلك المفكرون هنا فى القرآن هم الذين يعقلون الفاتحة وعلومها ، فاعلم ان الفاتحة تشتمل على الاشارات لجميع ما ورد فى القرآن فاتحة الكتاب أى خطا وبها تفتتح القراءة فى الصلاة ويقال لها أيضا أم الكتاب عند الجمهور وقد ثبت فى الصحيح كما رواه الترمذى وصححه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « الحمد لله رب العالمين » :

أم الكتاب وأم القرآن ويقال لها الشفاء لما رواه الدارمى عن ابى سعيد رضى الله عنه مرفوعا (فاتحة الكتاب شفاء من كل سم) وروي الشعبي عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سماها اساس القرآن قال وأساسها بسم الله الرحمن الرحيم وسماها سفيان بن عيينه رحمه الله تعالى (الواقية) وسماها يحيي بن كثير رحمه الله تعالى (الكافية) لانها تكفى عما عداها ولا يكفى ماسواها عنها كما جاء فى بعض الاحاديث المرسلة (أم القرآن عوض من غيرها وليس غيرها عوضا عنها) ويقال لها سورة الصلوة لما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ انه قال (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بام القرآن فهى خداج ثلاثا غير تمام) فقيل لابى هريرة رضى الله عنه ان نكون خلف الامام فقال اقرأ بها فى نفسك فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول (قال الله عزوجل قسمت الصلوة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ماسأل فاذاقال (الحمد لله رب العالمين) قال الله تعالى حمدنى عبدى واذا قال ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ قال الله تعالى اثنى على عبدى فاذا قال ﴿ مالك يوم الدين ﴾ قال الله تعالى مجدنى عبدى وقال مرة فوض الى عبدى فاذا قال ﴿ اياك نعبد واياك نستعين قال الله تعالى هذا بينى وبين عبدى ولعبدي ماسأل واذا قال (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ قال الله تعالى هذا لعبدى ولعبدى ماسأل) وهكذا رواه النسائى عن اسحاق ابن راهويه ورواه الترمذى وقال حديث حسن وقال ابو زرعه صحيح كما فصله الحافظ العماد ابن كثير فى تفسيره الشهير .

فسميت الفاتحة صلاة لانها شرط فيها وهى مكية وقيل مدنية ويقال نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة والاشبه الاول قال الامام البخارى فى أول كتاب التفسير من صحيحه وسميت ام القرآن وأم الكتاب لانه يبدأ بكتابتها فى المصاحف ويبدأ بقراءتها فى الصلوة وقيل انما سميت بذلك لرجوع معانى القرآن كله الى ماتضمنته قال ابن جرير رحمه الله تعالى فى تفسيره والعرب تسمى كل جامع امر او مقدم لامر اذا كانت له توابع تتبعه هولها امام جامع اما فتقول للجلدة التى تجمع الدماغ أم الرأس ويسمون لواء الجيش ورايتهم التى يجتمعون تحتها أما وسميت مكه أم القرى لتقدمها أمام جميعها وجمعها ماسواها.

وهذه السورة المباركه اشتملت، على حمد الله وتمجيده والثناء عليه بذكر أسمائه الحسني المستلزمة لصفاته العليا وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين وعلى ارشاده عبيده الى سواله والتضرع اليه والتبرؤ من حولهم وقوتهم والى اخلاص العبادة له وتوحيده بالالوهية تبارك وتعالى وتنزيهه ان يكون له شريك أو نظير أو مماثل، والى سؤالهم اياه الهداية الى الصراط المستقيم وهو الدين القويم، وتثبيتهم عليه حتى يقضى لهم بذلك إلى جواز الصراط الحسية يوم القيامة المفضى بهم إلى جنات النعيم، فى جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، واشتملت على الترغيب فى الأعمال الصالحة، ليكونوا مع أهلها يوم القيامة والتحذير من مسالك الباطل لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة وهم المغضوب عليهم والضالون، قال المحقق الفخر الرازى فى مفاتيح الغيب أن سورة الفاتحة لها اسماء كثيرة

وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى منها فاتحة الكتاب سميت بذلك الاسم لانه يفتتح بها فى المصاحف والتعليم والقراءة فى الصلاة ، ولان الحمد فاتحة كل كلام ، ومنها أم القرآن لاسباب الاول أن أم الشيء أصله، والمقصود من كل القرآن تقرير أمور أربعة : الآلهيات والمعاد والنبوات واثبات القضاء والقدر لله تعالى، فقوله الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم يدل على الآلهيات ومالك يوم الدين يدل على المعاد، واياك نعبد واياك نستعين يدل على نفي الجبر والقدر وعلى اثبات أن الكل بقضاء الله وقدره ، واهدنا الصراط المستقيم الخ . يدل أيضاً على اثبات قضاء الله والقدرة وعلى النبوات فلما كان المقصد الاعظم من القرآن هذه المطالب الاربعة وهذه السورة مشتملة عليها لقبت بأم القرآن .

والثانى أن حاصل جميع الكتب الآلهية يرجع الى أمور ثلاثة : أما الثناء على الله باللسان ، وأما الاشتغال بالخدمة والطاعة ، وأما طلب المكاشفات والمشاهدات فقوله ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ كله ثناء على الله ، وقوله ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ اشتغال بالخدمة والعبودية بالجد والاجتهاد ، واعتراف بالعجز والذلة والمسكنة والرجوع الى الله ، وأما قوله ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ فهو طلب المكاشفات والمشاهدات وأنواع الهدايات ، والثالث انما سميت بأم القرآن لان المقصود من جميع العلوم أما معرفة عزة الربوبية أو معرفة ذلة العبودية ، فقوله ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ يدل على أنه هو الآله المستولى على كل أحوال الدنيا

والآخرة ، ثم قوله ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين الخ ﴾ يدل على ذل العبودية فانه يدل على أن العبد لا يتم له شيء من الأعمال الظاهرة ، ولا من المكاشفات الباطنة إلا باعانة الله تعالى وهدايته .

(الرابع) أن العلوم البشرية أما علم ذات الله تعالى وصفاته وافعاله وهو علم الاصول ، وأما علم أحكام الله تعالى وتكاليفه وهو علم الفروع ، وأما علم تصفية الباطن وظهور الانوار الالهية ، والمقصود من القرآن بيان هذه الانواع الثلاثة ، وهذه السورة الشريفة مشتملة عليها على أكمل الوجوه ، فقوله ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ اشارة إلى علم الاصول ، لأن الدال على وجوده وجود مخلوقاته ، فقوله ﴿ رب العالمين ﴾ يجرى مجرى الاشارة إلى أنه لا سبيل إلى معرفة وجوده الا بكونه رباً للعالمين ، وقوله الحمد لله إشارة الى كونه مستحقاً للحمد ، ولا يكون مستحقاً للحمد الا اذا كان قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات .

ثم وصفه بنهاية الرحمة وهو كونه رحمانا رحيما ، ثم وصفه بكمال القدرة وهو قوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾ حيث لا يهمل أمر المظلومين بل يستوفى حقوقهم من الظالمين وعند هذا تم الكلام فى معرفة الذات والصفات وهو علم الاصول ثم شرع بعده فى تقرير علم الفروع وهو الاشتغال بالخدمة والعبودية وهو قوله اياك نعبد ثم مزجه أيضاً بعلم الاصول مرة أخرى وهو ان وظائف العبودية لا تكمل الا بالاعانة الربوبية ثم شرع بعد ذلك فى بيان درجات المكاشفات وهى على كثرتها

محصورة فى أمور ثلاثة اولها حصول هداية النور فى القلب وهو المراد من قوله اهدنا الصراط المستقيم والثانى ان يتجلى له درجات الابرار المطهرين من الذين انعم الله عليهم بالجلايا القدسية والجواذب الالهية حتى تصير تلك الارواح القدسية كالمرايا المجلوة فينعكس الشعاع من كل واحدة منها الى أخرى وهو قوله صراط الذين أنعمت عليهم وثالثها أن تبقى مصونة معصومة عن أوزار الشهوات والشبهات وهو قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين فلاشتمال هذه السورة على هذه الاسرار العالية سميت بام القرآن كما ان الدماغ يسمى أم الرأس لاشتماله على جميع الحواس والمنافع ومن أسمائها سورة الحمد والسبع المثانى ، والوافية والكافية والاساس والشفاء والصلوة والسؤال ، والشكر والدعاء وغيرها

قال الفخر الرازى أيضا وروى عن الحسين رضى الله عنه انه قال أنزل الله تعالى مائة وأربعة كتب من السماء فاودع علوم المائة فى الاربعة وهى التوراة والانجيل والزبور والقرآن ثم أودع علوم هذه الاربعة فى القرآن ثم أودع علوم القرآن فى الفاتحة فمن علم تفسير الفاتحة كان كمن علم تفسير جميع كتب الله المنزلة ومن قرأها فكانما قرأ تلك الكتب كلها فاسأل الله تعالى أن يوفقنى وجميع المؤمنين لقرائتها وتدبر معانيها والاعتقاد والعمل بها آمين .

فصل

في ما ورد فى فضل الفاتحه

وقد ذكر العلامة العماد ابن كثير فى تفسيره الشهير روى الامام احمد فى مسنده عن ابى سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال كنت أصلى فدعاني

رسول الله ﷺ فلم أجبه حتى صليت فاتيته فقال ما منعك أن تأتيني قال قلت يارسول الله انى كنت أصلي قال ألم يقل الله تعالى ﴿ ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ﴾ الآية ثم قال لاعلمنك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد قال فاخذ بيدى فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت يارسول الله انك قلت لاعلمنك أعظم سورة فى القرآن قال نعم ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ هى السبع المثانى والقرآن العظيم الذي أوتيته » وهكذا رواه البخارى وابو داود والنسائى والترمذى وابن ماجه وذكره عبد العظيم المنذرى فى الترغيب والترهيب وروى مسلم فى صحيحه والنسائى فى سننه بسندهما عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال بينما رسول الله ﷺ وعنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضاً فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فاتى النبى ﷺ فقال ابشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لم تقرأ حرفا منها الا أوتيته واللفظ للنسائى

قال العبد الضعيف المعصومى عفى الله تعالى عنه وقد روى احمد فى مسنده والبيهقى فى الشعب وذكره السيوطى فى الدر المنثور عن عبد الله ابن جابر رضى الله عنه انه قال ان رسول الله ﷺ قال الا أخبرك باخير سورة نزلت فى القرآن قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب وقال فيها شفاء من كل داء وأخرج سعيد بن منصور فى سننه والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال أن رسول الله ﷺ قال فاتحة

الـكتاب شفاء من السم وروى الدارمى والبيهقى عن عبد الملك بن عمير رضى الله عنه انه قال قال رسول الله ﷺ فاتحة الـكتاب شفاء من كل داء وروى البزار فى مسنده وابن كثير فى تفسيره عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ اذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الـكتاب وقل هو الله احد فقد أمنت من كل شىء الا الموت وعن رجاء الغنوى رضى الله عنه انه قال قال رسول الله ﷺ أستشفوا بما حمد الله به نفسه قبل أن يحمده خلقه، وبما مدح الله به نفسه . قلنا وماذاك يارسول الله قال الحمد لله وقل هو الله احد فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله وروى ابو الشيخ ابن حبان والسيوطى فى الدر المنثور والدرر المنتثرة عن عطاء رحمه الله تعالى مرسلا انه قال الفاتحة لما قرئت له واذا أردت حاجة فاقرأ بفاتحة الـكتاب حتى تختمها تقضى انشاء الله تعالى

قال الفخر الرازى فى تفسيره من قرأ سورة الفاتحة وآمن بها وعرف حقائقها صار آمنا من الدركات السبع فى جهنم قال العبد الضعيف المعصومى لانه صار مؤمناً كاملا ومن هذا شأنه فلا شك انه من الفالحين الفائزين فيارب اجعلنا منهم بفضلك يا أرحم الراحمين .

فصـــل

فى انواع الـكفر والشرك الذى كان فى عصر النبى ﷺ « ونزل القرآن لبيانه »

منهم من كان لايعرف خالق العالم وينكر وجوده تعالى ويعتقد ان الاشياء حادثة بنفسها توجدها الطبيعة والمادة والدهر وهم الدهريون والطبيعيون والماديون والمنجمون كفرعون واضرابه والبلاشفة فى هذه

الايام وقد بين الله عز وجل اثبات وجوده ودل عليه بوجود مخلوقاته وعجائب مصنوعاته كما فصله فى آيات كثيرة كما قال تعالى فى سورة ابراهيم ﴿ قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والارض. يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى . قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا . تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ﴾ وفى سورة البقرة ﴿ ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحياء به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ وحكى الله تعالى عن المنكرين كما فى سورة المؤمنين أنهم يقولون ﴿ ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون ؛ هيهات هيهات لما توعدون إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾ وفى سورة الشعراء ﴿ فأتيا فرعون فقولا أنا رسول رب العالمين ؛ قال فرعون وما رب العالمين ؛ قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾ وفى سورة المؤمن ﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع إلى إله موسى ، وإنى لاظنه كاذبا ؛ وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ، وما كيد فرعون إلا فى تباب ﴾ وفى سورة الجاثية ﴿ أفرأيت من اتخذ الهه هواه ، وأضله الله على علم ؛ وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ؛ فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم

بذلك من علم ، أن هم لا يظنون﴾ وهؤلاء الكفار الدهريون ومنكروا وجود الله الخالق البارئ رب العالمين كانوا فى نواحى مصر والفرس والهند والصين . وفى هذه الايام كثروا فى بلاد الروس وسائر بلاد أوروبا وأمريكا والصين . واشتهروا باسم القومونيست والشيوعية والبلاشفة . اباده الله تعالى وأهلكهم وطهر الدنيا عنهم .

ومنهم من كانوا يعرفون الله تعالى ويصدقون بوجوده . ويقرون بأنه خلق الخلق ورباهم ويربيهم وان الجنة والنار موجودتان الى غير ذلك من الآلهيات ، ولكنهم يقولون أنه لا يمكن الوصول اليه إلا بالوسائط والشفعاء ويقيسونه بملوك الدنيا، فيتخذون الوسطاء ويخضعون لهم ويخشون منهم ويرجون منهم فيتضرعون اليهم، وينذرون اليهم ويعبدونهم مدعيا أنهم شفعاؤهم عند الله فهم يقربونهم إلى الله زلفى ، وهم جمهور العرب واليهود والنصارى والمجوس فافاد الله أنهم مشركون وكفار ، وما نفعهم اقرارهم بوجوده تعالى وقولهم انه رب السموات والأرض ، بل طلب منهم أن لا يعبدوا إلا إياه ولا يخضعوا إلا له ولا يخشوا إلا منه، ولا ينذروا إلا اليه ، وان لا يدعوهم بدعاء وان لا يتخذوهم شفعاء لأنه تعالى أقرب الينا من حبل الوريد ، وهو معهم أينما كانوا فلا يحتاج إلى الشفعاء وهو يجيب الدعوات ويقضى الحاجات ويدفع البلايا وليس له معين ولا وزير وهو غني عن العالمين .

فارسل الله تعالى محمداً ﷺ اليهم فدعاهم إلى توحيد الله توحيد العبادة وان يتبرؤا من معبوداتهم وشفعائهم بالجملة وأنهم وان اعترفوا بتوحيد

الربوبية ولكنهم اشركوا فى العبادة والالوهية فبذلك صاروا مشركين فأوعدهم الله تعالى وانذر ؛ وعما كانوا عليه حذر وزجر ، كما افاد فى آيات كثيرة سأتلوه عليك انشاء الله تعالى ، وانى قد شاهدت الصينيين البوديين ومجوسيهم وبراهمة الهنود والتبت أنهم يقرون بوجود الله تعالى وأنه خالق العالم ويشيرون الى السماء ويقولون ان الله موجود فى السماء وهو الخالق العليم الخبير ، ولكنهم يخضعون لرهبانهم وينذرون اليهم ويعبدونهم بدعوى أنهم يتقربون بهم إلى الله تعالى ؛ فبذلك كفروا واشركوا فاستحقوا الوعيد الشديد .

والحاصل أن جميع الكفار والمشركين ما عدا الدهريين يقرون بوجود الله تعالى وأنه الخالق، ولكن ما نفعهم هذا الاقرار ؛ ولم يدخلهم فى الاسلام ، بل شرط التبرئ عن كل الشفعاء والوسائط والمعبودات كلها ، وفصل ذلك فيما أنزله على رسوله محمد ﷺ ، وها أنا أتلو لك بعض تلك الآيات بحوله تعالى وقوته ، ففى آخر العنكبوت ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون ، ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله ؛ قل الحمد لله ؛ بل أكثرهم لا يعقلون ، فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ؛ فلما نجاهم إلى البر اذا هم يشركون ، ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون ، والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ؛ وان الله لمع المحسنين ﴾ وفي لقمان ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله ، قل الحمد لله ؛ بل أكثرهم لا يعلمون ، ذلك بان الله هو الحق ،

وان مايدعون من دونه الباطل ، وان الله هو العلى الكبير ؛ واذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ؛ فلما نجاهم إلى البر فنهم مقتصد، وما يجحد بآياتنا إلا كل ختال كفور ، يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ وفى سورة الزمر ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله، قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته ؟ قل حسبى الله ، عليه يتوكل المتوكلون ﴾ وفى آخر سورة الزخرف ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون ﴾ .

فانظروا إلى هذه الآيات وامثالها ، وتفكروا فيها وتدبروا إن كل الكفار والمشركين يعترفون بوجود الله تعالى وأنه خالق السموات والأرض وانه مسخر الشمس والقمر ، وأنه هو الذى ينزل من السماء المطر فيحيي به الأرض وأنه هو الذى ينجيهم من أمواج البحار وطوفان البلاء ، ومع كل هذا ما نفعهم ذلك الاعتراف والاقرار ، وما نجاهم من عذاب النار ، وغضب الله الواحد القهار ، بل شرط مع ذلك أن يتبرؤا من كل ما يعتقدونه إلهاً ومعبوداً ونافعا وضارا من دون الله تعالى وأن لا يعبدوا إلا إياه. وأن يؤمنوا بكل ما جاء به النبى محمد رسول الله ﷺ ويلتزموا شريعته . فدعاهم النبى ﷺ إلى ذلك . وأفاد ان كل ما فيهم من دعاء من

دون الله وعبادته أوقعهم فى خبال الشرك وظلمات الضلال . فاعتبروا يا أولى الابصار .

تنبيه ان كان اعتراف الكفار والمشركين بوجود الله وقولهم الله لم ينفعهم . فهل ما يسميه أهل الطرق من اسم الذات (الله) وتكرارهم ذلك ينفعهم . ويكون هو مأمورا به وذكرا مشروعا . قد اختلف الناس فى ذلك . فبعض الصوفية عدوه ذكرا مشروعا . فأمروا مريديهم بتكرار ذلك (الله الله) وأما العلماء المحققون فقد عدوه بدعة . كما بين العلامة ابن تيمية فى رسالة الكرامة والمعجزات حيث قال . أن بعض الصوفية يختارون الخلوات فيخرج الى أجناس غير مشروعة فمن هؤلاء من يأمر المريد ان لا يزيد على الفرض لا قراءة ولا نظرا . فى حديث نبوى ولا غير ذلك ، بل قد يأمرونه بالذكر . ويقسمون الذكر الى ذكر العامة وهو لا إله إلا الله . وذكر الخاصة الله الله ، وذكر خاصة الخاصة هو هو . فتحصل لهم من هذه العبادات البدعية حالات شيطانية ، وتنزل لهم الشياطين وخطاب شيطانى ، وبعضهم يطير به شيطانه .

ولا شك ان الذكر بالاسم المفرد مظهرا ومضمرا بدعة فى الشرع وخطأ فى القول واللغة ، فان الاسم المفرد المجرد ليس هو كلاما لا إيمانا ولا كفرا . وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ انه قال « أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر » وفى حديث آخر « أفضل الذكر لا إله

الا الله وأفضل ما قلت انا والنبيون من قبلي . لا إله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير » واما ذكر الاسم المفرد فبدعة لم يشرع ، وليس هو بكلام يعقل ولا فيه إيمان . ولهذا صار بعض من يأمر به من المتأخرين يبين انه ليس قصدنا ذكر الله تعالى . ولكن جمع القلب على شئ معين حتى تستعد النفس لما يرد عليها . فكان يأمر مريده بان يقول هذا الاسم مرات . فاذا اجتمع قلبه القى عليه حالا شيطانيا فيلبسه الشيطان ويخيل اليه انه قد صار فى الملأ الأعلى . ومقصودهم بذلك الجمع ان تجتمع النفس حتى ينزل فيها الشيطان . وقد يأمرون ان يقعد فى مكان مظلم ويغطى رأسه ويقول الله الله وابو حامد يكثر من مدح هذه الطريقة فى الاحياء وغيره . وهذا من بقايا الفاسفة عليه الخ . وكذا حققه العلامة ابن القيم فى كتابه .

قال العبد الضعيف المهاجر وفى حرم الله المجاور محمد سلطان المعصومى الخجندى عفى الله عنه ان لفظ (الله) وأمثاله قد يقر به جميع المشركين والمجوس واليهود والنصارى ماعدى الدهرية المادية الطبيعية كما حررت آنفاً ماحكاه الله تعالى عنهم من انهم يقرون بان الله موجود وانه خالق السموات والارض ومنزل الامطار ورازق الاحياء ومع ذلك لا يعتبر قولهم ذلك ولا يسمى قولهم الله ذكرا مشروعا ولا حصل لهم به ثواب ولا انهم صاروا مؤمنا به فاذا كان كذلك فلا يكون قائل الله الله ذاكرا ولا موحدا شرعياً اسلاميا . بل الذكر الاسلامى الشرعى المحمدى المنقذ

من الكفر والضلال والمحصل للثواب و رضا ذى الجلال انما هو لا اله الا الله خالصا من قلبه كما ان من قال محمد محمد ولو الف مرة لايكون مسلما ولا مصيباً الا اذا قال محمد رسول الله فكذلك لا يكون قائل الله الله ذاكرالله ولاموحدا ولامخلصا ولامسلما حتى يقول لا اله الا الله وهذا هو الذكر الذى يخرج صاحبه من الظلمة الى النور ومن الكفر الى الايمان ومن الجهالة الى العرفان فانى قد شاهدت كثيرا من اليهود والنصارى فى اوربا وروسيا وتركستان وعاينت جما وفيرا من المجوس والبوديين والبراهمة فى بلاد الصين والهند انهم يذكرون لفظ الله بلغتهم و يقرون و يقولون انه تعالى موجود وانه خالق العالم ويشيرون الى السماء ولكن يثبتون له شركاء و ينسبون اليهم التصرف فى الكون ويزعمون كأنهم نواب الله فلهذا لم ينفعهم قولهم الله الله ولا ادخلهم فى الاسلام فانتبهوا يا يها الغافلون .

فصل فى بيان التعوذ من الشيطان الرجيم فى ابتداء القراءة وفى كل الازمان والحالات

امرنا الله تعالى كلما نريد ان نتلوا القرآن ان نستعيذ بالله تعالى من شر الشيطان الرجيم . وشر وسوسته حيث قال فى سورة النحل (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون . انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) العوذ والتعوذ والاستعاذة والاعاذة. والاستعاذة هى الالتجاء الى الله تعالى والانصاف بجنابه تعالى من شر كل ذى

شر . فالعياذة تكون لدفع الشر واللياذة تكون لطلب جلب الخير ومعنى اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اى استجير بجناب الله تعالى من الشيطان الرجيم ان يضرنى فى دينى او دنياي . او يصدنى عن فعل ما أمرت به . او ليحثنى على فعل ما نهيت عنه فان الشيطان لا يكفه عن الانسان الا الله عز وجل ولهذا أمر تعالى بمصانعة شيطان الانس ومداراته باسداء الجميل اليه ليرده طبعه عما هو فيه من الاذى وامر بالاستعاذة من شيطان الجن لانه لايقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل لانه شرير بالطبع فلا يكفه عنك الا الذى خلقه فالعائذ والمستعيذ هو الملتجىء والمعتصم الهارب الى ربه مما يخافه عموما وخصوصا . وقد امر الله تعالى عباده فى كتابه بالاستعاذه به في مواضع من كتابه كما بينه العلامة العماد ابن كثير فى تفسيره الشهير والاستاذ الشيخ محمد عبده ايضا فى تفسيره بينه احسن بيان .

وقال العلامة الفخر الرازى من تفسيره الكبير الموسوم بمفاتيح الغيب وفى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خمسة أركان . الاستعاذة والمستعيذ والمستعاذ به والمستعاذ منه والشيء الذى لاجل تحصل الاستعاذة فاعوذ مشتق من العوذ . ومعناه «الالتجاء والاستجارة والالتصاق كما يقال اطيب اللحم عوذه اى ما التصق منه بالعظم فمعنى اعوذ بالله التجىء الى رحمته تعالى وعصمته والصق نفسى بفضل الله ورحمته . والغرض من الاستعاذة الاحتراز من شر الوسوسة ومعلوم ان الوسوسة كانها حروف خفية فى قلب الانسان

ولا يطلع عليها احد فكان العبد يقول ياالله انت القادر على دفع هـذه الوسوسة عنى فادفعها عني بفضلك

ثم اعلم ان الاستعاذة لاتتم الا بعلم وحال وعمل . اماالعلم فهو كون العبد عالماً بكونه عاجزاً عن جلب المنافع الدنيوية والدينية وعلى دفع المضار الدينية والدنيوية وان الله تعالى قادر على ايجاد جميع المنافع الدينية والدنيوية وعلى دفع جميع المضار الدينية والدنيوية قدرة لا يقدر احد سواه على دفعها عنه فاذا حصل هذا العلم فى القلب تولد عن هذا العلم حصول حالة فى القلب وهى انكسار وتواضع ويعبر عن تلك الحالة بالتضرع الى الله تعالى والخضوع له فالركن الاعظم فى الاستعاذة هو علمه بالله وعلمه بنفسه وأن يعلم انه لا يقدر احد سوى الله تعالى على ان يعينه على مقاصده اذ لو جاز ان يكون غير الله يعينه على مقاصده لم تكن الرغبة قوية فى الاستعاذة بالله وذلك لا يتم الا بالتوحيد المطلق واعنى بالتوحيد المطلق ان يعلم ان مدبر العالم واحد وان العبد غير مستقل بافعال نفسه فما لم يعرف العبد عزة الربوبية وذلة العبودية لا يصح منه ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن الناس من يزعم ان الذكر باللسان فقط يكفيه فهذا ضعيف جداً لا ثمرة له

والركن الثانى المستعاذ به . وهذا قد ورد فى القرآن والاخبار على وجهين . اعوذ بالله . واعوذ بكلمات الله . والمراد بكلمات الله هو قوله ﴿ انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ﴾ والمراد من قوله كن نفاذ قدرته في الممكنات وسريان مشيئته فى الكائنات بحيث يمتنع ان يعرض

له عائق ومانع . والركن الثالث المستعيذ واعلم أن أعوذ بالله امر منه تعالى لعباده ان يقولوا ذلك وهذا غير مختص بشخص معين فهو امر على سبيل العموم لانه تعالى حكى ذلك عن الانبياء والاولياء وذلك يدل على ان كل مخلوق يجب ان يكون مستعيذاً بالله فالانبياء عليهم الصلوات والتسليمات كلهم كانوا أبداً فى الاستعاذة من شر شياطين الانس والجن . كما سنفصله انشاء الله تعالى .

والركن الرابع المستعاذ منه . وهو الشيطان . والمقصود من الاستعاذة دفع شر الشيطان ووسوسته . بناء على ماورد فى الآثار انه يغوص فى باطن الانسان ويضع رأسه على حبة قلبه ويلقى اليه الوسوسة وقد قال رسول الله ﷺ ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم الحديث .

الركن الخامس المطالب التى لأجلها يستعاذ فاعلم أنا بينا أن حاجات العبد غير متناهية فلا خير من الخيرات إلا وهو محتاج الى تحصيله ولا شر من الشرور الا وهو محتاج الى دفعه وابطاله فقوله أعوذ بالله يتناول دفع جميع الشرور الروحانية والجسمانيه وكلها أمور غير متناهية ونحن ننبه على معاقدها فنقول الشرور اما ان تكون من باب الاعتقادات الحاصلة فى القلوب واما ان تكون من باب الاعمال الموجودة فى الابدان اما القسم الاول فيدخل فيه جميع العقائد الباطلة فيدخل فيه مذاهب فرق الضلال فى العالم وهى اثنان وسبعون فرقة من هذة الامة وسبعمائة واكثر خارج عن هذه الامه فقوله اعوذ بالله

يتناول الاستعاذة من كل واحد منها واما ما يتعلق بالاعمال البدنية فهى على قسمين منها مايفيد المضار الدينية والدنيوية فاما المضار الدينية فكل مانهى الله عنه فى جميع اقسام التكاليف واعوذ بالله يتناول كلها واما مايتعلق بالمضار الدنيوية فهو جميع الالام والاسقام والحرق والغرق والفقر والزمانة والعمى وانواعها فقوله اعوذ بالله يتناول الاستعاذة من كل واحد منها واهم ما يستعاذ منه الجهـــــل بأنواعه ويدخل فيه مذاهب اهل الكفر واهل البدعة على كثرتها والفسوق بانواعها فيجب على العاقل انه اذا اراد ان يقول اعوذ بالله فأنه يستحضر فى ذهنه هذه الاجناس كلها ويلتجى الى القادر على دفعها فيقول عند ذلك اعوذ بالله القادر على كل المقدورات من جميع أقسام الافات والمخافات فالعبد حين يقول اعوذ بالله يفر الى الله ويلتجى اليه مقرا على نفسه بالعجز والافتقار فيشاهد سر قوله تعالى (ففروا الى الله) فالمتعوذ بالله معترف بعجز نفسه وبقدرة الرب وهذا يدل على انه لا وسيلة الى القرب من حضرة الله الا بالعجز والانكسار حكاية تناسب المقام وهى ماحكاه العلامة الحافظ ابو الفرج عبدالرحمن بن الجوزى فى كتابه نقد العلم والعلماء اوتلبيس ابليس. حكى عن بعض السلف انه قال لتلميذه ماتصنع بالشيطان اذا سول لك الخطايا قال اجاهده قال فأن عاد قال أجاهده قال فان عاد قال اجاهده قال هذا يطول أرأيت اذا مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع قال أكابده وازده جهدى قال هذا يطول عليك ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك انتهى قلت فينبغى على العاقل أن يتعوذ من الشيطان بالذى خلقه وسلطه على من شاء كما لا يخفى على العاقل الفطن فيا رب احفظنا من شر الشيطان الرجيم

تنبيـــه

﴿في تحقيق لفظ الجلالة « الله » ومعناه﴾

واما الله فَعَلَم على الرب تبارك وتعالى وهو أسم لم يسم به غيره تبارك وتعالى ولهذا لايعرف له في كلام العرب اشتقاق وان اختلفوا وتكلموا فيه بما لايفيدهنافقيل انه مشتق من الهت الى فلان اى سكنت اليه فالعقول لاتسكن الاالى ذكره والارواح لاتفرح الابمعرفته لانه الكامل على الاطلاق دون غيره قال الله تعالى ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ وقيل اله الفصيل اذا ولع بأمه والمعنى ان العبادمألوهون و موامون بالتضرع اليه في كل الاحوال وقيل من اله الرجل يأله اذا فزع من امر نزل به فالهه اى أجاره فالمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه لقوله تعالى ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾ واختار الفخر الرازى انه اسم غير مشتق البتة وقال وهو قول الخليل وسيبويه واكثر الاصوليين والفقهاء.

وذكر ابن كثير في تفسيره وقيل مشتق من أله الرجل اذا تعبد وتأله اذا تنسك وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما (ويذرك وآلهتك) اى عبادتك ويقال ان الله هو الاسم الاعظم لانه يوصف بجميع الصفات كما قال تعالى ﴿ هو الله الذى لااله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لااله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارىء المصور له الاسماء الحسنى يسبح له مافى السموات والارض وهو العزيز الحكيم ﴾فاجرى الله الاسماء الباقية كلها صفات له كما قال تعالى ﴿ ولله الاسماء الحسنى فادعوه

بها ﴾ وقال تعالى ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى ﴾ وفى الصحيحين عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة الا واحداً من أحصاها دخل الجنة » وجاء تعدادها فى رواية الترمذى وابن ماجه : وبين الروايتين اختلاف زيادة ونقصان وقد ذكر الرازى فى تفسيره عن بعضهم ان لله خمسة آلاف اسم الف فى الكتاب والسنة الصحيحة والف فى التوراة والف فى الانجيل والف فى الزبور والف فى اللوح المحفوظ والله أعلم .

وفى مجموعة التوحيد النجدية نقلا عن كتاب البدائع لابن القيم الجوزية والاله هو الذى تألهه القلوب محبة وإجلالا وانابة واكراما وتعظيما وذلا وخضوعاً وخوفاً ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه ودعاء له لا يصلح ذلك كله الا لله وحده فمن أشرك مخلوقاً فى شىء من هذه الامور التى هى من خصائص الالهية كان ذلك قدحاً فى إخلاصه فى قول لا اله الا الله وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك. وقال ابو عبدالله القرطبى فى تفسيره (لا اله الا الله) اى لا معبود الا الله وقال ابن تيمية الاله هو المعبود المطاع فان الاله هو المألوه الذى يستحق أن يعبد وكونه يستحق هو بما اتصف به من الصفات التى تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب المخضوع له غاية الخضوع والاله هو المحبوب المعبود الذى تألهه القلوب بحبها وتخضع له وتذل له وتخافه وترجوه وتنيب اليه فى شدائدها وتدعوه فى مهماتها وتتوكل عليه فى مصالحها وتلجأ اليه وتطمئن بذكره وتسكن الى حبه وليس ذلك الا لله وحده ولهذا كانت

لااله الاالله أصدق الكلام و كان أهلها اهل الله وحزبه والمنكرين لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته فاذا صححت صح بها كل مسألة وحال وذوق واذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله وهذا هو الكلام عند أهل السنة جميعهم فيا سعادة من هدى الي معرفة حقيقة دين الاسلام واتبعه .

فصل

في تحقيق لفظ الشيطان ومعناه وحقيقته

وأما الشيطان فاسم لكل عارم عات من الجن والانس، والشيطان في لغة العرب مشتق من شطن اذا بعد فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر و بعيد بفسقه عن كل خير وقيل مشتق من شاط لانه مخلوق من نار ومنهم من يقول كلاهما صحيح في المعنى . لكن الاول أصح وقال سيبويه العرب تقول تشيطن فلان اذا فعل فعل الشياطين فالشيطان مشتق من البعد على الصحيح ولهذا يسمى كل من تمرد من جني وأنسي وحيوان شيطانا قال الله تعالى ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ﴾ وفي مسند الامام احمد عن أبي ذر رضي الله عنه انه قال قال رسول الله ﷺ « تعوذوا بالله من شياطين الانس والجن فقلت أو للانس شياطين قال نعم » وورد أن الكلب الاسود شيطان وان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ركب برذونا فجعل يتبختر به فجعل يضربه فلا يزداد الا تبختراً فنزل عنه وقال ما حملتموني الا على شيطان » اسناده صحيح كما ذكره العلامة العماد ابن كثير في تفسيره وقال الامام البغوي

فى تفسيره الشيطان المتمرد العاتى من الانس والجن ومن كل شىء واصله البعد سمى الشيطان شيطانا لامتداده فى الشر وبعده من الخير وكذلك ذكره الاصفهانى فى غرائب القرآن ومحمد عبده فى تفسيره وكذا فى المدارك والخازن وغيرهما .

وأما الرجيم فهو بمعنى المرجوم . وفعيل بمعنى فاعل . اى يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول اى مرجوم بالشهب عند استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مردود ومطرود عن الرحمة وعن الخيرات وعن منازل الملأ الاعلى وقال ابن كثير فى تفسيره والرجيم فعيل بمعنى مفعول اى انه مرجوم مطرود عن الخير كله وقيل رجيم بمعنى راجم لانه يرجم الناس بالوسواس والربائث والأول اشهر وأصح

فى حكم الاستعاذة

وأما حكم الاستعاذة فاتفق الجمهور على ان الاستعاذة سنة فى الصلوة ويستحب لقارىء القرآن خارج الصلاة أن يتعوذ أيضا وحكى عن عطاء رحمه الله وجوبها سواء كانت في الصلاة أو خارجها لظاهر قوله تعالى ﴿ فاستعذ ﴾ والامر للوجوب وان النبي ﷺ واظب على التعوذ فيكون واجبا ووقتها قبل القراءة عند الجمهور سواء كانت فى الصلوة أو خارجها وان قال البعض ان القارىء يتعوذ بعد القراءة لظاهر سياق الآية . أو يتعوذ أولا وآخراً جمعاً بين الدليلين ولكن المشهور الذى عليه الجمهور ان الاستعاذة انما تكون قبل التلاوة لدفع الموسوس عنها

ومعنى الآية عندهم ﴿ فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ اى اذا أردت القراءة كقوله تعالى ﴿ اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم ﴾ الآية اى اذا أردتم القيام والدليل على ذلك الاحاديث عن رسول الله ﷺ وقد روى الامام احمد فى مسنده واصحاب السنن الاربعة بسندهم عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه انه قال كان رسول الله ﷺ اذا قام من الليل فاستفتح صلاته و كبر قال (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك) ثم يقول لا اله الا الله ثلاثا ثم يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه قال الترمذى هو اشهر شئ فى هذا الباب ، وكذا عن جبير بن مطعم وعمر بن الخطاب وابن مسعود وأبى أمامة الباهلى وغيرهم رضى الله عنهم، فجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمتحتمة يأثم تاركها . وحكى الرازى عن عطاء بن أبى رباح رحمه الله تعالى وجوبها فى الصلاة وخارجها كلما أراد القراءة ، وقال ابن سيرين رحمه الله تعالى إذا تعوذ مرة واحدة فى عمره فقد كفى فى إسقاط الواجب ، واحتج الرازى لعطاء بظاهر الآية (فاستعذ) وهو أمر وظاهره الوجوب و بمواظبة النبي ﷺ عليها ولانها تدرأ شر الشيطان ؛ ومالا يتم الواجب الا به فهو واجب ، ولان الاستعاذة أحوط ، وهو أحد مسالك الوجوب ، وقال بعضهم كانت واجبة على النبي ﷺ دون أمته ، وإذا قال المستعيذ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم كفى ذلك عند الشافعى وأبى حنيفه رحمهما الله تعالى ؛ وزاد بعضهم أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وقال آخرون

بل يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم ، قاله الثورى والاوزاعى رحمهما الله تعالى وحكى عن بعضهم انه يقول استعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، لمطابقة أمر الآية ، والاحاديث الصحيحة أولى بالاتباع من هذا كما تقدم والله أعلم

واعلم أن الله تعالى كما أمر بالاستعاذة من الشيطان فى أول قراءة القرآن كذلك أمر بالاستعاذة منه فى جميع الحالات ، لان الشيطان هو العدو المبين الذى أضل ابانا آدم وأمنا حواء عليهما السلام ؛ وأخرجهما من الجنة مدعياً انه ناصح لهما ، فهو عدو لبنيه الى يوم القيامة ؛ فينبغى على كل واحد منا ذكراً او انثى أن يستعيذ بالله من شره ووسوسته ونفثه ونفخه ، وقد استعاذ منه من هو خير منا ومن كل البرية ، الا وهو سيد المرسلين سيدنا محمد وكذا سائر الانبياء والمرسلين عليهم الصلوات والتسليمات ، كما قال الله تعالى فى كتابه الكريم وأمر به حيث قال فى سورة الاعراف ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ﴾ ﴿ ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون * واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لايقصرون ﴾ وفى سورة الحجر قال الشيطان حين مالعن وطرد ﴿ قال رب بما اغويتني لازينن لهم فى الارض ولاغوينهم أجمعين * الا عبادك منهم المخلصين * قال هذا صراط على مستقيم * ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ﴾ وفى سورة المؤمنون ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ وفى سورة

المؤمن ﴿ ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم. ان فى صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه . فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ﴾ وفى سورة حم السجدة ﴿ واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم . وقل أعوذ برب الفلق . من شر ماخلق . ومن شر غاسق اذا وقب . ومن شر النفاثات فى العقد . ومن شر حاسد اذا حسد . وقل أعوذ برب الناس . ملك الناس . آله الناس . من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ﴾

وان أم مريم عليها السلام قالت ﴿ وانى أعيذها ﴾ أى مريم ﴿ بك وذريتها من الشيطان الرجيم ﴾ فوجدت الخلعة والقبول وهو قوله تعالى ﴿ فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا ﴾ وقد قال نوح عليه السلام كما حكى الله تعالى عنه ﴿ انى أعوذ بك ان أسألك ما ليس لى به علم ﴾ وقال يوسف عليه السلام حين راودته المرأة ﴿ معاذ الله انه ربى أحسن مثواى ﴾ وقال حين قيل له خذ أحدنا مكانه ﴿ معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده ﴾ وان موسى عليه السلام لما أمر قومه بذبح البقرة قال قومه ﴿ أتتخذنا هزواً ، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ﴾ ولما خوفه قومه بالقتل ﴿ قال إنى عذتُ بربى وربكم أن ترجمون ﴾ وانى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وان الله تعالى أمر محمداً صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة مرة بعد أخرى فقال ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ، وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ﴾ .

فصــــل

فى بيان عداوة الشيطان لبنى آدم

اعلم أنه لاشك فى عداوة الشيطان لآدم وبنيه ، فيوسوسهم من كل باب . كما أخبر الله تعالى عن ذلك فى غير موضع من كتابه ، وليس للشيطان مطلب غير هلاك ابن آدم لشدة عداوته لآدم وبنيه كما قال تعالى ﴿ يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ، وان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾ وقد اقسم للوالد آدم عليه السلام أنه لمن الناصحين وكذب فكيف معاملته لنا وقد قال ﴿ فبعزتك لاغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ وقال تعالى ﴿ فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ وقال فى سورة الاعراف قال الله : ﴿ ما منعك ﴾ يا ابليس ﴿ الا تسجد اذ أمرتك . قال انا خير منه ؛ خلقتنى من نار وخلقته من طين ﴾ فقال ابليس بعد ان طرد ﴿ قال انظرنى إلى يوم يبعثون ، قال إنك من المنظرين ، قال فبما اغويتنى لاقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين ؛ وناداهما ربهما اى آدم وحواء ، ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ، يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ؛ انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم ، انا جعلنا الشياطين

أولياء للذين لايؤمنون﴾ فانظروا الى هذه الآيات وتفكروا فيما يفعله الشيطان من الفتنة والاغواء والوسوسة ، وآرائته نفسه ناصحاً . والتزامه أنه يغوى الناس كلهم بكل طريق ووسيلة ، فيجب حتما على كل عاقل ان يتعوذ بالله منه ، وان يلتجئ الى الله ليحفظه من شره .

ثم اعلم يا أخى العزيز كما أن الشيطان يكون من الجن والابليس كذلك يكون أيضا من الآدمي والانس ، فكما ينبغى التعوذ من شيطان الجن كذلك يلزم التعوذ من شياطين الانس، وربما يكون اغواء شياطين الانس أشد وأضر للمجانسة والمصاحبة الظاهرية كما أفاد الله تعالى ذلك فى غير موضع من كتابه حيث قال فى سورة البقرة ﴿ واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم ﴾ اى اذا أجتمع للنافقون مع أكابرهم ورؤسائهم ودجاجلتهم قالوا انا معكم فى السر . قلت ككثير ممن هو فى زى العلماء والمشائخ الذين يخدمون للنصارى المستعمرين سراً ويتجسسون لهم على المسلمين فبذلك شتتوا شمل المسلمين كما هو المشاهد فنعوذ بالله منهم ومن شرورهم . وفى سورة الانعام ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدواً شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا . وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ﴾ وقل أعوذ برب الناس . ملك الناس. اله الناس . من شر الوسواس الخناس . الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس ﴾

وفى مسند الامام احمد عن أبي ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « يا أبا ذر تعوذ بالله من شياطين الانس والجن » . فقلت أو

للانس شياطين قال نعم . وفى مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يكون بعدى أئمة لا يهتدون بهداى ولا يستنون بسنتى . وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين فى جسمان انس . الحديث . فثبت بهذه الآيات والاحاديث ان للانس يكون شيطانا . وسوستهم وإفسادهم أشد واكبر من شياطين الجن . ولهم أحزاب ومعاونون يضلون الناس عن الصراط المستقيم الى صراط الجحيم . قال تعالى فى سورة المجادلة (استحوذ) استولى (عليهم الشيطان فانساهم ذكرالله . اوائك حزب الشيطان ألاان حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾ فحزب الشيطان هم الأئمة المضلون . والرؤساء الدجاجلة المتكبرون من كل ملة وفرقة . كعبد الله بن سباء ومقنع السمرقندى وآخرهم فى هذه الاعصار ميرزا احمد القاديانى الهندى وقاسم أمين بيك المصرى . وموسى جارالله الروسى واضرابهم فانهم افسدوا عقيدة المسلمين بدعواهم الاصلاح . وهم كذابون ودجالون وقد أجروا أنفسهم للمستعمرين والمبشرين والبلاشفة واللادينيين .

وقد أخبر النبى ﷺ عن هؤلاء وحذر أمته منهم . كما ثبت فى أحاديث صحيحة . منها مارواه مسلم فى أول صحيحه عن ابى هريرة رضى الله عنه يقول قال رسول الله ﷺ « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بمالم تسمعوا انتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لايضلونكم ولا يفتنونكم . وروى البخارى فى الفتن ومسلم فى الامارة من صحيحهما عن حذيفة رضى الله عنه قال كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير

وانا كنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني . قال قلت يا رسول الله انا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير . فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم . قلت وهل بعد ذلك الشر من خير . قال نعم وفيه دخن (أى كدورة) قلت وما دخنه . قال قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر . قلت فهل بعد ذلك الخير من شر . قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها . قلت يا رسول الله صفهم لنا . قال هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا . قلت فما تأمرني ان أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا امام . قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو تعض باصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك . وعن ثوبان رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « انما أخاف على أمتي الأئمة المضلين . واذا وضع السيف فى أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة ، رواه أبو داود والترمذي واللفظ له فى الفتن ، وفى رواية « إنما اخاف على أمتي أئمة مضلين » .

وما أضل المسلمين إلا الأئمة المضلون . وما أهلك الناس إلا الدجالون الكذابون ، وأما العوام المساكين فهم لهؤلاء تابعون ، فاذا جاء يوم القيامة وظهرت حقيقة الامر يقول أهل الضلال كما أخبر الله تعالى فى سورة الاحزاب ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾ فلتدارك ذلك قبل وقوعه أمرنا الله بالاستعاذة من شر الشياطين فيجب علينا أن نتفكر ذلك كله فنستعيذ بالله من كلهم . وسأفصل أنواع الشياطين وأصنافهم وعلاماتهم بحول الله وقوته إن شاء الله تعالى الرحمن المستعان المنان .

فصـــل
فى خواص التعوذ ونتائجه

فاعلم أن الاستعاذة تطهر القلب عن كل شيء يشغله عن الله تعالى، ومن لطائف الاستعاذة أنه اقرار من العبد بالعجز والضعف، واعتراف من العبد بقدرة البارئ عز وجل ، وأنه هو الغنى القادر على دفع جميع المضرات والآفات . واعتراف من العبد أيضاً بان الشيطان عدو مبين ففى الاستعاذة الالتجاء إلى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان الفاجر الغوى ، وأنه لا يقدر على دفعه عن العبد إلا الله تعالى ، وان من لطائف الاستعاذة انها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو والرفث وتطييب له لتلاوة كلام الله تعالى ، وهى استعاذة بالله واعتراف له بالقدرة وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطنى الذى لا يقدر على منعه ودفعه إلا الله الذى خلقه . وهو لا يقبل مصانعة . ولا يدارى بالاحسان بخلاف العدو من نوع الانسان . كما دلت على ذلك آيات من القرآن قال تعالى ﴿ ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ﴾ ومن قتله العدو الظاهرى البشرى كان شهيدا . ومن قتله العدو الباطنى كان طريداً . ومن غلبه العدو الظاهرى كان مأجوراً ، ومن قهره العدو الباطنى كان مفتوناً أو موزوراً . ولما كان الشيطان يرى الانسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذى يراه ولا يراه الشيطان . كما ذكره العماد ابن كثير فى تفسيره الشهير .

وينبغى للمستعيذ أن يستعيذ بالله من جميع المنهيات والمحظورات سواء كانت اعتقادية أو عملية ، والاقدام على الطاعات لا يتيسر إلا بعد الفرار من الشيطان. وذلك هو الاستعاذة بالله. وسر الاستعاذة هو الالتجاء إلى قادر يدفع الآفات عنك . ومن أجل الامور التى يلقى الشيطان وسوسته فيها قراءة القرآن . لان من قرأ القران و نوى بها عبادة الرحمن وتفكر فى وعده ووعيده وآياته و بيناته . ازدادت رغبته فى الطاعات ورهبته عن المحرمات فلهذا السبب صارت قراءة القرآن من أعظم الطاعات . فلاجرم كان سعى الشيطان فى الصد عنه أبلغ . وكان احتياج العبد إلى من يصونه عن شر الشيطان أشد . فلهذه الحكمة اقتضت قراءة القران الاستعاذة . والعبد حين يفر الى ربه قائلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . يستقر فى خدمة مولاه ببسم الله الرحمن الرحيم . والعبد يطهر باطنه وظاهره من تلويثات النفس والشيطان باعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاذا حصل الطهور يستعد لخدمة مولاه وذكره ببسم الله الرحمن الرحيم

ثم اعلم ان ارباب الاشارات قالوا ان لك عدوان احدهما ظاهر والاخر باطن وإنت مامور بمحاربتهما . قال الله تعالى فى العدو الظاهر ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ﴾ وقال فى العدو الباطن ﴿ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ﴾ ولاشك ان محاربة العدو الباطن اهم من محاربة العدو الظاهر . لان العدو الظاهر ان وجد فرصة ففى متاع الدنيا وحياتها . والعدو الباطن ان وجد فرصة ففى الدين واليقين . وأيضا كما ذكرت لك ان العدو الظاهر

ان غلبنا كنا مأجورين والعدو الباطن ان غلبنا كنا مفتونين. ومؤزورين. وأيضا ثمن قتله العدو الظاهر كان شهيدا ومن قتله العدو الباطن كان طريدا فكان الاحتراز عن شر العدو الباطن أولى . وذلك لايكون الا بان يقول الرجل بقلبه ولسانه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

« فصل » ان الشيطان إنما يغلب على من يطيعه ويواليه. لانه تعالى يقول كما فى سورة آل عمران ﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه . فلاتخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ وفى سورة الحجر ﴿ ان عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ﴾ وفى النحل ﴿ إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴾ وفى الزخرف ﴿ ومن يعش ﴾ يعرض ﴿ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين. وأنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ أفادت هذه الآيات ان الشيطان انما يستولى ويغلب على من أطاعه واتبعه. ولم يتفكر فى آيات الله وأوامره بل اتبع نفسه وهواه و اشهواته . فبذلك صار أسيرا فى شبكة شيطانه . فضل عن الصراط المستقيم ووقع فيما يؤديه الى مهاوى الجحيم .

« فصل » ان الشيطان لما كان عدوا مبينا لجميع بنى آدم كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم يتعوذون بالله من شره كما بيناه سابقا. وها أنا الآن أذكر ماثبت عن سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وصحابته الكرام رضى الله عنهم . وروى ابن كثير فى تفسيره عن أبى داود وابن ماجه ومسند أحمد بسندهم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال كان رسول الله ﷺ

اذاقام من الليل فاستفتح صلاته وكبر ثم يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه . وقد فسر الهمز بالموتة وهى الخنق والنفخ بالكبر والنفث بالشعر . وكذا رواه الترمذى والنسائى . وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ انه قال . اللهم انى اعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه . وقد روى ان جبريل عليه السلام اول ما نزل بالقرآن على رسول الله ﷺ امره بالاستعاذة كما ذكره الامام ابو جعفر ابن جرير فى تفسيره بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال اول ما نزل على محمد ﷺ قال يا محمد استعذ . قال استعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم . ثم قال ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال استب رجلان عند النبى ﷺ واغرقا فيه . فقال ﷺ انى لاعلم كلمة لو قالها لذهب عنهما ذلك وهى قوله ﴿ اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . رواه

وعن معقل بن يسار رضى الله عنه عن النبى ﷺ انه قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسى فان مات فى ذلك اليوم مات شهيداً . ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة رواه .

وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال « من استعاذ فى اليوم عشر مرات وكّل الله تعالى به ملكا يذود عنه الشيطان » رواه

وعن خولة بنت حكيم رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال

« من نزل منزلا فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من ذلك المنزل » رواه مسلم فى صحيحه وابو داود واحمد. وعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رضى الله عنه ان النبى ﷺ قال « اذا فزع أحدكم فى النوم فليقل « أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون فانها لا تضره » رواه أبو داود والترمذى . وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يعلمها من بلغ من أولاده ، ومن لم يبلغ كتبها فى صك ثم علقها فى عنقه . رواه الترمذى . وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه كان يعوذ الحسن والحسين ويقول « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » ويقول كان أبى ابراهيم عليه السلام يعوذ بهما اسماعيل واسحاق عليهما السلام . رواه

وعن سويد أنه قال سمعت أبا بكر الصديق رضى الله عنه يقول على المنبر أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . وقال سمعت رسول الله ﷺ يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم « فلا أحب أن أترك ذلك ما بقيت » رواه

فثبت بهذه الاحاديث أنه ينبغى على الانسان العاقل أن يستعيذ بالله دائماً من شر الشيطان الرجيم وشر كل ذى شر ، وشر كل من اتصف بصفة من الصفات الشيطانية وانى قد كنت ذكرت فى مادة (٩٦٢) من كتابى حبل الشرع المتين وعروة الدين المبين . أحاديث فى خواصه فمن جملتها ما رواه مسلم وأبو داود واحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال جاء

رجل الى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله مانمت البارحة من عقرب لدغتني : فقال أما لو قلت حين أمسيت. أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق لم يضرك شيء انشاء الله تعالى . فثبت أن التعوذ بالله و بكلماته التامات هو الدواء الشافى. والحرز الحصين الوافي الكافى . فنعوذ بالله من شر الشيطان ومن شرور أنفسنا .

« فصل » اعلم حفظني الله تعالى وإياك عن شر الشيطان والنفس وشر كل ذى شر

ان التعوذ والاستعاذة انما يكون بالله وبصفاته وبكلماته التامات لاغيرها وأما بغيره تعالى وبغير صفاته وكلماته فشرك وضلالة وكفر وجهالة . وقد قرر العلماء المحققون كما فى مجموعة التوحيد وغيرها . إن من الشرك الاستعاذة بغير الله : لان التعوذ والاستعاذة الالتجاء والاعتصام عبادة وقد أمر الله تعالى عباده فى كتابه بالاستعاذة به كما بيناه فيما سبق. فهو عبادة فلايجوز أن تصرف لغير الله كغيرها من أنواع العبادات . وفى تفسير ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان رجال من الانس يبيت أحدهم بالوادي فى الجاهلية فيقول أعوذ بعزيز هذا الوادى. فزادهم ذلك إثما كما اخبر الله تعالى (كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) وقد أجمع العلماء على أنه لاتجوز الاستعاذة بغير الله وقال ملا على القارى الحنفى رحمه الله تعالى لاتجوز الاستعاذة بالجن. فقد ذم الله الكافرين على ذلك وذكر الآية . وقدشرع الله تعالى لاهل الاسلام ان

يستعيذوا به تعالى. لا كما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن. وشرع الله تعالى للمسلمين ان يستعيذوا بأسمائه وصفاته وكلماته . وحق على المستعيذ بالله ان يصدق الله فى التجائه اليه ويتوكل فى ذلك عليه ويحضر ذلك فى قلبه . فمن فعل ذلك وصل الى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه . قال العلامة بن تيمية وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على انه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق. ولهذا نهى النبي ﷺ عن التعازيم والتعاويذ التى لا يعرف معناها خشية ان يكون فيها شرك

قال الجامع الغريب المهاجر محمد سلطان المعصومى عفى الله عنه فكما انه لا يستعان الا بالله . ولا يتوكل ولا يعتمد الا على الله ولا يعبد الا اياه . ولا ينذر الا لله فكذلك لا يستعاذ الا بالله. لانه لا يقدر أحد أياً كان على دفع الشيطان ووسوسته الا الله الذى خلقه فسلطه على عباده ابتلاء وامتحانا لهم . فالتعوذ بغيره تعالى جهل يؤدى صاحبه الى الضلال والخبال فنعوذ بالله ملتجاء اليه ومتوكلا عليه عن صميم قلوبنا عن شر الشيطان الرجيم. سواء كان شيطان الجن وابليس أو شياطين الانس من أهل الدجل والاضلال والتلبيس

وهاأنا أذكر لك بعد بيان شياطين الجن والابليس الرجيم المرجوم شياطين الانس من بنى نوعك . من مواطنيك وجلسائك كما قد بين الله تعالى أوصافهم فى كتابه وحذر عنهم وعن فعالهم. وكذا بين رسول الله ﷺ الذى لا ينطق عن هواه. بل ينطق ويخبر عن رب الارض والسماء لتعرفهم فتحترز عنهم وتفر عنهم فرارك من الاسد والثعبان . وتحفظ نفسك عن

الوقوع فيما وقعوا : وعن الاتصاف بما اتصفوا حفظني الله تعالى وإياك عن كل مايضرنا ويشيننا في ديننا ودنيانا : آمين

ومن صفات الشيطان الكبر والتكبر والاستكبار والكبر عدم قبول الحق والعناد فيه . أما عجبا بنسبه أو جماله أو خيلاء بماله ومنصبه وخدمه وحشمه . فاذا عرض عليه الحق فان كان على خلاف هواه تكبر عليه واعرض عنه . كما صدر ذلك عن الابليس حين أمر بالسجدة والخضوع لآدم أبي البشر عليه السلام . فاستحق بذلك اللعن والطرد عن الرحمة الالهية . كما بين الله تعالى ذلك في آيات كثيرة . منها في سورة البقرة ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ وفي سورة الاعراف ﴿ قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فدلت هذه الآية ان كل من استكبر ولم يقبل الحق وعاند فهو ابليس لان الشيطان قال لا اسجد له لانى خير منه واكبر سنا وأشرف خلقا وأعلى نسبا خلقتني من نار وخلقت آدم من طين وتراب . ولما كان الامر كذلك . كان كل من تكبر على الحق هالك . وورد في الحديث الصحيح لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر . وقد طالعنا في التواريخ وشاهدنا منذ عقلنا ان أكثر الكفار وبعض من يدعى أنه مسلم بل بعض من يزعم أنه سيد أو شريف أو غني أو امثالهم يتكبرون على الحق وأهله ، ويأنفون عليهم ولا يقبلون الا ما وافق هواهم ، فلا شك أنهم من حزب الشيطان . الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون .

فافسدوا بكبرهم شئون المسلمين فضلوا وأضلوا وخابوا وخسروا . كما هو غير خفى على أولى الابصار .

ومن صفات الشيطان الافك والبهتان والكذب والاثم الكثير واستماع أقوال الناس بقصد النميمة والافساد . كما قال تعالى فى سورة الشعراء ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ، تنزل على كل افاك اثيم ، يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ فيدخل فيه الكاهن والعراف والمنجم والساحر والنمام والكذاب ونحوهم . فهؤلاء كلهم من حزب الشيطان ،

ومن حزبه الرؤساء الظالمون والكبراء الجبارون والعلماء الدجالون والسادات الفسقة وامثالهم . كما قال تعالى ﴿ واذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم ، وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً ﴾ .

ومن حزب الشيطان شارب الخمر والمقامر والمشتغل بالميسر وسدنة الانصاب والضرائح والاصنام والكهنة وأصحاب الازلام ، ومعظموا قبور الاولياء أو الاحجار أو الاشجار أو امثالها . قال الله تعالى فى سورة المائدة ﴿ يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ، انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله ﴾ الآية .

ثم ان للشيطان خطوات يوحى بها فى قلب الانسان الوسواس . فالواجب على العاقل الحازم أن يحتاط فى ذلك . ولا يتبع تلك الخطوات فانها مهلكة كما قال الله تعالى فى سورة البقرة ﴿ يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا

ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين . انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون. واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون﴾ وفي سورة النور ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر . ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد أبداً . ولكن الله يزكى من يشاء . والله سميع عليم﴾ وهكذا وردت الآيات مؤكدة بعضها بعضا وقد فسر الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده في البقرة من تفسيره أحسن تفسير . وها أنا اذكر هنا خلاصته . قال رحمه الله تعالى . أعلم ان الواجب على الانسان أن يلتفت الى خواطره ويضع لها ميزانا . فاذا مالت نفسه الى الخير فعارضه الخاطر المانع فليعلم انه من وحى الشيطان واذا هم بدفاع عن حق أو امر بمعروف اونهى عن منكر . فخطر له ما يثبط عزمه أو يمسك لسانه فليعلم انه من وساوس الشيطان وأظهر وحى الشيطان الاندفاع الى التحريم والتحايل لاجل المنافع التى تلبس على المتجرىء عليها بالمصلحة وسياسة الناس . كأنه تعالى قال لا تتبعوا وحى الشر وخواطره تلم بكم وتطوف فى نفوسكم لان الشيطان انما يأمر بالسوء والفحشاء . أما السوء فهو كل ما يسوءك وقوعه أو عاقبته فمن الشرور ما يقدم عليه المرء مندفعاً بتزيين الشيطان العمل حتى اذا فعل الشر فاجأه السوء وعاجله الضرر ومن الاعمال مالا يظهر السوء فى بدايته ولكنه يتصل بنهايته . كمن يصده عن طلب العلم ان بعض المتعلمين

أضاع وقته وبذل كثيراً من ماله ثم لم يستفد من التعلم شيئاً فهذا قياس شيطاني يصرف بعض الناس عن طلب العلم بانفسهم : وبعض الآباء عن تعليم أولادهم فتكون عاقبتهم السوء . فلابد من البصيرة والتامل فى تمييز بعض الخواطر الشيطانية . فان منها مالا يظهر بادىء الرأى .

وأما الفحشاء فكل ما يقبح فى أعين الناس من المعاصى والآثام ولا يختص بنحو الزنا واللواط كما قال بعضهم ومن أسوء السوء مبداء وعاقبة ترك الاسباب الطبيعيه التى قضت حكمة البارى بربط المسببات لها . اعتماداً على اشخاص تعتقد فيهم السلطة الغيبية والتصرف فى الاكوان بدون اتخاذ الاسباب . ومثله اتخاذ رؤساء فى الدين يؤخذ لهم بقولهم ويعتمد على فعلهم . من غير أن يكون بيانا أو تبليغاً لما جاء عن الله وعن رسول الله . فان فى هذين النوعين من السوء اهالا لنعمة العقل وكفراً بالمنعم بها . واعراضا عن سنن الله تعالى وجهلا باطرادها . وصاحب هذا صار كمن يطلب من السراب الماء وينعق بما لا يسمع الدعاء والنداء . وهذا شأن متخذى الانداد . ﴿ ومن يضلل الله فماله من هاد ﴾ وأما الرؤساء الذين يحملون العامة على هذا التقليد فى الامرين فقد بين الله تعالى اتباعهم لوحى الشيطان بقوله ﴿ وان تقولوا على الله مالا تعلمون وهذا أقبح ما يأمر به الشيطان . فانه الاصل في إفساد العقائد وتحريف الشرائع واستبدال الذى هو ادنى بالذى خير اليس من القول على الله بغير علم زعم هؤلاء الرؤساء ان الله تعالى وسطاء بينه وبين خلقه ، لا يفعل الله سبحانه شيئا بدون وساطتهم، فحولوا بذلك قلوب عباده عنه وعن سننه

فى خلقه ، ووجهوها إلى قبور لا تعد ولا تحصى ، وإلى عبيد ضعفاء لا يملكون لانفسهم نفعاً ولا ضراً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً أليس من القول على الله بغير علم ما اختلقوه من الحيل لهدم ركن الزكاة ، وهو من أعظم أركان الاسلام ، وأليس من القول على الله بغير علم ما زادوه فى أحكام العبادة والحلال والحرام عما ورد فى الكتاب والسنة المبينة له ، فكل من يزيد فى الدين عقيدة أو حكما من غير استناد إلى كتاب الله أو كلام المعصوم فهو من الذين يقولون على الله بغير علم . كالزائرات للقبور وما يأتينه هناك من البدع والمنكرات باسم الدين ، وكتشييع الجنازة بقراءة البردة ونحوها بالنغمة المعروفة ، وبحمل المباخر الفضية والاعلام أمامها ، وبالاجتماع لقراءة الدلائل ونحوها من الاوراد بالصياح الخاص ، وكل هذا جاء من استحسان ماعند الطوائف الأخر ، وليس فى الاسلام صيحة غير صيحة الآذان ، ولا شك أن كثيراً من البدع فى العقائد والاحكام قد دخلت على المسلمين بتساهل رؤساء الدين ، وتوهمهم انها تقوى اصل العقيدة . وتخضع العامة لسلطان الدين أو لسلطانهم المستند إلى الدين .

ولقد دخلت كنيسة (بيت لحم) فسمعت هناك اصواتاً خيل إلى أنها أصوات طائفة من أهل الطريق يقرؤن حزب البر مثلا ، ثم علمت أنهم قسيسون . فهذه البدع سرت الينا منهم كما سرت اليهم من الوثنيين استحساناً منهم ما استحسنوه من أولئك توهماً أنه يفيد الدين أبهة وفخامة ويزيد الناس به استمساكا فكان أن ترك الناس مهمات الدين اكتفاءاً

بهذه البدع ، فان أكثر الصائمين فى الاضرحة وقباب الاولياء وفى الطرق والاسواق بالاوراد والاحزاب لا يقيمون الصلاة . ومن عساه يصلى منهم فانه لا يحرص على الجماعة بعض حرصه على الاجتماع للصياح بقراءة الحزب فى ليلة الولى فلان. واستوحشوا من شعائر الدين والسنن، حتى ظهر فيهم تأويل قوله عزوجل ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾ فلو كان للمقلدين الجامدين قلوب يفقهون بها لكانت هذه الحكاية كافية بأسلوبها لتنفيرهم عن التقليد، فانهم فى كل ملة وجيل يرغبون عن اتباع ما أنزل الله استئناساً بما ألفوه مما ألفوا آباءهم عليه وحسبك بهذا شناعة، إذ العاقل لا يؤثر على ما أنزل الله تقليد أحد من الناس مهما كبر عقله وحسن سيره اذ ما من عاقل الا وهو عرضة للخطأ فى فكره ، وما من مهتد إلا ويحتمل أن يضل فى سيره ، فلا ثقة فى الدين إلا بما أنزل الله . ولا معصوم إلا من عصمه الله. فكيف يرغب العاقل عما أنزل الله إلى اتباع الآباء مع دعواه الايمان بالتنزيل فابعد الناس عن معرفة الحق المقلدون الذين لا يبحثون ولا يستدلون ، لانهم قطعوا على أنفسهم طريق العلم ، وسجلوا على عقولهم الحرمان من الفهم . فهم لا يوصفون باصابة لان المصيب هو من يعرف أن هذا هو الحق ، والمقلد انما يعرف أن فلاناً يقول ان هذا هو الحق . انتهى . قلت وسأفصل باقى خطوات الشيطان فى القول فى الصراط المستقيم انشاء الله تعالى .

ومن صفات الشيطان الاسراف والتبذير : ومنع حق ذوى الحقوق

كترك الالتفات الى ذوى القربى والمساكين وابن السبيل . كحال غالب الاغنياء والسادات والامراء في هذه الاوقات: قال الله تعالى في سورة الاسراء (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا : إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا)

ومن صفات الشيطان مخالفة أمر الله والتشبه بالكفار والفساق والظلمة والغفلة وترك المبالاة بالسنن النبوية والآداب الشرعية والاخلاق الانسانية . ولهذا مثل النبي ﷺ من يأكل ويشرب بشماله شيطانا ومن يمر بين يدى المصلى بلاضرورة شيطانا كأكثر الجهلة فى الحرمين : فانهم يمرون بين يدى المصلى مرور الشيطان فى قلوب بنى آدم . ويأكلون ويشربون بالشمال كأنهم من أهل الشمال : وكذا ترى أكثرهم يمسك كتابه بشماله ونعله بيمينه . وزيادة عليه إذا نبهته يعاند ويتكبر . وقد روى الامام البخارى ومسلم وأصحاب السنن وأحمد فى مسنده ومحمد فى موطائه عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال أن رسول الله ﷺ قال اذا كان احدكم يصلى فلا يدع احداً يمر بين يديه فان ابى فليقاتله فانما هو شيطان . وقد اخرج مسلم وابو داود ومالك ومحمد فى موطأهما واحمد فى مسنده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال ان رسول الله ﷺ قال - إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله.

وقد ذكر العلامة ابن القيم فى الجواب الكافى أشياء مما يخص الشيطان من أوصافه . فها أنا أذكرها لتتميم الفائدة . قال رحمه الله تعالى الصفات الشيطانية التى هى أصل الشرك . العظمة والكبر والجبروت والقهر والعلو

والظلم واستعباد العباد ونحو ذلك . والتشبه بالشيطان الحقد والحسد والبغي والغش والغل والخداع والمكر والامر بمعاصي الله وتحسينها . والنهي عن طاعة الله وتجنبها . والابتداع في دينه والدعوة الى البدع والضلال

وقد أوصى الشيطان بنيه . وقال استعينوا يابني بجندين عظيمين لن تغلبوا امهما جند الغفلة فاغفلوا قلوب بني آدم عن الله تعالى والدار الاخرة بكل طريق فليس لكم شئ أبلغ في تحصيل غرضكم من ذلك فان القلب اذا غفل عن ذكر الله تعالى تمكنتم منه . الثاني جند الشهوة فزينوها في قلوبهم وحسنوها في أعينهم واستعينوا على الغفلة بالشهوات وعلى الشهوات بالغفلة . واقرنوا بين الغافلين .

واعلم أن أبلغ أسلحة الشيطان الشهوة والغضب فادعوه الى الشهوة من باب الغضب . والى الغضب من طريق الشهوة . وإنما أخرجت ابويهم من الجنة بالشهوة وإنما القيت العداوة بينهم وبين اولادهم بالغضب . فبه قطعت ارحامهم وسفكت دماءهم : وان الغضب جمرة في قلب ابن آدم . والشهوة نار تثور في قلبه . وانما تطفأ النار بالماء والصلاة والذكر والتكبير . فاياكم ان تمكنوا ابن آدم عند غضبه وشهوته من قربان الوضوء والصلوة فان ذلك يطفئ عنه نار الغضب والشهوة .

وأوصى ابليس بنيه . وقال انما المتكلم بالباطل أخ من أخوانكم . ومن اكبر جندكم وأعوانكم . وان الساكت عن الحق أخ لكم أخرس كما ان الاول اخ لكم ناطق . وربما كان الاخ الثاني أنفع أخوانكم لكم . أما سمعتم قول الناصح . المتكلم بالباطل شيطان ناطق . والساكت عن الحق شيطان

اخرس . فالرباط الرباط على هذا الثغر ان يتكلم بحق او يمسك عن باطل .
وزينوا له التكلم بالباطل بكل طريق. وخوفوه من التكلم بالحق بكل طريق

قال العبد الضعيف محمد سلطان المستعيذ بربه العليم القادر من شر الشيطان الرجيم الغادر فقد تبين بيانا شافيا كافيا أن الشيطان قد تصدى للاضلال والافساد والوسوسة من كل طريق وباب . وكذا شياطين الانس من قسوس النصارى ورهبان الدير ومبشريهم وخاخام اليهود وبطارقتهم واحبارهم . ولاما الهنود البوديين وكهنتهم : والأئمة المضلين والعلماء الدجالين والمشائخ الجهلة البطالين الخرافيين . والرؤساء الظلمة المنهمكين فى الشهوات . والكبراء والسادات والشرفاء الذين يتكبرون ويتجبرون فيبتدعون ويفسدون . كما أشار الامام الجليل عبدالله بن مبارك الى كل ذلك حيث قال

وهل أفسد الدين الا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

وقد أوضح العلامة محب الدين الدمشقى فى كتابه خلاصة الاثر فى أعيان القرن الحادى عشر احوالهم وقال ان علماء زماننا يدعون ويتقولون بألسنتهم انهم مقتدى الانام وورثة الانبياء الكرام واما أعمالهم ولسان حالهم تترنم بهذا البيت . وهو صادق عليهم .

وكنت فتى من جند إبليس فارتقى بى الحال حتى صار إبليس من جندى

ويشهد لهذا ماذكره العلامة الصالح الشيخ احمد السرهندي فى غير موضع من مكتوباته ان كل شر وفساد وضلال واضلال انما حدث من شؤم العلماء السوء . وماشتت شمل المسلمين الا العلماء السوء فهؤلاء هم الذين

خربوا المسلمين وديارهم . وصاروا سببا لاستيلاء الكفار الاشرار . حكى أنه رأى واحد من الاعزة الابليس اللعين فارغا عن الوسوسة والاغواء . فسأله عن سر قعوده فارغا . فقال إبليس اللعين ان علماء هذا الزمان قد تكفلوا لى بالاضلال حتى جعلونى فارغا . الخ وكان هذا المؤلف فى رأس الالف . فماظنك بزماننا هذا سنة ١٣٥٥

ومما يشهد لهذا الباب ما ذكره ابن الجوزى فى كتابه تلبيس ابليس قال بعض السلف رأيت الشيطان فقال لى كنت ألقى الناس فاعلمهم فصرت ألقاهم فاتعلم منهم الخ . قلت ولهذا كان النبى ﷺ يحذر أمته عن امثالهم حيث قال « انما أخاف على امتى الأئمة المضلين وسيكون علماء دجالون كذابون يحدثونكم بما لم تسمعوا انتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم » الحديث .

ولايضاح المقام اذكر لكم قصة من قصص ابليس لتعرفوا كيف صنعه ووسوسته ودسيسته واضلاله . فاستعيذوا بالله من شرهم ووسوستهم فانه اعدى عدوكم . كما حكى الامام الحافظ العماد بن كثير فى تفسيره فى قوله تعالى فى سورة المجادلة ﴿ كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ﴾ وهاك بالاختصار : قال على وابن عباس رضى الله عنهم كان راهب فى الفترة يقال له برصيصا . كان يتعبد الله فى صومعة له سبعين سنة لم يعص الله فيها طرفة عين ، وان ابليس اعياه امره فجمع ذات يوم مردة الشياطين فقال ألا أجد أحداً منكم

يكفيني أمر برصيصا . فقال الابيض وهو صاحب الانبياء أنا أكفيك أمره . فانطلق فتزين بزينة الرهبان وأتى صومعة برصيصا واقبل على العبادة فى اصل صومعته فلما انفتل برصيصا اطلع من صومعته فرأى الابيض قائما يصلى فى هيئة حسنة من هيئة الرهبان فلما رأى ذلك من حاله أعجبه واحبه واكرمه وقال له ما حاجتك وقال حاجتى انى احببت أن اكون معك فاتأدب بك ، واقتبس من علمك وعملك ونجتمع على العبادة فتدعو لى وأدعو لك ، وأقبل هو يصلى الى جنبه الى اربعين يوماً فلما رأى برصيصا شدة اجتهاده قال ما حاجتك قال حاجتى أن تأذن لى فارتفع اليك فاذن له فارتفع اليه فى صومعته ، فاقام معه حولا يتعبد لا يفطر الا فى كل أربعين يوما ، ولا ينفتل عن صلاته الا فى كل اربعين يوما مرة ، وربما مد الى الثمانين . فلما رأى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه شأن الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا انى منطلق فان لى صاحبا غيرك اعبد منك وظننت أنك اشد اجتهاداً مما أرى وكان يبلغنا عنك غير الذى رأيت ، فدخل من ذلك على برصيصا امر شديد وكره مفارقته للذى رأى من شدة اجتهاده فلما ودعه قال له الابيض ان عندى دعوات اعلمكها تدعو بهن فهو خير مما أنت فيه يشفى الله بها السقيم ويعافى بها المبتلى والمجنون . فعلم ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال والله قد اهلكت الرجل ثم انطلق الابيض فتعرض لرجل فخنقة ثم جاءه فى صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا أفأعالجه قالوا نعم ، فقال انى لا أقوى جنته ولكن سأرشدكم الى من يدعو الله فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الاعظم الذى اذا دعا

به اجاب فانطلقوا اليه فسألوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه
الشيطان فكان الابيض يفعل مثل ذلك بالناس ويرشد الى برصيصا
فيدعو فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بنى
اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم فى صورة متطبب فقال لهم أتريدون
أن أعالجها قالوا نعم قال الذى عرض لها مارد لا يطاق ولكن سأرشدكم
الى رجل تثقون به تدعونها عنده اذا جاءها شيطانها دعا لها حتى تعلموا
أنها قد عوفيت فتردونها صحيحة قالوا ومن هو قال برصيصا قالوا وكيف
لنا أن يجيبنا الى هذا وهو أعظم شأنا من ذلك فانطلقوا بها اليه وقالوا
هذه اختنا أمانة فاحتسب بها ثم انصرفوا فلما انفتل برصيصا من
صلاته عاين الجارية وما بها من الحسن والجمال فوقعت فى قلبه ودخل
عليه أمر عظيم ثم أقبل فى صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا
بتلك الدعوات فذهب عنها الشيطان ثم اقبل على صلاته فجاءها الشيطان
فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات ثم قبل على صلاته فجاءها الشيطان
فخنقها وكانت تكشف عن نفسها فقال الشيطان أما تشوف هذه واقعها
فستتوب بعد ذلك والله تعالى غفار الذنوب والخطايا فلم يزل به حتى تحركت
شهوته وقام ذكره واشتد فواقعها فلم يزل يواقعها حتى حملت وظهر
حملها فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فاقتلها وادفنها فان
سألوك فقل ذهب بها شيطانها فقتلها ودفنها فى جانب جبل ليلا فاخذ
الشيطان بطرف ازارها حتى ابقاه خارجا من التراب ثم رجع برصيصا
الى صومعته فاقبل على صلاته فالهم الشيطان الى أوليائها فذهبوا عند

برصيصا وسألوه عنها فاجاب بان شيطانها قد ذهب بها فدل الشيطان الى موضع دفنه فانطلقوا اليه فرأوا أختهم كما الهموا فجمعوا مواليهم وعلماءهم فهدموا صومعته وكتفوه فأقر على نفسه فامر الملك بقتله وصلبه فلما صلب أتاه الابيض فقال يا برصيصا أتعرفني أنا صاحبك الذى علمتك الدعوات فاستجيب لك ، فقال كيف اصنع الآن ، قال تطيعني فى خصلة واحدة حتى انجيك مما أنت فيه ، فآخذ باعينهم فاخرجك من مكانك ، قال وما هى قال تسجد لى ، قال ما أستطيع أفعل قال بطرفك افعل فسجد له فقال يابرصيصا هذا الذى كنت أردت منك ، صارت عاقبة امرك الى أن كفرت بربك انى برىء منك انى اخاف الله رب العالمين انتهى وكذا ذكره الامام البغوى فى تفسيره

قال الجامع المعصومى عفا الله عنه فانظروا يا أيها العقلاء الى هذه الحكاية بعين الاعتبار وتفكروا فيها كيف وساوس الشيطان ودسائسه وكيف أظهر نفسه زاهداً وعابداً وصوفيا وناصحا وكيف امر خرق العادة وما يزعمه الناس كرامات ، واذا تدبرت فى أحوال غالب العلماء ومشائخ الطرق ومن يدعى الزهد والعبادة تجدهم من حزب ذلك اللعين فانهم هم الذين أخرجوا الناس عن الصراط المستقيم واضلوهم وادخلوهم الى طريق الجحيم ، فتراهم العياذ بالله صاروا شركاء لله ويدعون التصرف فى الكون فصارت العوام بل من هم فى صورة الخواص يصدقونهم ويعتقدون فيهم وينذرون اليهم ويبذلون فى سبيلهم نفسهم ونفيسهم الى أن صاروا يعتقدون بعد موتهم انهم احياء يعلمون الغيب ويتصرفون فى الامور

وان الامور بيدهم فيطلبون منهم قضاء حوائجهم وحصول مرادتهم
وقد يتمثل الشيطان بصورة الشيخ ويتكلم ويدعو ويقضى الحاجة .
كما يحكمون ان الاعمى اوالمقعداذا ذهبوا به الى بلخ من بلاد افغانستان .
وطاف على ضريح مزعومهم على بن ابى طالب رضى الله عنه احد
وار بعين مرة يذهب عميه وينجلى بصره وزال فلجه . وهكذا يفعل
الشيطان فيوقعهم فى خبال الضلال . وقدترى الجهال بل الذين يزعمون
العلم والزهد يبنون على قبورهم العمارات العاليات والقبب الفاخرات .
ويرغبون الناس الى الزيارة والطواف حولها كالكعبة فيقبلون
القبر والعتبة بل يسجدون اليها . كما تفعله الهنادكة الوثنيون والبوذيون
والسيكة فى بلاد الهند والصين لاصنامهم . فترى الجهال فى بلاد
الهند يحجون فى كل عام الى قبر الشيخ معين الدين الجشتى فى اجمير
من كل فج عميق . ويقصدون حج كربلاو بغداد لزيارة الامام حسين رضى
الله عنه وقبر الشيخ عبد القادر الجيلانى . ويزعمون انه الغوث الاعظم
فيستغيثون به ويطلبون منه قضاء حوائجهم . وفى بخارى الى قبر بهاء الدين
النقشبند . وفى تركستان الى قبر الخواجه احمد اليسوى . ويسمون موسمه
الخلوة . وفى كاشغر الى قبر آفاق خواجة . وفى مصر الى قبر البدوى .
وهكذا فى عامة البلاد ابتلى المسلمون بامثال هذه الجهالات والضلالات
وحصل الابليس منهم مراده . وهو الكفر والشرك .

وكذلك تداخل فيما بين المسلمين كثير من شياطين المبشرين
من اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين والدهريين واظهروا انفسهم

علماء وزهادا . واظهروا التصوف . وادعوا الاسرار والكشوف . واشاعو ان الحقيقة غير الشريعة فبنوا زوايا وخانقاهات : فاجتمع حولهم الجهال وشايعهم بعض حملة العمائم فتصوفوا وادخلوا فى المسلمين دسائسهم الى ان اخرجوهم من الايمان الصحيح . وادخلوهم فى الكفر والشرك الصريح : وهولاء لايعلمون بل يدعون الدين والحقيقة . والفوا كتبا ورسائل فى مدح ذلك فهم بذلك الفساد حتى وقع المسلمون فيما وقعوا الآن من الخسار والبوار والافتراق والانشقاق ومن رؤس هؤلاء الشياطين فى هذه الازمان الاخيرة الدجال ميرزا احمد القاديانى . وموسى بيكى جار الله از وسى التاتارى . وامثالهما من رؤساء الطرق وغيرهم . فالحذر كل الحذر منهم ومن دسائسهم وكتبهم ورسائلهم . فيجب على كل مكلف التعوذ بالله منهم . والتيقظ لدسائسهم . وانما يعرف ذلك بميزان الكتاب والسنة الصحيحة . وما يثبته العقل السليم

والحاصل ان دسائس الشياطين كثيرة . وطرق وساوسهم عديدة فيجب على العاقل البصير ان يتعوذ بالله دائما من شر هؤلاء الشياطين . فانه لاعاصم ولاحافظ منهم الا الله الذى خلقهم واذا اردت ان تعرف الامور الشيطانية عن الامور الرحمانية فزنها بميزان الكتاب والسنة فما وافقهما فهو الحق الرحمانى. وماخالفهما فهو الباطل الشيطانى ولايغرنك طيران صاحبه على الهواء . اومشيه على الماء دون ان تبتل قدماه . فان الشيطان يحملهم و يطيرهم كما صرح به عامة علماء السلف ومحققى الخلف ثم اعلم ان كل شيء قبيح اوفعل قبيح ينسب الى الشيطان. لانه لما استكبر

وكفر بامر ربه الذى خلقه فقدار تكب اقبح المعصية. فاستحق اللعن والطرد فاتصف باقبح الصفات فكل قبيح لاشك انه شيطانى وكل جميل وحسن فلاشك أنه رحمانى. وها أنا أذكر لك قصة لطيفة عجيبة. وهى ماذكره الشيخ برهان الدين ابراهيم الكتبي المعروف بالوطواط فى كتابه (غرر الخصائص الواضحة) أن عثمان بن بحر المعروف بالجاحظ. كان دميم الصورة وقبيح الوجه ناتئ العينين. يحكى عنه أنه قال ما أخجلنى أحد قط الا امرأة أخذت بيدى وحملتنى الى نجار. وقالت له مثل هذا. ثم تركتنى وانصرفت، فبقيت متعجباً من أخذها لى مثالا. فسألت الصانع فقال ان هذه المرأة سألتنى أن أصنع لها مثال شيطان تفزع به ولدها، فقلت لها انى لم أر شيطاناً قط حتى اعمل على مثاله، وطلبت منها مثالا فقالت أنا آتيك به. فجاءتنى بك. انتهى. والاحاديث النبوية تدل على ذلك أيضاً، وأن كل كريه المنظر وقبيح الصورة يسمى شيطان. كما ورد أن الكلب الاسود شيطان. والدابة المتبخترة شيطان، وكل مفسد شيطان، وكل فتان وبطال ودجال شيطان، فان كان الامر هكذا فينبغى أن يلاحظ المستعيذ هذه الامور كلها. فيتعوذ بالله من شرها، ويشترط للقبول والتأثير وظهور النتائج ملاحظة جميع الامور المذكورة معتقداً بقدرة الله تعالى ومخلصاً له تعالى وجازماً بأنه لا يقدر أحد على دفع الشيطان والحفظ من شره إلا الله الذى خلقه وسلطه على عباده ابتلاءً وامتحاناً لا معصوم إلا من عصمه الله، ولا محفوظ الا من حفظه الله، ولا مهتدى

إلا من هداه الله ؛ فنستعيذ بك يا ربنا من شرور الشياطين ، فعذنا يا ربنا انك على كل شيء قدير .

فان قلت لم يقدمون التعوذ على التسمية قلت انما يقدمون التعوذ على التسمية لكون التخلية مقدمة على التحلية كما أنك تصفى قلبك عن الآلهة الآفاقية والانفسية . وتخليه عن كل المعبودات بقولك لا إله فبعد ذلك تحليه باثبات الاله الواحد الحق والمعبود المستحق للعبادة بقولك الا الله . فثبت أن التخلية مقدمة على التحلية ، كما أنك اذا أردت أن تداوى المريض وتعالجه تسقيه أولا مسهلا لاخراج الفضلات وتنظف الجروح من القروح . وتقطع الآكلة أولا ثم تداويه باستعمال الدواء ؛ فينفع الدواء والتداوى ؛ ثم يتغذى بالغذاء فيتقوى. وأما اذا استعملت الغذاء قبل ازالة المرض فربما يضرك الغذاء ولو كان ألذ الاغذية وانفسها ؛ وربما يكون سببا لازدياد المرض فيهلكك فثبت أن التخلية مقدمة على التحلية وكما انك اذا أردت ان تبنى فى محل بناء تصلح المحل أولا وتنظفه . ثم تؤسس وتبنى ؛ او اذا أردت ان تزين بيتا وتفرشه بالافرشة تكنسه أولا وتنظفه ثم تزين، وتفرش فتسكن وتستريح ؛ فثبت بهذا أيضا أن التخليه مقدمة على التحلية ؛ وكما اذا أردت إن تطبخ طعاما فى قدر تغسله أولا وتنظفه ثم تجعل فيه اسباب الطبخ . أو إذا أردت أن تنقل الطعام الى الصحن والقصعة والطبق والكاس تغسل أولا وتنظف تلك الاوانى ثم تحط فيها الطعام . وكما أنك إذا أردت أن تزين نفسك وتلبس الالبسة الحسنة الجميلة تنزع أولا

الالبسة الخلقة الدنسة والوسخة وتغتسل وتنظف بدنك . ثم تلبس الثياب الجميلة فتتزين بها . فثبت ان التخلية مقدمة على التحلية .

فلما كان الامر كذلك وهو قاعدة كلية مطردة اقتضتها حكمة البارى تعالى ، وجرت عليها سنن الكون ، يلزم على قارئ القرآن خصوصاً ، وعلى جميع المسلمين فى جميع الحالات عموماً ، أن يطهروا ألسنتهم ويصفو بواطنهم عن الاقوال والافعال الخبيثة الشيطانية قائلا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، فيقطعوا عنق الشياطين بسيف التعوذ إلى الله فيكونون غزاة يستحقون الاجر والغنيمة ، وهو الفضل والرحمة الالهية ، فيدخلوا فى رحمة الله بفتح بابها بمفتاح بسم الله الرحمن الرحيم ، فينالون رضاء الله تعالى ويستحقون جنات النعيم فيا ربنا نتعوذ بجنابك ونلتجئ إلى رحمتك فاحفظنا من شر شياطين الجن والانس والنفس والهوى ولا تكلنا إلى نفسنا طرفة عين . ووفقنا يا ربنا لما تحبه وترضاه ، فانك حسبنا واليك أنبنا واليك المصير ويارب ارحم عبدك الفقير اليك والمهاجر من دار الشرك إلى حرمك وعوضه عن كل ماصودر عنه بأحسن ماعوضته عبادك الصالحين ، وآته فى الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقه عذاب النار . آمين .

فصل

فى أحكام بسم الله الرحمن الرحيم وفضائله

اعلم ان أول ما انزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد ﷺ ان أمره بالقراءة مبتدئا ومستعينا باسم ربه الذى خلق حيث قال ﴿ اقرأ باسم ربك

الذى خلق ﴾ وهذه الآية تقتضي بظاهرها وجوب الابتداء باسم الله فى القراءة وسائر الاعمال الشريفة . وقد ذكر السلف الصالحون فى هذه المسألة ما ظهر لهم وبدأ وانا اذكر خلاصة ما ذكروه بحول الله وقوته وفى سورة المزمل ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴾ وفى سورة الدهر ﴿ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ﴾ وفى سورة النمل ﴿ انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ وفى سورة هود حكاية عن نوح عليه السلام ﴿ بسم الله مجريها ومرساها ﴾ فهذه الآيات تفيد الاهتمام بذكر اسم الله فى أول كل أمر من صلاة ودعاء وأكل ومشي وقراءة وكتابة ، وتشرحها أحاديث الرسول ﷺ وتفسرها تفسيراً . روى الترمذى والدار قطنى والحاكم وابن خزيمة والخطيب فى المشكاة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته بيسم الله الرحمن الرحيم . وروى الدار قطنى في سننه وذكره السيوطى فى الدر المنثور عن على بن إبى طالب رضى الله عنه أنه قال قل رسوله الله ﷺ « كيف تقرأ اذا قمت إلى الصلاة ؟ قلت : الحمدلله رب العالمين ، قال قل بسم الله الرحمن الرحيم » وذكر السيوطى فى الدر المنثور والجامع الصغير وقال ذكره عبدالقادر الزهاوى فى كتاب الاربعين باسناد حسن عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم اقطع » وفى رواية أجذم . وافتتح الصحابة رضى الله عنهم كتاب الله ببسم الله

الرحمن الرحيم . والنبي ﷺ كان يفتتح كل أعماله وأقواله ببسم الله الرحمن الرحيم . وانه قد ثبت فى صحيح البخارى انه ﷺ كان يفتتح به كتبه ورسائله الى الملوك والقياصرة . فبدأ كتابه الذى أرسله الى هرقل قيصر الروم (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم أسلم تسلم) الحديث والاحاديث فى هذا الباب كثيرة . وفيما ذكرناه كفاية .

قال إمام المحققين فى هذا القرن الشيخ محمد عبده رحمه الله فى تفسيره اعلموا ان القرآن أمامنا وقدوتنا . فافتتاحه ببسم الله الرحمن الرحيم ارشاد لنا بان يفتتح أعمالنا بها فما معنى هذا ليس معناه ان نفتتح أعمالنا باسم من أسماء الله تعالى بان نذكره على سبيل التبرك والاستعانة به . بل بان نقول هذه العبارة (بسم الله الرحمن الرحيم) فانها مطلوبة لذاتها . ومثل هذا التعبير مألوف عند جميع الامم ومنهم العرب . وهو ان الواحد منهم اذا أراد أن يفعل أمراً لاجل أمير اوعظيم بحيث يكون متجرداً من نسبته اليه ومنساخاً عنه يقول عمله باسم فلان . ويذكر اسم ذلك الامير اوالسلطان . لأن اسم الشيء دليل وعنوان عليه .فاذا كنت اعمل عملا لايكون له وجود ولاعنه اثر . لولا السلطان الذى به أمر . أقول ان عملى هذا باسم السلطان . اى انه معنون باسمه ولولاه لماعملته . فمنى ابتدىء عملى (بسم الله الرحمن الرحيم) انني أعمل بامره وله لالى . ولا أعمل باسمى مستقلا به على انني فلان فكانى أقول ان هذا العمل لله لا لحظ نفسي .

وفيه وجه آخر . وهو ان القدرة التى أنشأت بها العمل هي من الله تعالى . فلو لا ان منحني منها لم أعمل شيئاً فلم يصدر عنى هذا العمل الا باسم الله ولم يكن باسمي . اذ لولا ما آتانى من القوة عليه لم أستطع أن آتيه ،وقد تم هذا المعنى بلفظ (بسم الله الرحمن الرحيم) كما هو ظاهر وحاصل المعنى انى أعمل عملى متبرأ من أن يكون باسمى بل هو باسمه تعالى . لانى أستمد القوة والعناية منه ،وأرجو احسانه عليه فلولاه لم أقدر عليه ولم أعمله ، بل وما كنت عاملا له على تقدير القدرة عليه لولا أمره ورجاء فضله فلفظ الاسم معناه مراد ،ومعنى لفظ الجلالة مراد أيضا ، وكذلك كل من لفظ الرحمن والرحيم ، وهذا الاستعمال معروف ومألوف فى كل اللغات ، وأقربه اليكم اليوم ماترون فى المحاكم النظامية حيث يبتدؤن الاحكام قولا وكتابة باسم السلطان فلان

ومعنى البسملة فى الفاتحة ان جميع ما يقرر فى القرآن من الاحكام والآيات وغيرها هو لله ومنه ليس لاحد غير الله فيه شيء ، ثم اختلفوا فى البسملة هل هى آية مستقلة من أول الفاتحة كما هو عند الجمهور من قراء الكوفة وقول جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من الخلف ، أو بعض آية ، أولا تعد من أولها بالكلية كما هو قول أهل المدينة من القراء والفقهاء ، وقال الحافظ ابو بكر احمد بن موسى بن مردويه فى تفسيره بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ، الحمد لله رب العالمين ، سبع آيات ، (بسم الله الرحمن الرحيم) احداهن . وهى

السبع المثانى والقرآن العظيم . وهى ام الكتاب وفاتحة الكتاب . وقد رواه الدارقطنى ايضا . وقال كل رواته ثقات . وكذا رواه البيهقى عن على وابن عباس وابى هريرة رضى الله عنهم .

وذكر العلامة ابن كثير في تفسيره . ان بسم الله الرحمن الرحيم افتتح بها الصحابة كتاب الله . واتفق العلماء على انها بعض آية من سورة النمل ثم اختلفوا هل هى آية مستقلة فى اول كل سورة . او انها بعض آية من كل سورة اوأنها كذلك فى الفاتحة . دون غيرها أوانها انما كتبت للفصل لاانها آية على اقوال للعلماء سلفا وخلفا .

فصل

فى تفسير بسم الله الرحمن الرحيم مفصلا

فالله كما بينا فى ماسبق فى التعوذ انه إسم علم لله تعالى . وانه ليس بمشتق البتة . وهو قول الخليل وسيبويه وقول اكثر الاصوليين والفقهاء وقالت جماعة انه مشتق . والاله مشتق من الهت الى فلان اى سكنت اليه فالعقول لاتسكن الا الى ذكره والارواح لاتعرج الا بمعرفته . وبيانه ان الكمال محبوب لذاته . وماسوى الحق فهو ناقص لذاته . والناقص لايكمل الا بتكميل الكامل بذاته . والكامل بذاته هو الحق تعالى وحده . اوانه مشتق من الوله وهو ذهاب العقل . يعنى ان كل الخلق والهون فى معرفة ذاته تعالى اوانه مشتق من لاه اذا ارتفع . والحق سبحانه وتعالى هو المرتفع عن مشابهة الممكنات لان الواجب لذاته ليس الا هو . والكامل لذاته ليس الا هو . والموجد لكل ماسواه ليس الا هو

واعلم ان الاسم الاعظم هو الله . وله خاصية لم توجد فى سائر اسماء الله تعالى . لان كلمة الشهادة التى بسببها ينتقل الكافر من الكفر الى الاسلام لم تحصل الا بهذه الكلمة . فلو ان الكافر قال أشهد ان لا اله الا الرحمن اوالا الرحيم او الا الملك او الا المالك او الا القدوس اونحوها لم يخرج من الكفر ولم يدخل فى الاسلام . واما إذا قال اشهد ان لا إله الا الله فانه يخرج من الكفر ويدخل فى الاسلام . وهذه خاصية عظيمة شريفة اختص بها لفظ الله . وكما ان النفس فى الدنيا نافع وضرورى فلو انقطع عن الانسان لحظة لمات فى الحال . وكذلك معرفة الله تعالى والايمان به أمر لا بد منه فى الدنيا والآخرة . فلو زالت عن القلب لحظة لمات القلب لا محالة فيبقى الله ابدالابد . وكذا حققه العلامة الفخر الرازى فى تفسيره الكبير الشهير بمفاتيح الغيب .

واما الرحمن والرحيم فمشتقان من الرحمة . وهى معنى يلم بالقلب فيبعث صاحبه ويحمله على الاحسان الى غيره . وهو محال على الله تعالى بالمعنى المعروف عند البشر . لأنه فى البشر ألم فى النفس شفاؤه الاحسان . والله سبحانه منزه عن الآلام والانفعالات . فالمعنى المقصود بالنسبة اليه تعالى من الرحمة اثرها وهو الاحسان . والجمهور على ان معنى الرحمن المنعم بجلائل النعم . ومعنى الرحيم المنعم بدقائقها . وقال بعضهم ان الرحمن هو المنعم بنعم عامة تشمل الكافرين مع غيرهم . والرحيم المنعم بالنعم الخاصة بالمؤمنين . والذى أقول ان صيغة فعلان تدل على وصف فعلى فيه معنى المبالغة كفعال . وهو فى استعمال اللغة للصفات العارضة

كعطشان وغرثان وغضبان . وأما صيغة فعيل فانهـا تدل فى الاستعمال على المعانى الثابتة كالاخلاق والسجايا فى الناس كعليم وحكيم وحليم وجليل وجميل . والقرآن لا يخرج من الاسلوب العربى البليغ فى الحكاية عن صفات الله عزوجل التى تعلو عن مماثلة صفات المخلوقين . فلفظ الرحمن يدل على من تصدر عنـه آثار الرحمة بالفعل . وهى افاضة الرحمة والنعم والاحسان . ولفظ الرحيم يدل على منشاء هذه الرحمة والاحسان . وعلى انها من الصفات الثابتة الواجبة . وبهذا المعنى لا يستغنى باحد الوصفين عن الآخر . ولا يكون الثانى مؤكداً للاول . فاذا سمع العربي وصف الله جل سلطانه وثناؤه بالرحمن وفهم منـه انه المفيض بالنعم فعلا لا يعتقد منه ان الرحمة من الصفات الواجبة له دائما . لان الفعل قد ينقطع اذا لم يكن عن صفة لازمة ثابتة وان كان كثيراً . فعند ما يسمع لفظ الرحيم يكمل إعتقاده على الوجه الذي يليق بالله تعالى ويرضيه سبحانه . ويعلم ان لله صفة ثابتة هى صفة الرحمة التى عنها يكون أثرها . وان كانت تلك الصفة على غير مثال صفات المخلوقين . ويكون ذكرها بعد الرحمن كذكر الدليل بعد المدلول، ليقوم برهانا عليه انتهى محمد عبده فى تفسيره

وذكر العلامـة العماد بن كثير فى تفسيره الرحمن الرحيم اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، ورحمن اشد مبالغة من رحيم وفى كلام ابن جرير مايفهم منه حكاية الاتفاق على هذا ، والدليل على انه مشتق ما أخرجه الترمذى وصححه بسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه انه سمع رسول الله ﷺ يقول ﴿ قال الله تعالى انا الرحمن خلقت الرحم ،

وشققت لها اسما من اسمي ، فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته قال وهذا نص في الاشتقاق ، فلا معنى للمخالفة والشقاق ، قال ابو على الفارسي الرحمن اسم عام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى ، الرحيم انما هو من جهة المؤمنين قال الله تعالى ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ وقال ابن عباس رضى الله عنهما هما اسمان رقيقان احدهما أرق من الآخر ، اي أكثر رحمة ولهذا قال تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ فذكر الاستواء باسم الرحمن ليعم جميع خلقه برحمته ، وقال ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ فخصهم باسمه الرحيم ، قالوا فدل على ان الرحمن أشد مبالغة في الرحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه والرحيم خاصة بالمؤمنين ، لكن جاء في الدعاء المأثور (رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما) واسمه تعالى الرحمن خاص به لم يسم به غيره

وقال العلامة ناصر الدين البيضاوى في تفسيره ، الرحمن الرحيم اسمان بنيا المبالغة ، ومعناهما المنعم الحقيقي البالغ في الرحمة غايتها . وهذا خاص له تعالى لا يصدق على غيره لان من عداه فهو مستفيض بلطفه وانعامه . وانما خص التسمية بهذه الاسماء ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في مجامع الامور هو المعبود الحقيقي الذى هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه بشراشره الى جناب القدس تبارك وتعالى ويتمسك بحبل التوفيق . ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره .

(فصل فى فضائل بسم الله الرحمن الرحيم وخواصه)

وقد نقل الحافظ العماد ابن كثير فى تفسيره . وقال وقد روى الامام ابو محمد عبدالرحمن بن ابى حاتم فى تفسيره بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عثمان بن عفان رضى الله عنه سأل رسول الله ﷺ عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال هو اسم من اسماء الله تعالى . وما بينه وبين اسم الله الاكبر الا كما بين سواد العينين وبياضهما من القرب وهكذا رواه ابو بكر ابن مردويه . وقال جابر بن عبدالله رضى الله عنه وحلف الله تعالى بعزته وجلاله ان لا يسمى اسمه على شىء الا بارك فيه وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه . من اراد ان ينجيه الله تعالى من الزبانية التسعة عشر فليقرأ بسم الله الرحمن الرحيم . فيجعل الله له من كل حرف منها جنة من كل واحد . وقال الامام احمد فى مسنده بسنده عن عاصم قال سمعت ابا تميمة يحدث عن رديف النبى ﷺ قال عثر بالنبى ﷺ فقلت تعس الشيطان . فقال النبى ﷺ لا تقل تعس الشيطان . فانك اذا قلت تعس الشيطان تعاظم . وقال بقوتى صرعته واذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم تصاغر حتى يصير مثل الذباب . وكذا رواه النسائى فى عمل اليوم والليلة . وابن مردو يه فى تفسيره فهذا من تأثير بركة بسم الله الرحمن الرحيم . ولهذا تستحب فى اول كل عمل لما جاء كما ذكرنا (كل امر لا يبداء فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اجذم) كالا كل والجماع لما فى مسلم ان رسول الله ﷺ قال لربيبة عمر بن ابى سلمة رضى الله عنهما قل بسم الله وكل بيمينك وكل مما يليك . وعن

ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله ﷺ قال (لو ان احدكم اذا اراد ان يأتى اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فانه ان يقدر بينهما ولد لم يضره الشيطان ابداً) فالمشروع ذكر اسم الله فى اول الشروع فى القيام اوالقعود اوالاكل اوالشرب او القراءة اوالوضوء اوالصلاة اودخول الدار اوالبيت اوغيرها تبركا اوتيمنا واستعانة على الاتمام والتقبل والبركة والله اعلم ولهذا روى ابن جرير وابن ابى حاتم بسندهما عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ان اول مانزل به جبريل على محمد ﷺ قل يا محمد (استعيذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له جبريل بسم الله يا محمد اقراء بذكر الله ربك . وقم ، اقعد بذكر الله تعالى .

وذكر العلامة الفخر الرازى فى تفسيره الكبير . ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينة قال بسم الله مجريها ومرساها ، فوجد النجاة بنصف هذه الكلمة ، فمن واظب على هذه الكلمة طول عمره كيف يبقى محروماً عن النجاة ، وايضا ان سليمان عليه السلام نال مملكة الدنيا والآخرة بقوله (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) فالمرجو ان العبد اذاقاله فاز بملك الدنيا والآخرة .

واعلم أن بسم الله الرحمن الرحيم فيها الاسماء الثلاثة والحكمة فى ذكرها ان المخاطبين ثلاثة أصناف كما قال تعالى ﴿ فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ﴾ فقال انا الله للسابقين . الرحمن للمقتصدين الرحيم للظالمين ، وايضا الله هو معطى العطاء والرحمن هو المتجاوز عن

زلات الاولياء ، والرحيم هو المتجاوز عن الجفاء ، ومن كمال رحمته كأنه تعالى يقول : اعلم منك ما لو علمه ابواك لفارقاك . ولو علمته المرأة لجفتك ولو علمته الامة لاقدمت على الفرار منك ولو علمه الجار لسعى فى تخريب الدار . وأنا أعلم كل ذلك واستره بكرمى لتعلم انى إله كريم

وروى ان قيصر كتب الى عمر رضى الله عنه ان بى صداعا لا يسكن فابعث لى دواء ، فبعث اليه عمر رضى الله عنه قلنسوة ، فكان اذا وضعها على رأسه يسكن صداعه ، واذا رفعها من رأسه عاوده الصداع فعجب منه ففتش القلنسوة فاذا فيها كاغد مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم قال الجامع المعصومى ليس لهذه الرواية سند ولهذا أشار اليه المؤلف بصيغة التمريض والله اعلم بالصواب .

وروى أيضا كذلك أن بعض الكفار طلب من خالد بن الوليد رضى الله عنه آية ، فقال انك تدعى الاسلام فارنا آية المسلم ، فقال ايتونى بالسم القاتل ، فاتى بطاس من السم فاخذه بيده وقال بسم الله الرحمن الرحيم وأكله كله وقام سالما بأذن الله تعالى فقال المجوس هذا دين حق وكذلك روى ان عيسى بن مريم عليهما السلام مر على قبر فرأى ملائكة العذاب يعذبون ميتاً فلما انصرف من حاجته مر على القبر المذكور فرأى ملائكة الرحمة معهم اطباق من نور فتعجب من ذلك فصلى ودعا الله تعالى فاوحى الله تعالى اليه يا عيسى كان هذا العبد عاصيا ومذ مات كان محبوساً فى العذاب وكان قد ترك امرأة حبلى فولدت ولداً وربته حتى كبر فسلمته الى الكتاب فلقنه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم .

فاستحييت من عبدى ان اعذبه بنارى فى بطن الارض وولده يذكر اسمى على وجه الارض . قلت والله سبحانه وتعالى اعلم بصحة هذه الرواية وهو جل جلاله أرحم الراحمين .

والحاصل ان العلماء أجمعوا على أنه يستحب ان لا يشرع فى عمل من الاعمال (أى المأمور به والمباح) الا ويقول بسم الله فاذا نام قال بسم الله ، واذا قام قال بسم الله واذا قصد العبادة قال بسم الله واذا دخل الدار قال بسم الله ، أو خرج منها قال بسم الله ، واذا أكل أو شرب أو أخذ أو أعطى قال بسم الله ، والحاصل أنه يقول فى كل حالاته بسم الله وعند الولادة وعند ادخاله القبر يقول بسم الله فبسم الله الرحمن الرحيم دواء الامراض القلبية ، وشفاء الاسقام الجسمية ، ومفتاح الخيرات والبركات ، وعلامة السلامة والنجاة فداوموا عليه فى كل الحالات ، حتى تنالوا أعلى الدرجات .

فان كان الامر هكذا كما فصلنا فينبغى لقارئ القرآن سواء بدأ من أول السورة أو من وسطها أن يتعوذ أولا ثم يبسمل لتكون قرائته مباركة وتلاته مؤثرة ، والعجب من كثير من القراء من ابناء الزمان يكتفون بالتعوذ ويتركون البسملة ، واذا قلت لهم أتتركون البسملة ؟ يقولون أن الشاطبى أجاز ترك البسملة ، وقال بكفاية التعوذ ، حيث قال الشاطبى

ولا بد منها فى ابتدائك سورة   سواها وفى الأجزاء خير من تلا

وما عرف هذا المسكين ان قرائته هذه فى المحافل والمآتم تركها جائز أيضاً ، وانما يقرأ من يقرأ ، وانما يقرئ من يقرئ لتحصيل الثواب والأجر ، فان كان هكذا أليس يزيد ثواب القراءة بالبسملة ، وأليس يكون نوراً على نور . أفلا تتدبرون القرآن والاصول ، أو على قلوبكم الاقفال وعلى بصيرتكم الأقول فاعتبروا يا أولى الابصار .

قال الله تبارك وتعالى ﴿ الحمدلله رب العالمين ﴾ هذه الجملة الشريفة آية واحدة تامة . أفتتح بها كتاب الله تعالى ، وهى مفتح كل خير وباب كل سعادة ، وهذه ناطقة بان كل حمد وثناء يصدر عن نعمة ما فهو له تعالى ، ولا يصح ذلك إلا اذا كان الله سبحانه مصدر كل نعمة فى الكون تستوجب الحمد . ومنها نعمة الخلق والايجاد والتربية والتنمية ، فلهذا صرح بأنه رب العالمين ، ولفظ الرب ليس معناه المالك فقط أو السيد فقط ، بل فيه معنى التربية والانماء ، وهو صريح بان كل نعمة يراها الانسان فى نفسه وفى الآفاق منه عز وجل ، فليس فى الكون متصرف بالايجاد والاشقاء والاسعاد سواه ، والحمد هو الثناء باللسان وقيدوه بالجميل ، لان كلمة ثناء تستعمل فى المدح والذم جميعاً ، يقال اثنى عليه شراً ، كما يقال اثنى عليه خيراً ، ويقولون أن (ال) التى فى الحمد هى للجنس فى أى فرد من افراده ، ومعنى كون الحمد لله تعالى بأى نوع من أنواعه هو ان أى شىء يصح الحمد عليه فهو مصدره واليه مرجعه ، فالحمد لله على كل حال ، وهذه الجملة خبرية ولكنها استعملت لانشاء الحمد . فاما معنى الخبرية فهو اثبات ان الثناء الجميل فى أى انواعه تحقق فهو ثابت له تعالي وراجع اليه . لأنه

متصف بكل ما يحمد عليه الحامدون فصفاته اجمل الصفات ، واحسانه عم جميع الكائنات ، ولان جميع مايصح ان يتوجه اليه الحمد مما سواه فهو منه جل ثناؤه ، إذ هو مصدر الكون كله ، فيكون له ذلك الحمد أولا وبالذات ، والخلاصة ان أي حمد يتوجه إلى محمود ما فهو لله تعالى سواء لاحظه الحامد أو لم يلاحظه ، وأما معنى الانشائية فهو ان الحامد جعلها عبارة عما وجهه من الثناء إلى الله تعالى فى الحال .

﴿رب العالمين﴾ يشعر هذا الوصف ببيان وجه الثناء المطلق . ومعنى الرب السيد المربى الذى يسوس مسوده ويربيه ويدبره . والعالمين جمع عالم . جمعه جمع المذكر العاقل تغليبا . وأراد به جميع الكائنات الممكنة . أى انه رب كل مايدخل فى مفهوم العالم . الحمد لله . كأن القارىء يقول ها انا إذا عرفت رحمة الله سارية فى سائر العوالم ولقد علمت ، ان كل من أنعم عليه بنعمة يشكر مسديها . فالولد يشكر أبويه على التربية . والضعيف الذليل يشكر القادر الشجاع الذى انقذه من الذلة . والمتعلم يشكر العالم الذى اسبغ عليه نعمة العلم . كما أفاده العلامة الشيخ محمد عبده فى تفسيره .

وذكر أيضا ان الامم كالافراد . فاننا نرى كل أمة تمجد وتمدح وتحمد رجالها الذين افادوها . ورقوا صناعتها وتجارتها وثروتها فى التاريخ والمجاميع وهكذا شجعانها الجحاجيح وابطالها القاديم . وكذا انبياؤها وحكماؤها الذين اضاؤها بنعمة العلم والدين . فهذه نعمة واصلة من المحسنين والشجعان والعلماء إلى الامم فاستحقوا بذلك الشكر . ولاجرم ان الشكر يكون بالقلب ثم الجوارح واهمها اللسان فينطق بالحمد . وهو الثناء الجميل لاجل

النعمة الواصلة بالاختيار من المنعمين. يجيش فى نفس القارىء تلك الرحمات العامة فيشكر مسديها بقلبه وجوارحه وهى قسمان . رحمات واصلة على أيدى الناس كالوالدين والشجعان والعلماء والانبياء والمحسنين ورحمة واصلة من غيرهم كاشراق الشمس ونعمة السحاب وجريان الماء وعجائب النبات وجمال الطبيعة وبهاء النجوم ونور العين ورؤية البصر وسماع الاذن وبطش اليد وقوة الرجل وغيرها . وهذه النعم والرحمات بقسميها ليس لها مصدر الا الله . ولا جرم ان الحمد والثناء انما يكون للمحسن الحقيقى . فالحمد اذن انما يكون له سبحانه . فاذا مدحنا الوالدين وحمدنا الشجعان وشكرنا العلماء والانبياء فالحمد والشكر والمدح لله تعالى لانه تعالى مولى هذه النعمة والرحمة . واذا تمتعنا بنعمة السحاب والمطر وماء الانهار ومعادن الجبال ونور الشمس فالحمد والشكر لمسديها . وهو الله . فكأن القارىء يقول ها انا ذا عرفت ان الرحمة الواصلة للعباد مرجعها الله تعالى وحده فيكون كل حمد صادر من الالسنة راجعا لله عز وجل. لانه هو المختص بالرحمة التى كان سببا فى الثناء .

كانت العرب تمدح ملوكها ومحسنيها فى الجاهلية . فامرهم الله تعالى ان يولوا وجوههم قبل الله. وان يصدوا عن المدائح الملكية ولذوى الشرف اطلاقا لنفوسهم من الاسر ولعقولهم من الغفلة . وتعويداً لهم على الحرية العقلية وان ينسوا الفضل والاحسان القليل الصادر من المخلوق الضعيف . وان يطلبوا الخير والمعروف عند الله الذى هو المربى لجميع العالمين من الملوك والمثرين وغيرهم . فاذا فعلوا ذلك اصبحوا سادة العالم

بنظرهم فى العوالم وبحثهم فى نظامها وعجائبها . فينالون الخير من المربى العظيم والخالق الحكيم بجدهم واجتهادهم لا بالاستجداء من الملوك ولا بالتوسل من المحسنين . ولقد حقق الله تعالى بعض ما ذكرنا . الا ترى انهم فتحوا الامم شرقاً وغرباً باتحادهم . ونالوا من الخيرات فوق ما يبتغون وفى هذه السورة وكذا فى كثير من الايات والسور أمر الله المسلمين ان يخصوا الله بالحمد وبالعبادة. فرجع الامر الى توجيه العبادة والحمد والذكر لله وتحريم عبادة المخلوق والخضوع له . وشرعنا هذا دين حسن الحسن وقبح القبيح كله .

ويناسب لهذا المقام ما حكى ان زهرة قال هو لرستم قائد جيش الفرس اذ ذاك (انا لم نأتكم لطلب الدنيا وانما طلبتنا وهمتنا الآخرة . فقال له رستم ما دين الاسلام . قال ان تشهد أن لا إله الا الله وان محمدا رسول الله قال وأى شىء أيضا قال (اخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله . والناس بنوا آدم وحواء إخوة لاب وأم الخ والعبادة والحمد مختصان بالله عز وجل وانه هو الذى يطلب منه الاعانة والهداية الى الصراط المستقيم اولا ترى ان الاسلام كان له فى الصدر الاول معنى غير الذى يفهم المسلمون الآن . لان مبنى الاسلام العدل والمساوات وان لا يستعبد بعضهم بعضا. وانهم خلفاء الله فى ارضه ليعطوا عباده الحرية فالاسلام اذ ذاك مبنى على الفهم والعلم والعقل فأما الآن فانه مجرد ظواهر واعمال لا تصل الى اعماق القلوب. فلذلك انحطت الامم الاسلامية اليوم اما يجىء الآن آن ان نرجع الى عزها القديم

ومجدها العظيم . ولكن هيهات متى يكون ذلك . فانا لانرى المسلمين الا متقهقرين ومنغمسين فى الضلالات

« رب العالمين » اى مربى العوالم كلها . ومرقيها من حال النقص الى حال الكمال وغايات التمام . فهو الذى يتعهد النبات بالتغذية والانماء . وهكذا الحيوان والانسان . وكذا العوالم العلوية . وهذه هى التربية التى كان مبدؤها الرحمة . والله تعالى ذكر تربيته للعالمين ورحمته للمخلوقين . وقدمه على العبادة وهداية الصراط المستقيم وكأنه تعالى يشوقكم الى دراسة رحماته . ويأمركم بمعرفة كمالاته . فاذ تأمل المسلمون ماذكرناه كان حمدهم حقيقيا اذا عملوا بمقتضاه . ولما كان كل حمد لابد له من سبب يستوجبه ذكر السبب وهو التربية والرحمة . فقال أنه رب العالمين وكيف يقرءون فى صلواتهم كل آن ان الله تعالى مربى العالمين واكثرهم يجهلون تربيته . فانه ربى النطيفة حتى جعلها انسانا بصيرا ناطقا . وكيف انبت الذرة والقمح . وكيف ربى الاشجار وانبتها واثمرها . وهكذا صغيرات الامور وكبيراتها . فيجب علينا ان نتفكر فى ذلك . لأن نأكل كما تأكل الانعام . ونسفد كما يسفد الحيوان ونموت كما تموت الديدان .

واعلم ان الحمد يكون على مقدار علم الحامد . فالحامد كلما كان اعرف بصفات المحمود كان اصدق حمدا . وكلما كان قليل العلم بها كان اقرب الى الكذب فى حمده . لذلك نجد الناس اذا أرادوا تأبين ميت او تكريم حى جمعوا من الكتب ما كان له من محمدة . واذا أرادوا ذما نقبوا عن الاعمال السيئة فكهذا هنا لن يعرف المسلمون محامد الله حتى يقرءوا نظام الطبيعة لانها

افعاله وآثاره وعجائب صنعه . وهى كتاب التاريخ الذى يحفظ فى سجل الدهر فاذا أراد المسلمون ان يحمدوا الله من حمده فليقرأ عقلاؤهم نظام الطبيعة وليعقلوها . فحينئذ يحمدون الله حق حمده . كما تحمد الامم رجالها . فاذا قالوا الحمد لله كان ذلك على الحقيقة والواقع لا بمجرد اللفظ فها أنا أقول ملاحظاً كل ذلك (الحمد لله رب العالمين)

والعالمين جمع عالم وهو ما سوى الله تعالى . والعالم قسمان عالم علوى وعالم سفلى . والعلوى هو الملائكة والسماء والكواكب والشمس والقمر والسيارات وغيرها . والعالم السفلى ما فى البحر من مخلوقات حى وما على الارض من معدن ونبات وحيوان وانسان . والجبال والعيون والانهار ومن عجائب البحر الدر والمرجان . ومن الآثار العلوية تغير الهواء من النور والظلمة والحر والبرد وتصريف الرياح والسحاب بين السماء والارض والامطار والرعود والبروق والثلوج والهالات . الا فليعلم المسلمون فى مشارق الارض ومغاربها انهم لا يحمدون الله حق حمده ولا يشكرونه حق شكره الا اذا درسوا هذه العلوم كلها . وعرفوا ما تفرع عنها وانتفعوا بها . ونفعوا الناس بفوائدها واذن يحق لهم أن يقولوا (الحمد لله رب العالمين) وأما اذا ما بقوا على جهلهم ولم يعرفوا هذه العوالم ولا نظامها فليعلموا ان حمدهم لفظى وشكرهم ظاهرى فقط .

أضرب لكم هنا مثلا . يحكى ان مؤلفاً عظيماً قدم على رجل من رجال الجرائد كتاباً . فكان هو وزوجته لا يتركان مجلساً الا مدحا هذا

المؤلف . ولاناديا الا أثنيا عليه . وهما فى كل واد يمدحانه ، ويحمدان صنيع ذلك المؤلف ، وانه أحسن الى أمته وان لها شرفاً عالياً وفخراً تالداً ، فاما أن حل المؤلف بساحتهما وهما لم يرياه قبل ذلك فرحا به وأستبشرا وا كرماه غاية الاكرام ولماقاما الى بعض شأنهما نظر هو فوجد كتابه لم يفض خاتمه ، ولايزال ورقه متصلا غير منفصل دلالة على انهما لم يقرءآ منه حرفا ولم يعرفامنه كلمة ، فلماودعهما وانصرف أرسل اليهما مقصاً ليفهمهما انه أدرك ان الحمد والمدح كانا على جهالة عمياء وان الثناء رياء ، فانقلب سروره غماوفرحه حزناً ، افلا يكون نصيب المسلمين من ربهم نصيب ذلك الرجل وزوجته من المؤلف ، افلا يقول الله للمسلمين أنتم تقرؤون كتابي وتحمدونني ولكن لاتعرفون من صفاتي وأفعالي الاقليلا فلأعطينكم من نعمي على مقدار ماعرفتم ، وأخذ يقص أرضنا معاشر المسلمين ويعطيها للامم الاخرى التي درست العوالم ، أن الله تعالى لم يرسل مقصا الى المسلمين كماأرسل المؤلف ولكنه أرسل رجالا وأمما قصوا من أرضنا ، ولا يزالون يقصون وحرمونا منها جزاء وفاقا ﴿ ان الارض يرثها عبادي الصالحون ﴾ فارض الجنة يرثها الصالحون لها بالعمل ، وارض الدنيا يرثها الصالحون لها بالعمل والعمل يتقدمه العلم ، فكل امة أعرف بهذا العالم فهي أحق به وأولى بالفضل وأعرف بالحمد

واعلم ان لكل حمد سبباً كما اشرنا اليه . فالجائع يقول الحمد لله الذى غذاني واطعمني واشبعني والظمآن يقول الحمد لله الذى أرواني . والفقير

يقول الذى اغنانى . والجاهل يقول الذى علمنى وفى القرآن على لسان ابرهيم عليه السلام ﴿ الحمدلله الذى وهب لى على الكبر اسماعيل واسحاق ﴾ وعلى لسان يوسف عليه السلام ﴿ وقد احسن بي اذا خرجنى من السجن ﴾ وهذه الجملة حمد على نعمة الخروج من السجن . ولم شمل اسرة يوسف عليه السلام ، وقال الشاعر الجاهلى لما أسلم :

الحمد لله إذ لم يأتنى اجلى   حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

فاما الحمد فى هذه السورة فسببه أن الله مربي جميع العالم ، فالمسلم يقول فى صلاته الحمد لله لأ نه هو الذى ربى جميع العالم من العلويات والسفليات ، ولكن لما عز الحامدون الحقيقيون الشاكرون العاقلون قال الله تعالى ﴿ وقليل من عبادى الشكور ﴾ ويا للاسف أن كثيرا من حافظ القرآن لا يعنيه الا أن يعيش به كالحمار يحمل اسفاراً ، وكالجاموس لم يمنه الا البرسيم ، أوليس العامة الذين يفرحون بنغمات القارىء فى مآتمهم واعراسهم اشبه بالصبى الذى راقه مناظر الازهار والطرب والمسلم العاقل الحكيم هو الذي يخاطب ربه بالفاتحة ويثنى عليه ويتجه اليه بقلبه ، وهذا هو الذى يصير القرآن نوراً له يوم القيامة ، كما افاده العلامة الجوهرى الطنطاوى فى تفسيره .

وقال العلامة العماد ابن كثير فى تفسيره الشهير : قال الامام أبو جعفر ابن جرير فى تفسيره جامع البيان معنى ﴿ الحمد لله ﴾ الشكر لله خالصاً دون سائر ما يعبد من دون الله ، ودون كل ما برأ من خلقه بما انعم على عباده من النعم التى لا يحصيها العدد ، ولا يحيط بعددها غيره

أحد . فى تصحيح الآلات لطاعته وتمكين جوارح اجسام المكلفين لاداء فرائضه ، مع ما بسط لهم فى دنياهم من الرزق وغذاهم به من نعيم العيش ، من غير استحقاق منهم ذلك عليه ، ومع مانبههم عليه ودعاهم اليه، من الاسباب إلى دوام الخلود فى دار المقام فى النعيم المقيم . فلربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخرا . والحمد ثناء اثنى الله تعالى به على نفسه . وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال قولوا الحمد لله .

وحكى القرطبي عن طائفة انهم قالوا قول العبد . الحمد لله رب العالمين : افضل من قوله لا اله الا الله لاشتمال الحمد لله رب العالمين على التوحيد مع الحمد . وقال آخرون لا اله الا الله افضل لانها التفصيل بين الايمان والكفر . وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله . كما ثبت فى الحديث المتفق عليه وفى الحديث الآخر (افضل ما قلت والنبيون من قبلى ، لا اله الا الله وحده لاشريك له) وعن جابر رضي الله عنه مرفوعا (افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله) حسنه الترمذى

والالف واللام فى الحمد لاستغراق جميع اجناس الحمد وصنوفه لله تعالى كما جاء فى الحديث (اللهم لك الحمد كله ولك الملك كله وبيدك الخير كله واليك يرجع الامر كله ، والرب هو المالك المتصرف، ويطلق، فى اللغة على السيد وعلى المتصرف للاصلاح : وكل ذلك صحيح فى حق الله تعالى : ولا يستعمل الرب لغير الله الا بالاضافة . فيقال رب الدار ورب كذا ، واما الرب فلا يقال الا لله عز وجل : وقد قيل انه الاسم الاعظم .

والعالمين جمع عالم ، وهو كل موجود سوى الله عزوجل . وقال الزجاج العالم كل ما خلق الله تعالى فى الدنيا والآخرة . وقال القرطبي وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين كقوله تعالى ﴿ قال فرعون وما ربُّ العالمين . قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ﴾ والعالم مشتق من العلامة ، لانه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته . كما قال ابن المعتز :

فيا عجباً كيف يعصى الآله ام كيف يجحده الجاحد

وفى كل شئ له آيةٌ تدل على أنه الواحد

وقال العلامة ناصر الدين البيضاوى فى تفسيره : الرب فى الاصل مصدر بمعنى التربية ، وهى تبليغ الشئ إلى كماله شيئاً فشيئاً . ثم وصف به للمبالغة ، ثم سمى به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيداً ومضافاً . والعالم اسم لما يعلم به غلب فيما يعلم به الصانع تعالى وهو كل ما سواه من الجواهر والاعراض . وفيه دليل على أن الممكنات كما هى مفتقرة إلى المحدث حال حدوثها فهى مفتقرة إلى المبقى حال بقائها.

وقال العلامة الراغب الاصفهانى فى غرائب القرآن: الرب فى الاصل التربية ، وهو انشاء الشئ حالا فحالا إلى حد التمام ، ولا يقال الرب مطلقاً إلى لله تعالى المتكفل لمصلحة الموجودات ، وعلى هذا قوله تعالى ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا ﴾ أى آلهة وتزعمون أنهم البارى ومسبب الاسباب والمتولى لمصالح العباد ، وبالاضافة يقال له ولغيره نحو ﴿ رب العالمين ، وربكم ورب آبائكم الأولين ﴾ ويقال رب الدار ورب

الفرس . ومنه قوله تعالى ﴿ اذكرني عند ربك، فأنساه الشيطان ذكر ربه ، وارجع إلى ربك ، ومعاذ الله انه ربي أحسن مثواي ﴾ إلخ .

قال العارف الشيخ احمد السرهندي في المكتوب (٧١) من مكتوباته مانصه : اعلم أن شكر المنعم واجب على المنعم عليه عقلا وشرعاً . ومن المعلوم ان وجوب الشكر على قدر وصول النعمة . فكلما كان وصول النعمة أكثر كان وجوب الشكر أزيد وأوفر . والشكر لله الكريم المنعم تعالى وتقدس انما يكون بتصحيح العقائد أولا على مقتضى عقيدة أهل السنة والجماعة . ثم اتيان الاعمال والاحكام الشرعية على وفق ما وردت في السنة وبينته الأئمة المجتهدون . وهذان ركنان أصليان والاسلام مربوط بهما . إلخ .

وفي مجموعة الرسائل النجدية : اعلم ان أهم ما فرض على العباد معرفة أن الله تعالى رب كل شئ ومليكه ومدبره بارادته . فاذا عرفت هذا فانظر ماحق من هذه صفاته عليك بالعبودية بالمحبة والاجلال والتعظيم والخوف والرجاء والتأله المتضمن للذل والخضوع لأمره ونهيه . وذلك قبل فرض الصلاة والزكاة . ولذلك يعرف بتقرير ربوبيته ليرتقوا بها إلى معرفة الهيته التي هي مجموع عبادته على مراده نفياً واثباتاً علماً وعملا وجملة وتفصيلا .

وفي رسالة تفصيل الاجمال للعلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى . والكفار في العالم اما معطلة واما مشركة . والشرك في العالم اكثر من التعطيل . والقرآن يذكر فيه الرد على المعطلة تارة كالفرعون . وعلى المشركين

اكثر . ومرض الشرك فى الناس اكثر من مرض التعطيل . قال العبد الضعيف المعصومى حفظه الله تعالى فى الدارين عن كل مين وشين . وهذا هو المشاهد فانك اذا تتفكر فيما عليه الناس تجد اكثرهم مشركين اما باعتقاده ان الملائكة او الجن او الارواح او اصحاب الضرائح او بعض الاشجار او الاحجار ينفعه ويضره . او ان بعض الارواح والاموات يعلمون الغيب او يتصرفون فى الامور او أمثال ذلك . مما يدل على الشرك فى الربوبية والشرك فى العبادة او الشرك فى الاسماء والصفات . ولهذا قال تعالى ﴿ ومايؤمن اكثرهم ، بالله الا وهم مشركون ﴾

وفى المكتوب (١٦٧) للعارف السر هندى . ان الهنود يعتقدون ان الاله حل فى رام و كرشن وامثالهما من آلهة الهنود . وهم وان كانوا قائلين بوجود رب العالمين ولكنهم اثبتوا له سبحانه الحلول فيهم واتحاده بهم . فدعوا الخلق الى عبادتهم من هذه الجهة . والحال انهم من احقر مخلوقات الله تعالى . ومتولدات من المخلوقين . والاله المستحق للعبادة انما هو جناب الحق رب العالمين الذى لا اله سواه

وقال الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره . الحمدلله اثبات لوجود الله تعالى . ورب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين دليل على كونه تعالى مستحقاً للحمد . وها هنا دقيقة وهى ان علمنا بوجود الشئ اما ان يكون ضروريا اونظريا . لاجائز ان يقال ان العلم بوجود الاله ضرورى لانا نعرف بالضرورة انا لا نعرف وجود الاله بالضرورة فبقى ان يكون العلم به نظريا . والعلم النظرى لايمكن تحصيله الا بالدليل . ولا دليل

على وجود الاله الا ان هذا العالم المحسوس بما فيه من السماوات والارضين والجبال والبحار والمعادن والنبات والحيوان محتاج الى مدبر يدبره وموجد يوجده ومرب يربيه ومبق يبقيه . فكان قوله رب العالمين . اشارة الى الدليل الدال على وجود الاله القادر الحكيم وان العالمين اشارة الى كل ماسوى الله تعالى . فكل ماسواه فهو مفتقر اليه ومحتاج فى وجوده الى ايجاده وفى بقائه الى ابقائه (قال المعصومى سواء كان ملكا مقربا او نبيا مرسلا فمايزعمه المشركون من ان الارواح تمدهم او تتصرف فيهم باطل . فردا عليهم وهدما لاعتقادهم الفاسد قال الله تعالى ان المربى للعالم واهله هو الله وحده) و انما قال رب العالمين ولم يقل خالق العالمين . لان المليين كلهم معترفون بان الخالق هو الله وحده . وانما اختلفوا فى بقائه انه هل يحتاج الى تربية خالقه فزعم الوثنيون والبوديون والمشركون انه يكفيه تربية الارواح الزاكيات فرد الله تعالى عليهم بانه لايستغنى مخلوق ما عن تربية الله تعالى فهو يربى العالمين باجمعهم ارواحهم واجسادهم وانسهم وجنهم وملائكتهم . فلهذا قال ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

الحمد لله معناه ان الحمد والثناء حق لله وملكه . فانه تعالى هو المستحق للحمد بسبب كثرة اياديه وانواع الآئه على العباد . والحمد لله عبارة عن صفة القلب . وهى اعتقاد كون ذلك المحمود متفضلا منعما مستحقا للتعظيم والاجلال لذاته . واعلم ان حقيقة الحمد وماهيته عبارة عن كل فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعما . وذلك الفعل اما ان يكون فعل القلب اوفعل اللسان اوفعل الجوارح . اما فعل القلب

فهو ان يعتقد فيه كونه موصوفا بصفات الـكمال والاجلال . واما فعل اللسان فهو ان يذكر الفاظا دالة على كونه تعالى موصوفا بصفات الكمال واما فعل الجوارح فهو ان يأتى بافعال دالة على كون ذلك المنعم موصوفا بصفات الـكمال والاجلال . فهذا هو المراد من الحمد والله تعالى يربى مخلوقاته عموما والانسان خصوصا بوجوه كثيرة غير متناهية . فانظر الى قطرة النطفة اذا وقعت من صلب الاب الى رحم الام . فكيف صارت علقة اولا ثم مضغة ثانياً ثم تولدت منها اعضاء مختلفة مثل العظام والغضاريف والرباطات والاوتار والاوردة والشرايين ثم اتصل البعض بالبعض ثم حصل فى كل واحد منها نوع خاص من انواع القوى فحصلت القوة الباصرة فى العين والسامعة فى الاذن والناطقة فى اللسان فسبحان من اسمع بعظم وبصر بشحم وانطق بلحم وكتب التشريح تفصل ذلك وكل ذلك يدل على تربية الله للعبد

والمثال الثانى ان الحبة الواحدة اذا وقعت فى الارض فاذا وصلت نداوة الارض اليها انتفخت . ولا تنشق من شئ من الجوانب الا من أعلاها واسفلها مع ان الانتفاخ حاصل من جميع الجوانب اما الشق الاعلى فيخرج منه الجزء الصاعد من الشجرة . واما الشق الاسفل فيخرج منه الجزء الغائص فى الارض وهو عروق الشجرة . واما الجزء الصاعد فبعد صعوده يحصل له ساق . ثم ينفصل من ذلك الساق اغصان كثيرة ثم يظهر على تلك الاغصان ازهار وانوار اولا ثم الثمار ثانياً . ثم يحصل لتلك الثمار أجزاء مختلفة بالكثافة واللطافة . وهى القشور ثم اللبوب

ثم الادهان والحلاوة والروائح . وأما الجزء الغائص من الشجرة فان تلك العروق تنتهى الى أطرافها وتجذب الى نفسها المياه غاصة فى الارض الصلبة الخشنة . والحكمة فى كل هذه التدبيرات تحصيل مايحتاج العبد اليه من الغذاء والادام والفواكه والاشربة والادوية . وانه تعالى وضع الافلاك والكواكب بحيث صارت أسباباً لحصول مصالح العباد فخلق الليل ليكون سببا للراحة والسكون . وخلق النهار ليكون سبباً للمعاش والحركة . واذا تاملت فى عجائب احوال المعادن والنبات والحيوان وآثار حكمة الرحمن فى خلق الانسان قضى صريح عقلك بان اسباب تربية الله كثيرة ودلائل رحمته لائحة ظاهرة . وعند ذلك يظهر لك قطرة من بحار اسرار قوله ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾

أن سورة الفاتحة جامعة لكل ما يحتاج الانسان اليه من معرفة المبدء والمعاد والوسط . فالحمد لله رب العالمين . اشارة الى اثبات الصانع المختار . والطريق المعتمد فى اثبات الصانع فى القرآن هو الاستدلال بخلق الانسان على ذلك الا ترى ان ابراهيم عليه السلام قال ﴿ ربى الذى يحيي ويميت ﴾ وقال فى موضع آخر ﴿ الذى خلقنى فهو يهدين ﴾ وقال موسى عليه السلام ﴿ ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى ﴾ وقال فى موضع آخر ﴿ ربكم ورب آبائكم الاولين ﴾ وقال تعالى فى اول سورة البقرة ﴿ يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ وقال تعالى فى أول ما أنزل على سيدنا محمد ﷺ ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ﴾ فهذه الآيات تدل على انه

تعالى استدل بخلق الانسان على وجود الصانع تعالى . وإذا تأملت فى القرآن وجدت هذا النوع من الاستدلال فيه كثيراً جداً .

وها انا أذكر هنا بعض تلك الآيات التى حمدالله تعالى بها نفسه . وافاد انه الخالق المنعم الكريم المستحق لجميع المحامد وانه هو الذى يدبر أمور عباده . كما افتتح الله تعالى سورة الانعام بقوله ﴿ الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾ ﴿ وهو الله فى السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون ﴾ ﴿ قل لمن مافى السموات والارض . قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه . الذين خسروا انفسهم فهم لايؤمنون ﴾ ﴿ قل أغير الله اتخذ وليًا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم . قل انى أمرت ان أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين ﴾ ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ﴾ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية انه لا يحب المعتدين ﴾ وفى سورة يونس ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ، ما من شفيع الا من بعد اذنه ، ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ، اليه مرجعكم جميعاً ، وعد الله حقا ، انه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط ، والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون ﴾ ﴿ قل من يرزقكم

من السماء والارض امّن يملك السمع والابصار ، ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ومن يدبر الامر ، فسيقولون الله ، فقل افلا تتقون * فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون * وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ان الظن لا يغنى من الحق شيئا ان الله عليم بما يفعلون ﴾ وفى سورة المؤمنون ﴿ قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون * سيقولون لله ، قل افلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله ، قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون لله ، قل فانى تسحرون ﴾ وفى سورة الفرقان ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، الذى له ملك السموات والارض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ، وخلق كل شىء فقدّره تقديرا . واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون . ولا يملكون لانفسهم ضراً ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشوراً ﴾ وفى سورة النمل ﴿ قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون . امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون * أمن جعل الارض قراراً وجعل خلالها انهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً االه مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون * أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض ، االه مع الله قليلا ما تذكرون . أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن

يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته ، أأله مع الله . تعالى الله عما يشركون .
أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض ، أأله مع الله
قل هاتو برهانكم ان كنتم صادقين . قل لا يعلم من فى السموات
والارض الغيب الا الله . وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ وفى سورة القصص
﴿ وهو الله لا إله الا هو له الحمد فى الاولى والآخرة ، وله الحكم واليه
ترجعون ﴾ وفى آخر سورة العنكبوت ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون . ولئن سألتهم
من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله ، قل الحمد
لله بل أكثرهم لا يعقلون . فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له
الدين ، فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون . ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا
فسوف يعلمون . والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين .
وفي سورة لقمان ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . ذلك بان الله هو الحق وان ما يدعون
من دونه الباطل ، وان الله هو العلى الكبير . واذا غشيهم موج كالظلل
دعووا الله مخلصين له الدين ، فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد
بآياتنا إلا كل ختار كفور * يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا
يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جازعن والده شيئا . ان وعد الله حق
فلا تغرنكم الحياة الدنيا . ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ وفى سورة الزمر
﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ، قل أفرأيتم
ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو

أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته ، قل حسبي الله ، عليه يتوكل المتوكلون . ام اتخذوا من دون الله شفعاء ، قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون . قل لله الشفاعة جميعا ، له ملك السموات والارض ، ثم اليه ترجعون . واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون. الله خالق كل شيء، وهو على كل شيء وكيل. له مقاليد السموات والارض، والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون . قل أفغير الله تأمروني أعبد ايها الجاهلون ولقد أوحي اليك وإلى الذين من قبلك . لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين. بل الله فاعبد وكن من الشاكرين .وماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ وفي آخر سورة الزخرف ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فاني يؤفكون ﴾ وفي سورة الحشر هو الله الذي لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له مافي السموات والارض وهو العزيز الحكيم (وسبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى)

وبالجملة لو تتفكر في هذه الايات وامثالها علمت يقينا ان كل شيء منه تعالى بدأ واليه يعود. وليس لاحد سواه شيء في الحقيقه .وهو الرب

الكريم والرؤف الرحيم . فهو المستحق للعبادة والحمد والتعظيم والتبجيل جل جلاله وعم نواله . فينبغى على العبد المؤمن ان يسلك فى هذا المسلك الذى هو مسلك سيد الحنفاء سيدنا ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام . كما حكى الله تعالى عنه فى سورة الشعراء (واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين . قال هل يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون. فانهم عدو لى الا رب العالمين . الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين . والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين)

قال العلامة العماد ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية هذا اخبار من من الله تعالى عن عبده ورسوله وخليله ابراهيم عليه السلام امام الحنفاء . فامر الله تعالى رسوله محمدا ﷺ ان يتلوه على امته ليقتدوا به فى الاخلاص والتوكل وعبادة الله وحده لا شريك له . والتبرى من الشرك وأهله . فان الله تعالى . آتى ابراهيم عليه السلام رشده من صغره الى كبره وانكر على قومه عبادة الاصنام مع الله عز وجل وافاد انى لا اعبد الا الذى خلق الخلق وقدر الاقدار وهدى الخلائق اليه . وهو الخالق الرازق بما سخر و يسر من الاسباب السماوية والارضية . اﻫ .

فقوله تعالى (الحمد لله رب العالمين) صريح فى ان التربية لجميع العالمين مختصة بالله تعالى فلا رب فى الحقيقة سواه . واعلم ان التربية

قسمان . تربية حقيقية وتربية ظاهرية فالحقيقية مختصة بالله تعالى، لايشاركه فيها احد . كتربية السموات والارضين واجرائها حسب مصلحة العباد . وكتربية النطفة والجنين فى بطن الام . وكانماء الاجسام والحفظ عن الاقسام والافات ونحوها . وكاعطاء التوفيق والهداية وامثالها . واما التربية الظاهرية فكتربية الام ولدها بالارضاع والتنظيف والتطعيم ونحوها . وكتربية الاب والمعلم بالتعليم تعليم العلوم الدينية والاخلاق الفاضلة والصنائع والحفظ عن مخالطة القرناء السوء وكتربية الزراع والبستانى زرعه وبستانه بالسقى واخراج الحشائش الضارة . والتلقيح وغير ذلك وكتربية الدواب والمواشى بالاعلاف والاسقاء وامثال ذلك فهذه التربيات هى التى تختص بنوع البشر. واما التربية التى يدعيها بعض الصوفية من ان الارواح تربى المخلصين لها ويسمونها تربية روحانية فيعكفون على قبور المشايخ وينذرون اليها ويطلبون من اصحابها التربية فهذه هي التى جاء الشرع المحمدى لمحوها واعدامها. لانها من دين المجوس وعادات من الوثنية. فعليك يا ايها المسلم ان تعرف هذه القاعدة وتحافظ عليها . وان تعتقد ان الرب لجميع العالمين فى الحقيقة هو الله تعالى وحده .وسواء فيه النبي والملك والاولياء وجميع انواع الانس واصناف الجن فان كلهم مربون لا ارباب. وفقراء ومحتاجون الى تربية الرب الرحمن الرحيم . والتربية الظاهرة هى ايضاً من الله في الحقيقة . لانه تعالى هداه والهمه . فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . فهو حسبنا وعليه توكلنا .

واما قوله تعالى (الرحمن الرحيم) فآية ثانية من الفاتحة الشريفة وتقدم معناهما فى البسملة . وبقى الكلام فى اعادتهما هنا . والنكتة فيها ظاهرة وهى ان تربيته تعالى للعالمين ليست لحاجة به اليهم كجلب منفعة او دفع مضرة . وانما هى لعموم رحمته وشمول احسانه . وثم نكتة اخرى وهى ان البعض يفهم من معنى الرب الجبروت والقهر . فاراد الله تعالى ان يذكرهم برحمته واحسانه ليجمعوا بين اعتقاد الجلال والجمال . فذكر الرحمن وهو المفيض للنعم بسعة وتجدد لا منتهى لهما . والرحيم الثابت له وصف الرحمة لا يزايله ابداً فكأن الله تعالى اراد ان يتحبب الى عباده فعرفهم ان ربوبيته ربوبية رحمة واحسان ليعلموا ان هذه الصفة هى التى ربما يرجع اليها معنى الصفات وليتعلقوا به ويقبلوا على اكتساب مرضاته منشرحة صدورهم مطمئنة قلوبهم . ولا ينافى فى عموم الرحمة وسبقها ما شرعه الله من العقوبات فى الدنيا وما اعده من العذاب فى الاخرة للذين يتعدون الحدود وينتهكون الحرمات فانه وان سمى قهراً بالنسبة لصورته ومظهره فهو فى حقيقته وعاقبته وغايته من الرحمة لان فيه تربية للناس وزجراً لهم عن الوقوع فيما يخرج عن حدود الشريعة الالهية . وفى الانحراف عنها شقاؤهم وبلاؤهم وفى الوقوف عندها سعادتهم ونعيمهم . والوالد الرؤف يربى ولده بالترغيب فيما ينفعه والاحسان اليه اذا قام به وربما لجاء الى الترهيب والعقوبة اذا اقتضى ذلك الحال . ولله المثل الاعلى لا اله الا هو واليه يرجعون كما افاده الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده فى تفسيره .

قال العلامة الحافظ ابن كثير فى تفسيره قال القرطبى انما وصف نفسه بالرحمن الرحيم بعد قوله رب العالمين ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب كما قال تعالى (نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم . وان عذابى هو العذاب الاليم) وقوله تعالى) ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور الرحيم) فالرب فيه ترهيب والرحمن الرحيم فيه ترغيب .

وقال العلامة الفخر الرازى فى تفسيره مفاتيح الغيب (الرحمن الرحيم) واعلم ان الحوادث على قسمين منه ما يظن انه رحمة مع انه لا يكون كذلك . بل يكون فى الحقيقة عذاباً ونقمة ومنه ما يظن في الظاهر انه عذاب ونقمة مع انه يكون فى الحقيقة فضلا واحساناً ورحمة فالاول كالوالد اذا اهمل ولده حتى يفعل ما يشاء ولا يؤدبه ولا يحمله على التعلم فهذا فى الظاهر رحمة وفى الباطن نقمة والثانى فكالوالد ايضاً اذا حبس ولده فى المكتب وحمله على التعلم وهذا فى الظاهر نقمة وفى الحقيقة نعمة ورحمة . وكذلك الانسان اذا وقع فى يده الا كلة فاذا قطعت تلك اليد فهذا فى الظاهر عذاب وفى الباطن راحة و رحمة فالابله يغتر بالظاهر والعاقل ينظر فى السرائر فاذا عرفت هذا فكل ما فى العالم من محنة وبلية فلا يخلو عن حكمة ورحمة ، والمقصود من التكاليف تطهير الارواح عن العلائق الجسمانية ، كما قال تعالى ﴿ ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم ﴾ والمقصود من خلق النار صرف الاشرار إلى اعمال الابرار ، وجذبها من دار الفرار إلى دار القرار ، فاذا رأيت

مايكره طبعك وينفر عنه عقلك فاعلم ان تحته اسراراً خفية وحكما بالغة. وان حكمته تعالى ورحمته اقتضت ذلك . وعند ذلك يظهر لك أثر من بحار اسرار قوله ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ .

فعلى العبد المؤمن أن يلاحظ هـذه الصفة ، ويعتقد أن ربه هو الرحمن الرحيم الذى أرحم له من والديه ، فيعتمد عليه وينيب اليه ويتوكل عليه ويخلص أعماله له عزوجل ، فاذا اتصف العبد بهذه الصفة فلاشك أنه يكون من أهل السعادة فى الدنيا والآخرة ، فتكون فاتحة الكتاب شفاء له من داء الكفر والشرك والنفاق والضلال فنحمدك ياربنا ورب العالمين الرحمن الرحيم .

وأما قوله تعالى ﴿ مالك يوم الدين ﴾ فآية ثالثة من أم الكتاب، قرأ عاصم والكسائى ويعقوب (مالك) والباقون (ملك) وعليها أهل الحجاز ، والفرق بينهما أن المالك ذو الملك . بكسر الميم ، والملك ذوالملك (بضمها) والقرآن يشهد للأولى بمثل قوله ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ﴾ وللثانية بقوله ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ قال بعضهم ان قراءة ملك أبلغ لأن هذا اللفظ يفهم منه معنى السلطان والقوة والتدبير، وقال آخرون أن القراءة الأولى أبلغ لأن الملك هو الذى يدبر أعمال رعيته العامة . ولا تصرف له بشئ من شئونهم الخاصة ، والدين يطلق فى اللغة على المكافأة . وقد ورد . كما تدين تدان . وعلى الجزاء وهو قريب من معنى المكافأة . وعلى الطاعة وعلى الاخضاع وعلى السياسة ؛ يقال دين فلان فلاناً ، أى تولى سياسته . وهو قريب من معنى الاخضاع وعلى الشريعة

وما يؤخذ العباد به من التكاليف ، والمناسب هنا من هذه المعانى الجزاء والخضوع . وانما قال يوم الدين . ولم يقل الدين لتعريفنا بان الدين يوما ممتازاً عن سائر الأيام، وهو اليوم الذى ياتى فيه كل عامل عمله ويوفى جزاءه.

واذا قال قائل ، أليست كل الأيام أيام جزاء ، وكل ما يلاقيه الناس فى هذه الحياة من البؤس هو جزاء على تفريطهم فى أداء الحقوق، والقيام بالواجبات التى عليهم، والجواب بلى ان أيامنا التى نحن فيها قد يقع فيها الجزاء على أعمالنا ولكن ربما لا يظهر لاربابه ؛ إلا على بعضها دون جميعها . والجزاء على التفريط فى العمل الواجب انما يظهر فى الدنيا ظهوراً تاماً بالنسبة لمجموع الأمة لا لكل فرد من الافراد . فما من أمة انحرفت عن صراط الله المستقيم ، ولم تراع سننه فى خليقته إلا وأحل بها العدل الآلهى ماتستحق من الجزاء كالفقر والذلة وفقد العزة والسلطة . وأما الافراد فاننا نرى كثيراً من المسرفين الظالمين يقضون أعمارهم منغمسين فى الشهوات واللذات . نعم أن ضمائرهم توبخهم أحياناً وانهم لا يسلمون من المنغصات ، وقد يصيبهم النقص فى أموالهم وعافية ابدانهم وقوة عقولهم . ولكن هذا كله لم يقابل بعض أعمالهم القبيحة ، لاسيما الملوك والامراء الذين تشقى باعمالهم السيئة امم وشعوب. وكذلك نرى من المحسنين فى أنفسهم وللناس من يبتلى ببهضم الحقوق . ولاينال من الجزاء على عمله شيئاً مما يستحقه . وان كان قد ينال من الجزاء رضى نفسه وسلامة أخلاقه وصحة ملكاته . ولكن ذلك ليس كل مايستحق . وفى ذلك اليوم يوفى كل فرد من افراد العالمين جزاءه كاملا لا يظلم شيئاً منه . كما قال تعالى

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾
وقد علمنا الله تعالى أنه رحمن رحيم ليجذب قلوبنا اليه . ولكن هل يشعر كل عباده بهذه المنة . فينجذبوا اليه الانجذاب المطلوب . كلا فينا من يسلك كل سبيل لايبالى بمستقيم ومعوج . ولهذا أعقب الله سبحانه ذكر الرحمة بذكر الدين فعرفنا انه يدين العباد ويجازيهم على اعمالهم . فكان من رحمته بعباده ان رباهم بنوعى التربيه كليهما . الترغيب والترهيب . كما تشهد بذلك آيات القرآن الكثيرة ﴿ نبيء عبادى انى أنا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم ﴾

ومعلوم ان التربية يعوزها أمران الرحمة والشدة . فاذا لم تكن الرحمة اوعدم الجزاء والمكافأة بالاحسان والاساءة كانت التربية ناقصة . ولقد جعل الله الام أقرب الى الرحمة . والاب أقرب الى الشدة والمجازاة فاذا فقد أحدهما ساءت التربية فاشار تعالى الى الاول بقوله ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ والى الثانى بقوله ﴿ مالك يوم الدين ﴾ أعنى مالك الامر يوم الجزاء والجزاء تابع للاعمال .

وترى حكومات الارض قاطبه نصبت القضاة وأقامت الجنود وجعلت لها دور للحبس وأخرى لاكرام الضيف والوافدين من الاقطار ووضعت القوانين والحدود وذلك سائر على نظام في مشارق الارض ومغاربها ولكن القانون البشرى يلحقه الخطأ لخلل فيه أو لضلال القضاة والحكام اوجهلهم جعل الله الجزاء الاوفى يوم القيامة لتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون .

فالله عز وجل مالك جميع الامور محيط بالخلق فى الدنيا والآخرة يثيب الطائعين والعاملين ويقهر العاصين والكاسلين . ويذل الباغين أما فى الدنيا وأما فى الاخرة وأما فيهما معا . وبهذا تمت التربية ونظام العالم. فجميع المحامد راجعة اليه لانه المحسن الحقيقى . وفوق الحمد أنه يختص بالعبادة التى هى غاية الخضوع ومنه طريق معبد أي مذلل . فكأن القارئ يقول يامن اتصف بهذه الصفات التى يمتاز بها عما عداه ﴿ إياك نعبد ﴾ اى نخصك بالعبادة والخضوع فضلا عن الحمد . هكذا قرره العلامة الشيخ محمد عبده والجوهرى الطنطاوى جازاهما الله تعالى عن الاسلام خيرا :

وقال العلامة الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى وتخصيص الملك بيوم الدين لاينفيه عما عداه . لانه قد تقدم الاخبار بانه رب العالمين وذلك عام فى الدنيا والاخرة . وانما أضيف الى يوم الدين لانه لايدعى احد هناك شيئا ولا يتكلم احد الا باذنه كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لايتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا) وقال ابن عباس رضى الله عنهما لايملك احد معه فى ذلك اليوم حكما كملكهم فى الدنيا و يوم الدين و يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة يدينهم باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر الامن عفى عنه وهذا ظاهر . والملك فى الحقيقة هو الله عز وجل . والدين الحساب والجزاء كما قال تعالى (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق . وائنا لمدينون) اى مجزيون محاسبون وفى الحديث (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) اى حاسب نفسه لنفسه كما قال عمر رضى الله عنه (حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا) و زنوا انفسكم قبل ان توازنوا).

وتأهبوا للعرض الاكبر على من لا تخفى عليه اعمالكم) (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) وقال العلامة البيضاوى . واجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه موجداً للعالمين ربا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها و باطنها عاجلها وآجلها . مالكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه الحقيق بالحمد لا احد احق به منه . بل لا يستحقه على الحقيقة احد سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له . وللاشعار من طريق المفهوم على ان من لم يتصف بتلك الصفات لا يستأهل لان يحمد فضلا عن ان يعبد فيكون دليلا على ما بعده فالوصف الاول لبيان ماهو الموجب للحمد وهو الايجاد والتربية . والثانى والثالث للدلالة على انه متفضل بذلك مختار فيه ليس يصدر منه لايجاب بالذات او وجوب عليه قضية لسوابق الاعمال يستحق به الحمد . والرابع لتحقيق الاختصاص فانه مما لا يقبل الشركة بوجه ما . وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين .

وقال العلامة الفخر الرازى (مالك يوم الدين اى مالك يوم البعث والجزاء . وتقريره أنه لا بد من الفرق بين المحسن والمسيء والمطيع والعاصى والموافق والمخالف . وذلك لا يظهر إلا فى يوم الجزاء كما قال تعالى ﴿ ليجزي الذين أساؤا بما عملوا ويجزىٔ الذين أحسنو بالحسنى وأم نجعل الذين آمنو وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾ وان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى ﴾ وذلك الوقت هو يوم الدين فينتقم فيه من الظالم للمظلوم . وأما الدنيا فدار عمل.

وقال المحقق العارف الشيخ احمد السرهندى فى المكتوب (٧٤) من مكتوباته . ان يوم القيامة تختص فيه المالكية والملكية . سواء كانت بطريق الحقيقة أو المجاز بمالك يوم الدين . ويومئذ ينادى الحق سبحانه ويقول ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ ويقول فى جوابه بنفسه ﴿ لله الواحد القهار ﴾ وليس للعباد فى ذلك اليوم شئ سوى الهول والدهشة والندم والحسرة . وقد أخبر الله تعالى في القرآن المجيد عن شدة ذلك اليوم . فلا بد أن لا يغتر أحد بأحد ، ولا يعتمد أحد لاحد إلا الله الواحد القهار .

قال العبد الضعيف المعصومى عفى الله تعالى عنه وأنا أذكر هنا بعض الآيات أيضاحا للمقام قال الله تعالى فى سورة آل عمران ﴿ فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ، ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ، يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وما عملت من سوء ، ، تودلو ان بينها وبينه أمداً بعيداً ، ويحذركم الله نفسه ، والله رؤف بالعباد ﴾ وفيها أيضاً : خطابا لسيد البشر محمد ﷺ ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ، ، لله مافى السموات ومافى الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، والله غفور رحيم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ وفى سورة النساء ﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ، ومن أصدق من الله حديثا ﴾ وفى سورة الفرقان ﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ، وكان يوماً على الكافرين عسيراً ، ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا ، ياويلتا ليتنى لم اتخذ فلاناً خليلا ، لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنى ، وكان الشيطان للانسان

خذولا ﴾ وفى سورة المؤمن ﴿ يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم ؛ لله الواحد القهار ؛ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم ؛ إن الله سريع الحساب ، والله يقضى بالحق ؛ والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ ، إن الله هو السميع البصير ﴾ وفى سورة الدخان ﴿ إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ، يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون ، إلا من رحم الله ، إنه هو العزيز الرحيم ﴾ وفي سورة الانفطار ﴿ وما أدراك ما يوم الدين ، ثم ما أدرك ما يوم الدين ؛ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله ﴾ .

فانظر يا أخى إلى هذه الآيات وتفكر فيها ، فانه لا ينفعك يوم القيامة إلا إيمانك وأعمالك الصالحة ، ولا يرحمك ولا يغفرك إلا الله وحده ؛ ولا يشفع أحد لاحد إلا بعد إذن الله تعالى لأهل الايمان ، فلا تغتر بما أغترت به النصارى وعبدة الاوثان من أن فلاناً وفلانا يشفع أو ينفع ، أو يدخل الجنة وينجيه من النار ، فان هذه كلها هوس وخيال أخترعتها أوهام الدجاجلة وافكار الابالسة فالحذر كل الحذر ، من الاعتماد على غير الله الواحد القهار . اللهم ثبتنا على دينك فانك مالك قلوبنا ، فتهدى من تشاء وتضل من تشاء بيدك الخير انك على كل شئ قدير .

وأما قوله تعالى ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فآية رابعة من أم الكتاب . لما ثبت أن جميع المحامد راجعة اليه تعالى لانه المحسن الحقيقى ، وفوق الحمد يختص تعالى بالعبادة التى هى غاية الخضوع . فكأن القارئ يقول : يا من اتصف بهذه الصفات التى يمتاز بها عما عداه ﴿ إياك نعبد ﴾

أي نخصك بالعبادة والخضوع فضلا عن الحمد . فالنصف الاول من هذه السورة أحضر فى قلب القارىء الصفات المميزة للربوبية . فلما تمثلت فى قلبه وذهنه تلك العظمة صارت كأنها مشاهدة أمامه فالتفت عن الغيبة الى الخطاب وكأنه يشاهده ويراه كما فى الحديث ﴿ الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ﴾ ولن يكون ذلك الا باستحضار صفاته العالية فى قلبه . والى هنا وصل القارىء الى آخر درجات التقرب وهو الخضوع والتذلل كما فى قوله تعالى ﴿ واسجد واقترب ﴾ فلم يبق بعدها الا السؤال والطلب من المتقرب اليه فقال ﴿ وإياك نستعين ﴾ فى أمورنا الدنيوية والاخروية . كالصحة والغنى والمال والولد . واهم الحاجات أداء العبادات والهداية الى الصراط المستقيم فكأنه يقول نحن نعبدك ولن نقدر على أداء العبادة الا اذا أعنتنا . ولما طلب العبد الاستعانة بالله كأنه قيل له ما أهم ما تستعين فيه فقال العبد ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾

قال العلامة البيضاوى . انه تعالى لما ذكر الحقيق بالحمد . ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات . وتعين العلم بمعلوم معين خوطب بذلك . إى يامن هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة ليكون أدل على الاختصاص . وللترقى من البرهان الى العيان . والانتقال من الغيبة الى الشهود فكأن المعلوم صار عيانا . والمعقول مشاهدا . والغيبة حضورا . بنى اول الكلام على ما هو مبادى حال العارف من الذكر والفكر والتأمل فى أسمائه والنظر فى آلائه الاستدلال بصنائعه على عظيم شأنه . وباهر سلطانه ثم قفى بما هو

منتهى أمره . وهو أن يخوض لجة الوصول . ويصير من أهل المشاهدة فيراه عيانا ويناجيه شفـاها. اللهم اجعلنـا من الواصلين للعين دون السامعين للأثر

والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل . والاستعانة طلب المعونة. وتقديم المفعول للحصر . ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك . وقدمت العبادة على الاستعانة ليعلم منه أن تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى الى الاجابة .

قال العلامة المحقق الشيخ محمد عبده فى تفسيره . العبادة ماهى . يقولون هى الطاعة مع غاية الخضوع واذا تتبعنا آى القرآن وأساليب اللغة واستعمال العرب لعَبَدَ وما يماثلها ويقاربها فى المعنى كخضع وخنع واطاع وَذَلَّ نجد انه لاشيء من هذه الالفاظ يضاهى عَبَدَ. ويحل محلها ويقع موقعها ولذا قالوا ان لفظ العباد . مأخوذ من العبادة فتكثر إضافته الى الله تعالى ولفظ العبيد تكثر اضافته الى غير الله تعالى لانه مأخوذ من العبودية بمعنى الرق وفرق بين العبادة والعبودية بذلك المعنى ومن هنا قال بعض العلماء ان العبادة لاتكون فى اللغة الا لله تعالى . تدل الاساليب الصحيحة والاستعمال العربى الصراح على ان العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية . ناشئ عن استشعار القلوب عظمة للمعبود ولا يعرف منشاؤها واعتقاده بسلطة له لايدرك كُنْهُهَا وماهيتها ،وقصارى ما يعرفه منها انها محيطة به ولـكنها فوق ادراكه فمن ينتهى إلى اقصى الذل لملك من الملوك لا يقال انه عبده ،وان قبل مواطىء اقدامه مادام سبب الذل والخضوع معروفا وهو الخوف من

ظلمه المعهود ، أو الرجاء بكرمه المحدود اللهم الا بالنسبة للذين يعتقدون ان الملك له قوة غيبية سماوية أفيضت على الملوك من الملأ الاعلى ، واختارتهم للاستعلاء على سائر أهل الدنيا ، لانهم أطيب الناس عنصراً وأكرمهم جوهراً ، وهؤلاء هم الذين انتهى بهم هذا الاعتقاد إلى الكفر والالحاد فاتخذوا الملوك آلهة وأربابا وعبدوهم عبادة حقيقية ، وللعبادة صور كثيرة فى كل دين من الاديان شرعت لتذكير الانسان بذلك الشعور بالسلطان الالهى الاعلى الذى هو روح العبادة وسرها ، ولكل عبادة من العبادات الصحيحة اثر فى تقويم اخلاق القائم بها ، وتهذيب نفسه ، والأثر انما يكون عن ذلك الروح والشعور الذى قلنا انه منشا التعظيم والخضوع ، فاذا وجدت صورة العبادة خالية من هذا المعنى لم تكن عبادة (أى حقيقية) كما ان صورة الانسان وتمثاله ليس انساناً .

خذ اليك عبادة الصلاة مثلا ، وانظر كيف امر الله تعالى باقامتها دون مجرد الاتيان بها ، واقامة الشيء هى الاتيان به مقوماً كاملا يصدر عن علته وتصدر عنه آثاره ، وآثار الصلاة ونتائجها هى ما انبأنا الله تعالى بها بقوله ﴿ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . وان الانسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين ﴾ وقد توعد الذين يأتون بصورة الصلاة من الحركات والالفاظ مع السهو عن معنى العبادة وسرها فيها المؤدي إلى غايتها بقوله ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون ﴾ فسماهم مصلين لانهم اتوا بصورة الصلاة ، ووصفهم بالسهو عن الصلاة الحقيقية التى

هى توجه القلب إلى الله تعالى المذكر بخشيته ، والمشعر للقلوب بعظيم سلطانه ، ثم وصفهم بأثر هذا السهو وهو الرياء ومنع الماعون .

ان التوحيد اهم ماجاء لاجله الدين ، ولذلك لم يكتف فى الفاتحة بمجرد الاشارة اليه بل استكمله بقوله ﴿ اياك نعبدواياك نستعين ﴾ فاجتث بذلك جذور الشرك والوثنية التى كانت فاشية فى جميع الامم ، وهى اتخاذ أولياء من دون الله تعتقد لهم السلطة الغيبية ، ويدعون لذلك من دون الله ويستعان بهم على قضاء الحوائج فى الدنيا ، ويتقرب بهم إلى الله زلفى ؛ وجميع ما فى القرآن من آيات التوحيد ومقارعة المشركين فهو تفصيل لهذا الاجمال وقد أمرنا الله تعالى بتوحيده وعبادته رحمة منه سبحانه بنا ، لانه لمصلحتنا ومنفعتنا ؛ وقوله تعالى ﴿ مالك يوم الدين ﴾ يتضمن الوعد والوعيد معا لان معنى الدين الخضوع ، أى ان له تعالى فى ذلك اليوم السلطان المطلق والسيادة التى لا نزاع فيها لا حقيقة ولا ادعاء ، وان العالم كله يكون فيه خاضعا لعظمته ظاهرا وباطنا يرجو رحمته ويخشى عذابه .

والفاتحة بجملتها تنفخ روح العبادة فى المتدبر لها ؛ وروح العبادة هى اشراب القلوب خشية الله وهيبته والرجاء لفضله ، لا الاعمال المعروفة من فعل وكف وحركات اللسان والاعضاء ، فقد ذكرت العبادة فى الفاتحة قبل ذكر الصلاة واحكامها والصيام وايامه . وكانت هذه الروح فى المسلمين وانما الحركات والسكنات والاعمال مما يتوسل به الى حقيقة العبادة ، ومخ العبادة الفكر والعبرة .

ولا يخفاك ان ملاحظة الغير ينا فى الاخلاص فمن جملتها الرياء وهو ضربان . رياء النفاق وهو العمل لاجل رؤية الناس ورياء العادة وهو العمل بحكمها من غير ملاحظة معنى العمل وسره وفائدته ولا ملاحظة من يعمل له ويتقرب اليه به وهو ما عليه اكثر الناس فان صلاة احدهم فى طور الرشد والعقل هى عين ما كان يحاكى به اباه فى طور الطفولية عند ما يراه يصلى يستمر على ذلك بحكم العادة من غير فهم ولا عقل وليس لله شئ فى هذه الصلاة . وقد ورد فى احاديث كثيرة (ان من لم تنهه صلاته من الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعداً) وانها تلف كما يلف الثوب البالى ويضرب بها وجهه) والاستعانة هى طلب المعونة والمعونة هى سد العجز والمساعدة على اتمام العمل الذي يعجز عنه المستعين بنفسه . وقد حصر الله العبادة والاستعانة فى ذاته تعالى الذى دل عليه تقديم المفعول (اياك) على الفعل مثاله ان الله تعالى امرنا بان لا نعبد غيره لان السلطة الغيبية التى هى وراء الاسباب ليست الا له دون غيره فلا يشاركه فيها احد فيعظم تعظيم العبادة وامرنا بان لا نستعين بغيره ايضا وهذا يحتاج الى البيان لانه امرنا ايضا فى ايات اخرى بالتعاون فقال (وتعاونوا على البر والتقوي) فما معنى حصر الاستعانة به مع ذلك

الجواب ان كل عمل يعمله الانسان تتوقف ثمرته ونجاحه على حصول الاسباب التى اقتضت الحكمة الالهية ان تكون مؤدية اليه وانتفاء الموانع التى من شأنها بمقتضى الحكمة ان تحول دونه وقد مكن الله الانسان بما اعطاه من العلم والقوة من دفع بعض الموانع وكسب

بعض الاسباب وحجب عنه البعض الاخر فيجب علينا ان نقوم بما فى استطاعتنا من ذلك ونبذل فى اتقان اعمالنا كل ما نستطيع من حول وقوة وان نتعاون ويساعد بعضنا بعضا على ذلك ونفوض الامر فيما وراء كسبنا الى القادر على كل شئ ونلجاء اليه وحده ونطلب المعونة المتممة للعمل والموصلة لثمرته منه سبحانه دون سواه اذ لا يقدر على ما وراء الاسباب الممنوحة لكل البشر على السواء الا مسبب الاسباب ورب الارباب فقوله تعالى (واياك نستعين) متمم لمعنى قوله (اياك نعبد) لان الاستعانة بهذا المعنى فزع من القلب الى الله وتعلق من النفس به وذلك من مخ العبادة فاذا توجه العبد بها الى غير الله تعالى كانت ضربا من ضروب العبادة الوثنية التي كانت ذائعة فى زمن التنزيل وقبله وخصت بالذكر لئلا يتوهم الجهلاء ان الاستعانة بمن اتخذوهم اولياء من دون الله واستعانوا بهم فيما وراء الاسباب المكتسبة لعامة الناس هى كالاستعانة بسائر الناس فى الاسباب العامة فاراد الحق جل شأنه ان يرفع هذا اللبس عن عباده ببيان ان الاستعانه فيما هو فى استطاعة الناس بالناس انما هى ضرب من استعمال الاسباب المسنونة وما منزلتها الا كمنزلة آلات فيما هى آلات له.

بخلاف الاستعانة فى شؤون تفوت القدرة والقوى المعروفة فى متناول الفهم كالاستعانة على شفاء المرض بما وراء الدواء وغلبة العدو بما وراء العدة والعدة فان ذلك مما لا يجوز الفزع به لغير الله تعالى صاحب السلطان الاعظم على ما لا يصل اليه سلطان احد من اهل العالم

ومثلا الزراع يبذل جهده فى الحرث والعذق وتسميد الارض وريها ويستعين بالله تعالى على اتمام ذلك بمنع الآفات والجوائح السماوية او الارضية ومثلا التاجر يحذق فى اختيار الاصناف ويمهر فى صناعة الترويج . ثم يتوكل على الله فيما بعد ذلك .

ومن هنا تعلمون أن الذين يستعينون باصحاب الأضرحة والقبور على قضاء حوائجهم وتيسير أمورهم وشفاء امراضهم ونماء حرثهم وزرعهم . وهلاك أعدائهم وغير ذلك من المصالح ، فهم عن صراط التوحيد ناكبون ، وعن ذكر الله معرضون .

أرشدتنا هذه الكلمة الوجيزة ﴿ وإياك نستعين ﴾ إلى أمرين عظيمين هما معراج السعادة فى الدنيا والآخرة . احدهما أن نعمل الاعمال النافعة ونجتهد فى اتقانها ما استطعنا . لان طلب المعونة لايكون إلا على عمل بذل فيه المرء طاقته فلم يوفه حقه أو يخشى إن لا ينجح فيه فطلب المعونة على اتمامه واكماله ، ومن وقع من يده القلم على المكتب لايطلب المعونة من أحد على امساكه ، وأما من وقع تحت عبء ثقيل يعجز عن النهوض به وحده فهو يطلب المعونة من غيره على رفعه بعد استفراغ القوة فى الاستقلال به ، وهذا الامر هو مرقاة السعادة الدنيوية .وركن من اركان السعادة الاخروية. وثانيهما ما أفاده الحصر من وجوب تخصص الاستعانة بالله تعالى وحده فيما وراء ذلك. وهو روح الدين. وكمال التوحيد الخالص الذى يرفع نفوس معتقديه ويخلصها من رق الاغيار ؛ ويفك ارادتهم من اسر الرؤساء الروحانيين، والشيوخ الدجالين ، ويطلق عزائمهم

من قيد المهيمنين الكاذبين ، من الاحياء والميتين ، فيكون المؤمن مع الناس حراً خالصاً وسيداً كريماً ، ومع الله عبداً خاضعاً ﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما﴾ .

قال العلامة ابن كثير فى تفسيره الشهير ﴿إياك نعبد﴾ العبادة فى اللغة الذلة ، يقال طريق معبد و بعير معبد أى مذلل وفى الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف . وقدم المفعول وهو أياك وكرر للاهتمام والحصر . أى لا نعبد إلا إياك ، ولا نتوكل إلا عليك . وهذا هو كمال الطاعة والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين . وهذا كما قال السلف الفاتحة سر القرآن ، وسرها هذه الكلمة ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فالأول تبرؤ من الشرك . والثانى تبرؤ من الحول والقوة وتفويض إلى الله عزوجل . وهذا المعنى فى غير موضع من القرآن قال الله تعالى ﴿فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ، قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا ، رب المشرق والمغرب لا إله الا هو فاتخذه وكيلا﴾ وتحول الكلام من الغيبة الى المواجهة بكاف الخطاب وهو مناسبة ، لانه لما اثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدى الله تعالى فلهذا قال ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ وفى هذا دليل على ان أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى ، وارشاد لعباده بان يثنوا عليه بذلك ، ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك وهو قادر عليه . قال ابن عباس رضى الله عنهما ﴿اياك نعبد﴾ يعنى اياك نوحد ونخاف ونرجوك يا ربنا لا غيرك ﴿واياك نستعين﴾ على طاعتك وعلى أمورنا كلها . وقال قتادة

رحمه الله تعالى ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ يأمركم أن تخلصوا له العبادة ، وان تستعينوه على أموركم .

فان قيل فما معنى النون فى قوله (اياك نعبد واياك نستعين) فان كانت للجمع فالداعى واحد . وان كانت للتعظيم فلا يناسب هذا المقام وقد أجيب بان المراد من ذلك الاخبار عن جنس العباد والمصلى فرد منهم . ولاسيما ان كان فى جماعة او امامهم . فاخبر عن نفسه وعن اخوانه المؤمنين بالعبادة التى خلقوا لاجلها . وتوسط لهم بخير والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد لانتسابه الى جناب الله تعالى . وقد سمى الله تعالى رسوله ﷺ بعبده فى أشرف مقاماته فقال (الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب . وسبحان الذى اسرى بعبده ليلا) فسماه عبدا عند انزاله عليه الكتاب واسرائه به . وأرشده الى القيام بالعبادة فى أوقات .

وقال الامام البغوى فى تفسيره (اياك نعبد) أى نوحدك ونطيعك خاضعين . والعبادة الطاعة مع التذلل والخضوع وسمى العبد عبدا لذلته وانقياده . (واياك نستعين) نطلب منك الاعانة على عبادتك وعلى جميع أمورنا الخ .

وقال الشيخ احمد السرهندى فى المكتوب (٦٣) من مكتوباته ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام متفقون فى اصول الدين . فمن كلماتهم المتحدة نفى عبادة غير الحق سبحانه . ومنع المخلوقات عن اتخاذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله . والعبادة عبارة عن التذلل والانكسار .

فالمقصود من خلق الانسان هو التذلل لانه تعالى) قال وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون)

وفى المكتوب (٧٧) منها ـ وما عبدوا غير الاله فباطل ـ فياويل من يختار ماكان باطلا — وعبادة الله الذى ليس كمثله شيء انما يتيسر اذا تخلص العبد عن رقية ماسواه جل سلطانه بالتمام . ولم تبق قبلة التوجه غير الذات الاحدية وحصول هذه النعمة العظمى موقوف على كمال اتباع شريعة سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

وفى الخازن (اياك نعبد)واياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك . والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل . وسمى العبد عبداً لذلته وانقياده . وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذى يؤدي به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد (اياك نعبد) معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم الرب سبحانه وتعالى لانه العظيم المستحق للعبادة . ولاتستعمل العبادة الا فى الخضوع لله تعالى (واياك نستعين) اى منك نطلب المعونة لعبادتك وعلى جميع امورنا وعلى الدوام وعلى اتمامها .

وفى غرائب القرآن للاصفهانى عبد العبودية اظهار التذلل . والعبادة ابلغ منها لانها غاية التذلل . ولا يستحقها الا من له غاية الافضال وهو الله تعالى . ولذا قال تعالى (الاتعبدوا الا اياه) والعبادة ضربان . عبادة بالتسخير وهى الدلالة الصامتة والناطقة المنبهة على كونه مخلوقا . وانه خلق خالق حكيم: وعبادة بالاختيار وهى لذوى النطق. وهى المأمور بها

فى نحو (اعبدوا ربكم . واعبدوا الله) والعبد يقال على اربعة اضرب .
الاول عبد بحكم الشرع وهو الانسان الذى يصح بيعه وابتياعه نحو)
العبد بالعبد : وعبدا مملوكا لايقدر على شيء الثانى عبد بالايجاد .
وذلك ليس الا الله .

واياه قصد بقوله ﴿ان كل من فى السماوات والارض الا آتى الرحمن عبدا﴾
والثالث بالعبادة والخدمة . والناس فى هذا ضربان . عبد لله مخلصا وهو
المقصود بقوله ﴿ واذكر عبدنا أيوب، انه كان عبدا شكورا ﴾ ﴿نزل الفرقان
على عبده ﴾ ﴿ على عبده الكتاب ﴾ ﴿ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
كونوا عبادا لى ﴾ . الا عبادك منهم المخلصين ﴾ ﴿ وعد الرحمن عباده
بالغيب . ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا . ﴾ ﴿ ان اسر
بعبادى ليلا: فوجدا عبدا من عبادنا ﴾ وعبد للدنيا واعراضها وهو المتكف
على خدمتها ومراعاتها واياه قصد النبى ﷺ بقوله « تعس عبد الدرهم وتعس
عبد الدينار » قلت قد رواه البخارى ومسلم فى صحيحهما وعلى هذا النحو
يصح ان يقال ليس كل انسان عبدا لله » فان العبد على هذا المعني العابد .
ولكن العبد أبلغ من العابد الخ . قال المعصومي تعس ضد سعد : والكب
على الوجه : وقيل البعد والهلاك : كما فى فتح البارى

وفى كتاب التوحيد للعلامة محمد بن عبد الوهاب . وفى الصحيح عن
أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ تعس عبد الدينار وتعس
عبد الدرهم وتعس عبد الخميصه وتعس عبد الخميلة ان أعطى رضى وان لم
يعط سخط الخ

وفيه أيضا كل من أخذ بقول الغير بلا دليل فقد عبده . ومن أطاع العلماء والامراء فى تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابا . وقال ابن عباس رضى الله عنهما . يوشك ان تنزل عليكم حجارة من السماء أنا أقول قال رسول الله ﷺ . وتقولون قال أبو بكر وعمر رضى الله عنهما وقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته ويذهبون الى رأى سفيان رحمه الله تعالى وان الله تعالى يقول : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة ﴾ الآية أتدرى ما الفتنة الفتنة الشرك . لعله اذا رد بعض قوله ان يقع فى قلبه شيء من الزيغ فيهلك وعن عدى ابن حاتم رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ﴾ الاية فقلت له انا لسنا نعبدهم . وفى رواية أنهم ما كانوا يعبدونهم قال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه فقلت بلى . قال فتلك عبادتهم اياهم رواه أحمد وأبو داود والترمذى وحسنه وعبد بن حميد وابن أبى حاتم والطبرانى قلت الاحبار هم العلماء والرهبان هم العباد

فيه بيان تغيير الاحوال الى هذه الغاية . حتى صار عند أكثر الناس عبادة الرهبان هى أفضل الاعمال . وتسمى الولاية . وعبادة الاحبار هى العلم والفقه . ثم تغيرت الاحوال الى أن عبد من دون الله من ليس من الصالحين . وعبد بالمعنى الثانى من هو من الجاهلين

وفى كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب : ان الاستعانة والاستغاثة بالمخلوق على ما يقدر عليه جائز لا ننكره كما قال الله تعالى فى قصة موسى عليه

السلام ﴿ فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ﴾ وكما يستغيث الانسان باصحابه فى الحرب وغيرها من الأشياء التى يقدر عليها المخلوق، ونحن انما ننكر استغاثة العبادة التى يفعلونها عند قبور الأولياء أو فى غيبتهم فى الاشياء التى لا يقدر عليها إلا الله وحده .

واعلم ان أشد عمل أهل الجاهلية عدم ايمان القلب بما جاء به الرسول ﷺ وانهم كانوا يتعبدون باشراك الصالحين فى دعاء الله وعبادته يريدون شفاعتهم عند الله كما قال تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وهذه أعظم مسئلة خالفهم فيها رسول الله ﷺ فاتى بالاخلاص وانه أخبر أنه دين الله الذى أرسل به جميع الرسل ، وانه لايقبل من الاعمال إلا الخالص إلخ .

وفى الرسالة الثانية لابن عبدالوهاب : ان الذين أرسل رسول الله اليهم كانوا يفعلون شيئاً من العبادة كالحج والعمرة والصدقة على المساكين وأجلها عندهم الشرك . فهو أجل مايتقربون به إلى الله عندهم ، كما ذكر الله تعالى عنهم ﴿ ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، وانهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون ﴾ فاول ما أمره الله به الانذار عنه قبل الانذار عن الزنا وغيره حين نزل قوله تعالى ﴿ يا أيها المدثر قم فانذر ﴾ وقد عرفت أن منهم من تعلق على الاصنام ، ومنهم من تعلق على الملائكة وعلى الاولياء من بنى آدم ، ويقولون ما نريد منهم إلا شفاعتهم ومع هذا بدأ بالانذار عنه فى أول آية أرسل بها .

وفيها أيضاً : أن لا إله إلا الله هى الكلمة الفارقة بين الكفر والاسلام، وهى كلمة التقوى التى الزمهم (والزمهم كلمة التقوى) وهى العروة الوثقى ، وهى التى جعلها ابراهيم عليه السلام ﴿ كلمةً باقيةً فى عقبه لعلهم يرجعون ﴾ وليس المراد قولها باللسان فقط مع الجهل بمعناها ، فان المنافقين يقولونها ، وهم تحت الكفار فى الدرك الاسفل من النار ، مع كونهم يصلون ويتصدقون ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب ومحبتها ومحبة أهلها ، وبغض ما خالفها ومعاداته ؛ كما قال النبى ﷺ « من قال لا إله إلا الله مخلصاً » وفى رواية « خالصاً من قلبه » وفي رواية « صادقا من قلبه دخل الجنة » وفى حديث آخر « من قال لا إله الا الله وكفر بما يعبد من دون الله » الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة ، وهذه الكلمة نفى واثبات ، نفى الالهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات حتى محمد ﷺ وجبريل عليه السلام فضلا عن غيرهم من الاولياء والصالحين ، وهذه الالوهية هى التى تسميها العامة فى زماننا السر والولاية ، والاله معناه الولى الذى فيه السر ، وهو الذى يسمونه الفقير والشيخ ، ويسمونه العامة السيد واشباه هذا ، وذلك انهم يظنون ان الله جعل لخواص الخلق منزلة يرضى ان يلتجئ الانسان اليهم و يرجوهم ويستغيث بهم ويجعلهم واسطة بينه وبين الله فالذى يزعم اهل الشرك فى زماننا انهم وسائط هم الذين يسمونهم الاولون الالهة والواسطة هو الاله فقول المؤمن لااله الا الله ابطال للوسائط وغالب الذين غلوا فى تعظيم الاولياء وشيوخ الطرق وأئمة آل البيت

من السادة قدعبدوهم بدعائهم حتى فى الشدائد والطواف بقبورهم وذبح القرابين لهم وكانوا يجهلون أنهم بهذا قد اتخذوهم آلهة :

واعلم أن الكفار الذين دعاهم رسول الله ﷺ الى الايمان والتوحيد وقاتلهم وقتلهم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبيه. وهو انه لايخلق ولايرزق ولايحيى ولايميت ولايدبر الامور الا الله وحده كما قال الله ﴿قل من يرزقكم من السماء و الارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر فسيقولون الله﴾ كما حررت امثال هذه الايات فيما مر. قال المؤلف وهذه المسئلة عظيمة مهمة وهى ان تعرف ان الكفار شاهدون بهذا كله ومقرون به ومع هذا لم يدخلهم ذلك فى الاسلام ولم يحرم دمائهم واموالهم وسببه انهم لم يشهدوا لله بتوحيد الالوهية وانه لايدعى ولايرجى الا الله وحده لا شريك له ولا يستغاث بغيره ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره لا لملك مقرب ولانبى مرسل فمن استغاث بغيره فقد كفر ومن ذبح لغيره فقد كفر ومن نذر لغيره فقد كفر

واذا تأملت جيدا وعرفت ان الكفار يشهدون لله بتوحيد الربوبيه وهو تفرده تعالى بالخلق والرزق والتدبير وهم يناجون عيسى والملائكة والاولياء يقصدون انهم يقربونهم الى الله زلفى و يشفعون عنده وعرفت أن من الكفار خصوصا النصارى منهم من يعبد الله الليل والنهار ويزهد فى الدنيا ويتصدق بما دخل عليه منها معتزلا فى صومعته عن الناس وهو مع هذا كافر عدو لله بسبب اعتقاده فى عيسى أوغيره من

من الاولياء يدعوه او يذبح له أو ينذر له

فالله الله ياخوانى تمسكوا باصل دينكم واوله واخره واسه ورأسه بشهادة ان لااله الا الله واعرفوا معناها وا كفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوا من أحبهم . اللهم توفنا مسلمين والحقنا بالصالحين

ومن الرسالة الرابعة منه . اعلم ان الحنيفية ملة ابراهيم عليه السلام أن تعبد الله مخلصا له الدين . وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال الله تعالى ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ فاذا عرفت ان الله خلقك لعبادته فاعلم ان العبادة لا تسمى عبادة الا مع التوحيد . كما ان الصلاة لا تسمى صلاة الا مع الطهارة . فاذا دخل الشرك فيها فسدت كالحدث اذا دخل فى الصلاة . كما قال الله تعالى ﴿ ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت اعمالهم وفى النار هم خالدون ﴾ فاذا عرفت ان الشرك اذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل وصار صاحبه من الخالدين فى النار . عرفت ان أهم ماعليك معرفة ذلك . لعل الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهى الشرك بالله وهاهنا أربع قواعد ذكرها الله فى كتابه . الاولى ان تعلم ان الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ كانوا مقرين ان الله هو الخالق الرازق المحيي المميت النافع الضار الذى يدبر جميع الامور . وما أدخلهم ذلك فى الاسلام . والدليل قوله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض . أمن يملك السمع والابصار . ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الامر . فسيقولون الله . فقل أفلا تتقون ﴾ الثانية

انهم يقولون ماتوجهنا اليهم ودعوناهم الا لطلب القربة والشفاعة نريد من الله لامنهم لكن بشفاعتهم والتقرب اليهم . ودليل القربة قوله تعالى ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . ان الله لايهدى من هو كاذب كفار ﴾ ودليل الشفاعة قوله تعالى ﴿ و يعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عندالله . قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ . الثالثة أن النبى ﷺ ظهر على اناس متفرقين فى عباداتهم ، منهم من يعبد الشمس والقمر . ومنهم من يعبد الصالحين . ومنهم من يعبد الملائكة . ومنهم من يعبد الانبياء . ومنهم من يعبد الاشجار والاحجار . فقاتلهم رسول الله ﷺ وما فرق بينهم . والدليل قوله تعالى ﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر . واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ﴾ ودليل الصالحين قوله تعالى ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ﴾ ﴿ اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ﴾ ودليل الملائكة قوله تعالى ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم تقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون . فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها

تكذبون ﴾ ودليل الانبياء قوله تعالى ﴿ واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى آلهين من دون الله . قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ماليس لى بحق . ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك . انك أنت علام الغيوب . ماقلت لهم الا ما أمرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم . وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم . فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم . وأنت على كل شيء شهيد ﴾ الآية . ودليل الاشجار والاحجار حديث ابى واقد الليثى رضى الله عنه . قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين . ونحن حدثاء عهد بكفر وكان للمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها اسلحتهم . يقال لها ذات انواط . فمررنا بسدرة فقلنا يارسول الله اجعل لنا ذات انواط . فقال لهم رسول الله ﷺ الله اكبر انها السنن قلتم . والذى نفسى بيده . كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام ﴿ اجعل لنا الهــا كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون . ان هؤلاء متبرماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون . قال أغير الله ابغيكم الهاً وهو فضلكم على العالمين ﴾ قال المعصومى رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن صحيح . الرابعة ان مشركى زماننا اعظم شركا من الاولين . لان الاولين كانوا يخلصون لله فى الشدة و يشركون فى الرخاء . ومشركي زماننا شركهم دائم فى الرخاء والشدة . والدليل قوله تعالى ﴿ فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ﴾ قال الجامع المعصومى حفظه الله تعالى لاشك فى ان شرك مشركى زماننا اشد وافظع من

شرك المشركين الاولين . فانى حينما قدمت بلاد الهنـد عام (١٣٥٣) رأيت رسالة منظومة بالفارسية [١] مطبوعة فى بلدة بمبى الفها المشرك محمود النمنكانى الطرازى الفرغانى الذى هو امام فى مسجد (زنكارى) الذى فى بحبوحة بمبى . فان هذا المشرك نادى عبد القادر الجيلانى وسماه غوثا اعظم . وطلب منه الامـداد والاستغاثة . واستغاث به وطلب منه قضاء الحاجات ودفع البليات واهلاك البلاشفة الى آخر ماطغى وغوى . فاعتقد فيه بعض اهل بمبى وجمعوا له مبلغا عظيما . وانى قد كنت الفت فى بيان ذلك رسالة سميتها (حكم الله الواحد الصمد . فى حكم الطالب من الميت المدد) وارسلتها اليهم بعد ان طبعتها فى مصر اكثر من الفى نسخة . ولكن مااصغوا ولا سمعوا ﴿صم بكم عمى فهم لا يعقلون﴾ ولهذا ترى ان هؤلاء المشركين وان ادعوا انهم مسلمون يصلون ويصومون ولكنهم عن حقيقة الايمان والتوحيد عارون . وعن فضل الله ورحمته محرومون . فنتيجته انهم وكذا امثالهم من اهل الصين والتركستان وافريقيا تحت ارجل المستعمرين الاوربيين اذلاء ومأسورون فانا لله وانا اليه راجعون . فان قلت وفيهم الصالحون فما بالهم قد ابتلوا بما ابتلى به الطالحون . قلنا لانهم ساكنوهم وصاحبوهم فلما نزل غضب الله وعذابه عمهم فى الدنيا . ولكن فى الآخرة ينجون انشاء الله تعالى ويحشرون على نياتهم . كما لا يخفى على العالم الخبير بالآيات واحاديث البشير النذير .

(١) وسماها آه مهجوران

وفى الرسالة الثامنة ان اول مافرض الله تعالى على بنى آدم الايمان بالله والكفر بالطاغوت . ﴿ ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت . ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به . ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيداً ﴾ فصفة الكفر بالطاغوت ان تعتقد بطلان عبادة غير الله وتتركها وتبغضها وتكفر اهلها وتعاديهم . ومعنى الايمان بالله ان تعتقد ان الله هو الاله المعبود وحده دون من سواه . وتخلص كل انواع العبادة لله . وتنفيها عن كل معبود سواه . والطاغوت عام فى كل ماعبد من دون الله . ورضى بالعبادة من معبود او متبوع او مطاع فى غير طاعة الله ورسوله فهو طاغوت . والعبادة الاطاعة ﴿ الم اعهد اليكم يابنى آدم ان لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ﴾ فالانسان لايكون مؤمناً بالله الا بعد الكفر بالطاغوت لقوله تعالى ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾

وفى الرسالة التاسعة . اعلم ان الجامع لعبادة الله وحده انما هو طاعته بامتثال اوامره واجتناب نواهيه . وانواع العبادة التى لاتصلح الا لله تعالى . الدعاء والاستعانة . والاستغاثة . وذبح القربان والنذر . والخوف . والرجاء . والتوكل . والانابة . والمحبة . والخشية . والرغبة . والرهبة . والتأله . والركوع والسجود . والخشوع . والتذلل . والتعظيم الذى هو من خصائص الالهية . والدليل

على ذلك قوله تعالى ﴿ وان المساجد لله فلا تدعو امع الله أحداً .
له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء ، واياك
نعبد وإياك نستعين . اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم . قل ان صلاتى
ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا
أول المسلمين . يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا . انما
ذلكم الشيطان يخوف أولياءه ، فلا تخافوهم وخافونى ان كنتم مؤمنين
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احداً .
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . وانيبوا إلى ربكم واسلموا له . ومن
الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا
أشد حبا لله . فلا تخشوا الناس واخشون . انهم كانوا يسارعون
فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين . وإلٰهكم إله واحد
لا اله الا هو الرحمن الرحيم . يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا
ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون . وان من أهل الكتاب لمن يؤمن
بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا
قليلا ﴾ ونحوها من الآيات . فمن صرف شيئا من هذه الانواع لغير
الله تعالى فقد اشرك بالله غيره .

واعلم ان الشرك فى العبادة ينقض الاسلام لقوله تعالى ﴿ ان الله
لا يغفر ان يشرك به ﴾ الآية ﴿ ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
ومأواه النار وما للظالمين من انصار ﴾ ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح
للجن أو للقبر ، أو جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة

ويتوكل عليهم كفراجماعا ، ولا شك ان دعوة غير الله باطلة أى دعاؤه بان يطلب منه مالا يطلب الا من الله تعالى ، وهواستعمال عربى فصيح وقد ثبت فى الحديث الصحيح عن ثوبان رضى الله عنه ما أخبر به النبى ﷺ من وقوع الشرك فى هذه الامة «وحتى تعبدفئاٰم من امتى الاوثان» قال المعصومى عفى الله تعالى عنه رواه أبو داود والترمذى ولفظه « لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتى الاوثان » وفيها أيضا نقلا عن الزواجر لابن حجر المكى الشافعى وتبيين المحارم الحنفيةان ، من اشرك فى عبادة الله غيره انه يكفر بالاجماع ويقتل ان اصر على ذلك كالدعاء لجلب خير أو دفع ضر ، وقد قال رسول الله ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما « اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله » قال المعصومى رواه ابن ابى حاتم وابن كثير فى تفسيريهما

وكالذبح والنذر لغير الله ، فمن ذبح القربان لغير الله فقد اشرك فى عبادة الله غيره ، ومن استعان بغير الله فقد اشرك في عبادة الله غيره ، وقال العلامة الشيخ قاسم الحنفى فى شرح الدرر « قلت وكذا فى الدر المختار وحاشيته ردالمحتار » النذر الذى يقع من أكثر العوام بان يأتي الى قبر بعض الصلحاء قائلا : ياسيدى فلان ان رد غائبى او عوفى مريضى أو قضيت حاجتى فلك كذا باطل اجماعا لوجوه ، منها ان النذر للمخلوق لا يجوز لانه عبادة ، والعبادة لا تكون للمخلوق ، ومنها ان المنذور له ميت والميت لا يملك ، ومنها انه ان ظن ان الميت يتصرف فى الأمور دون الله تعالى فاعتقاده ذلك كفر ، الى ان قال وقد ابتلى الناس بذلك ،

ولاسيما فى مولد احمد البدوى ، فقد صرح بان هذا النذر كفر يكفر به المسلم والله تعالى اعلم .

وفيها أيضا . قال الامام شهاب الدين عبد الرحمن الشامى الشافعى المعروف بابى شامة فى كتاب (الباعث على انكار البدع والحوادث) ومن هذا ماقد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد ومواضع مخصوصة فى كل بلد يحكى لهم حاك انه رأى فى منامه بها احداً ممن اشتهر بالصلاح والولاية فيحافظون عليه مع تضييعهم فرائض الله تعالى وسننه ويظنون انهم مقربون بذلك ، ثم يتجاوزون ذلك الى ان يعظم وقع تلك الاماكن فى قلوبهم فيعظمونها ، ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالنذر لهم ، وهي بين عيون وشجر . وحائط وحجر .

وفى الحديث الذى رواه محمد بن اسحاق وسفيان بن عيينه عن أبى واقد الليثى رضى الله عنه انه قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى حنين وكان لقريش والمشركين شجرة خضراء عظيمة يأتونها كل سنة فيعلقون عليها سلاحهم ويعكفون عندها ويذبحون لها ، يقال لها ذات انواط فقلنا يارسول الله أجعل لنا ذات انواط ، كما لهم ذات انواط ، فقال النبى ﷺ هذا كما قال قوم موسى لموسى عليه السلام « اجعل لنا آلهاً كما لهم آلهة اتركبن سنن من كان قبلكم » اخرجه الترمذى وقال هذا حديث صحيح قال الامام ابو بكر الطورطوشى المالكى فى كتابه

فانظروا رحمكم الله تعالى اينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البرء والشفاء من قبلها وينوطون

بها اسلحتهم ويضربون عليها المسامير والخرق فهى ذات انواط فاقطعوها فتأمل رحمك الله تعالى إلى هذا الكلام بان ماتفعله العامة فى زماننا فى العمد والشجر والحجر والمواضع المخصوصة انه مثل فعل المشركين بذات انواط ، فتبين منه ان الشرك قد حدث فى هذه الامة من زمان قديم وان أهل العلم رضى الله عنهم ينكرون ذلك اشد الانكار ويهدمون ما قدروا عليه مما يفتتن بها النـاس ، وان هذا مما حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة ، وان ذلك ليس من الدين باجماع أهل العـلم ، ويجب على من قدر على ذلك ازالته . فويل للامراء والعلماء والقضاة القادرين على ازالته والنهى عنه .

قال الامام ابو الوفاء ابن عقيل الحنبلي : لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع الى تعظيم أوضاع انفسهم فسهلت عليهم ، وهم عندى كفار بهذه الاوضاع . مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها والقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى

وفيها أيضاً : قال الشيخ تقى الدين ابن تيمية فى الرسالة السنية : أن الغلوّ فى المشائخ منهى عنه ، فكل من غلا فى نبى أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الالهية مثل أن يقول يا سيدى فلان انصرني أو أغثنى أو ارزقنى أو اجبرنى أو أنا فى حسبك أو نحوها فكل هذا شرك وضلال يستتاب وإلا قتل ، فان الله تعالى انما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده . ولا يجعل معه آله آخر . والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والاصنام لم يكونوا يعتقدون انها تخلق الخلائق

أو تنزل المطر أو تنبت النبات . وانما كانوا يعبدونهم أو يعبدن قبورهم أو صورهم ويقولون ﴿ إنما نعبـدهم ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ ويقولون ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ فبعث الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولادعاء استغاثة ونهى عن الحلف بغير الله . وقال «من حلف بغير الله فقد اشرك » وقال فى مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا » وقال « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد » قال المعصومي رواه البخارى ومسلم والخطيب فى المشكاة.

ولهذا اتفق أئمة الاسلام على أنه لا يشرع بناء المساجد على القبور ولا الصلاة عندها . وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان تعظيم القبور ، ولهذا اتفق العلماء على ان من سلم على النبي ﷺ عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها ، لأنه انما يكون لاركان الكعبة فلا يشبه بيت المخلوق ببيت الخالق. كل هذا لتحقيق التوحيد الذى هو أصل الدين ورأسه الذى لا يقبل الله عملا إلا به ، ويغفر لصاحبه ، ولا يغفر لمن تركه .

وفيها أيضاً : قال ابن القيم فى شرح المنازل : والشرك هو أن يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ، ويغضبون لتنقص معبودهم من المشائخ أعظم مما يغضبون إذا تنقص أحد رب العالمين . وقد شاهدنا هذا نحن جهرة . وترى أحدهم قد اتخذ ذكر آلهه ومعبوده على لسانه ان قام وان قعد وان عثر وان استوحش وهو لا ينكر ذلك. ويزعم أنه من باب حاجته الى الله وشفيعه عنده.

وهكذا كان عباد الأصنام سواء الخ . وهذا هو الذى أنكر الله عليهم ذلك فى كتابه وأبطله . وأخبر ان الشفاعة كلها له . والقرآن مملوء من امثال هذا . ولكن أكثر الناس لايشعر بدخول الواقع تحته ، ويظنه فى قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثاً . وهذا هو الذى يحول بين المرء وبين فهم القرآن . كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ فى الاسلام من لايعرف الجاهلية. وهذا لانه لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه وقع فيه واقره وهو لايعرف أنه الذى عليه أهل الجاهلية . فتنقض بذلك عرى الاسلام . ومن أنواعه طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه اليهم . وهذا أصل شرك العالم ، فان الميت قد انقطع عمله وهو لايملك لنفسه نفعاً ولاضراً فضلا لمن استغاث به أو سأله أن يشفع الى الله . وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده . فان الله لا يشفع عنده أحد الا باذنه . والله لم يجعل سؤال غيره سبباً لاذنه . وانما السبب لاذنه كمال التوحيد . فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن والميت محتاج الى من يدعو له . فعكس المشركون هذا . وزاروهم زيارة العبادة . وجعلوا قبورهم أوثاناً يعبد .

وفيها أيضاً : قال ابن القيم فى الاغاثة : قال ﷺ « لا تتخذوا قبرى عيداً ، وقال اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد ، واشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفى اتخاذها أعياداً من المفاسد العظيمة مايغضب لاجله من فى قلبه وقار لله وغيرة على التوحيد ولكن (ما لجرح بميت آلام) ومن المفاسد الصلاة اليها والطواف بها واستلامها وتعفير الخدود

على ترابها وعبادة اصحابها وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الحوائج وتفريج الكربات التي كانت عباد الاوثان يسألونها إوثانهم . فمن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ومانهى عنه وما عليه اصحابه . وبين ماعليه أكثر الناس اليوم رأى احدهما مضاداً للآخر . فنهى عن اتخاذها مساجد . وهم يبنون عليها المساجد . ونهى عن تسريجها . وهؤلاء يوقفون الاوقاف على ايقاد القناديل عليها . ونهى أن تتخذ عيداً . وهؤلاء يتخذونها اعياداً . وأمر بتسويتها . وهؤلاء يرفعونها ويجعلون عليها القباب . ونهى عن تجصيص القبور والبناء عليها . ونهى عن الكتابة عليها . ونهى ان لا يزاد عليها غير ترابها . وهؤلاء يتخذون عليها الالواح ويكتبون عليها القرآن والقصائد ويزيدون على ترابها بالجص والآجر والاحجار وقد آل الامر بهؤلاء الضلال المشركين الى أن شرعوا للقبور حجاً . ولاشك ان هذا مفارقة لدين الاسلام . ودخول في دين عباد الاصنام . فانظر الى هذا التباين العظيم بين ما شرعه الرسول ﷺ لامته وما شرعه هؤلاء . والنبي ﷺ أمر بزيارة القبور لانها تذكر الآخرة . وأمر الزائر ان يدعو لاهل القبور . ونهاه ان يقول هجراً . فهذه هي الزيارة المشروعة بخلاف ما عليه أهل الشرك والبدع فانه مضاد لذلك .

وفيها أيضا قال ابن تيمية في الرد على البكري . العبادات مبناها على الاتباع لا على الابتداع : فليس لاحد ان يشرع في الدين مالم يأذن به الله ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾ وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ انه قال « من احدث في امرنا هذا

ماليس منه فهو رد » وفى لفظ « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد »
ولهذا قال الفقهاء . العبادات مبناها على التوقيف . كما في الصحيحين عن
عمر رضى الله عنه انه قبل الحجر الاسود . وقال والله انى لاعلم انك
حجر لاتضر ولاتنفع ولولا اني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ماقبلتك
والله سبحانه وتعالى امرنا باتباع الرسول وطاعته وموالاته ومحبته .
وضمن لنا بطاعته ومحبته واكرامه محبته لنا ومغفرته وهدايتنا وادخالنا
الجنة . فعنا اصلان عظيمان . أحدهما أن لا نعبد الا الله . والثانى ان لا
نعبده الا بما شرع . لا نعبده بعبادة مبتدعه . وهذان الاصلان هما
تحقيق لشهادة ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله : قال الله تعالى .
﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فاليعمل عملا صالحا ولايشرك بعبادة ربه أحد﴾
وجاءت السنة أن يسأل الله باسمائه وصفاته . فيقال اسألك بان لك الحمد
لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض ياذا الجلال ياحى ياقيوم
وأسألك بانك أنت الله لااله الا انت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفواً أحد وكذلك قوله « اللهم انى اسألك بمعاقد العز من
عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الاعلى
وكلماتك التامة . مع ان هذا الدعاء الثانى فى جواز الدعاء به قولان للعلماء
قال الشيخ ابو الحسن القدورى (يعنى فى كتاب الكراهية من مختصره
قال بشر ابن الوليد سمعت ابا يوسف يقول قال ابو حنيفة رحمه الله تعالى
لا ينبغى لأحد ان يدعوا الله الا به . وأكره أن يقول بمعاقد العز من
عرشك اوبحق خلقك . وهو قول ابى يوسف رحمه الله تعالى . وقال

أبو يوسف رحمه الله بمعقد العز من عرشك هو الله فلا أكره هذا . وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام . قال القدورى المسألة بخلقه لا تجوز لانه لا حق للمخلوق على الخالق فلا تجوز يعنى وفاقا . وقال البلدجى في شرح المختار . ويكره أن يدعوا الله الا به . فلا يقول أسألك بحق فلان أو بملائكتك أو بانبيائك أو نحو ذلك لانه لاحق للمخلوق على الخالق . وأما سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غير نبى فهو من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين لم يأمر الله به ولا رسوله ﷺ ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم باحسان . ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين . ولما قحط الناس فى زمان عمر رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه وتوسل بدعائه . وقال: اللهم انا كنا نتوسل اليك إذا أجدبنا بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون . كما فى كتاب الاستسقاء من صحيح البخارى ، فكل من دعا ميتا أو غائبا من الانبياء والصالحين أو دعا الملائكة أو الجن فقد دعا من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله .وقد نص الأئمة كاحمد وغيره على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق.

قال الجامع المعصومى عفى الله عنه قال شيخ الاسلام برهان الدين على المرغينانى فى كتاب الكراهية من الهداية الحنفية ويكره أن يقول الرجل فى دعائه . أسألك بمعقد العز من عرشك، وللمسئلة عبارتان هذه ومقعد العز ، ولا ريب فى كراهة الثانية لانه من القعود . وكذا الاولى لانه يوهم تعلق عزه بالعرش وهو محدث ، والله تعالى بجميع صفاته قديم.

وعن أبي يوسف رحمه الله تعالى أنه لا بأس به ، وبه أخذ الفقيه أبو الليث رحمه الله ، لانه مأثور عن النبي ﷺ روى أنه كان من دعائه « اللهم إني أسألك بمقعد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الاعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامة . ولكن نقول هذا خبر واحد فكان الاحتياط فى الامتناع . ويكره أن يقول الرجل في دعائه بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك لانه لاحق للمخلوق على الخالق انتهى

ومما يبين حكمة الشريعة وعظم قدرها انها كما قيل كسفينة نوح عليه السلام من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق فالذين خرجوا عن المشروع زين لهم الشيطان اعمالهم حتى خرجوا الى الشرك . حتى ان بعضهم يقول ان الكعبة قبلة العامة وقبر فلان قبلة الخاصة . ويامر المريد اول مايتوب أن يذهب الى قبر الشيخ فلان فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل عليها . وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب مالا يجده احدهم فى مساجد الله ولو فى المسجد الحرام . وآخرون يحجون القبور . (قال الجامع المعصومى حفظه الله تعالى كما شاهدنا عيانا غير مرة ان اهل ماوراء النهر يحجون الى قبر بهاء الدين النقشبندى فى بخارى . واهل تركستان وفرغانه يحجون الى قبر خواجه احمد يسوى فى الشتاء ويسمونه خلوت وأهل افغانستان يحجون الى بلخ ومزار شريف لقبر مزعومهم على المرتضى . وأهل الهند يحجون الى اجمير . وأهل مصر الى قبر احمد بدوى . الى غير ذلك . ولكل واحد منه موسم خاص) وطائفة صنفوا

كتبا فى مناسك حج المشاهد كابي عبد الله محمد بن النعمان الملقب بالمفيد أحد شيوخ الامامية . وذكر فيها حكايات مكذوبة . وبعض المشهورين منهم بالزهد والصلاح صنف كتابا سماه . الاستغاثة بالنبي عليه الصلاة والسلام فى اليقظة والمنام . ومنهم من يرجح الحج الى المقابر على الحج الى الكعبة . ومنهم من يقول اذا زرت قبر الشيخ مرة اومرتين او ثلاثا كان كحجة . ومنهم من يحكى عن الشيخ الميت انه قال كل خطوة الى قبرى كحجة . وانكر بعض الناس ذلك فتمثل له الشيطان بصورة الشيخ فى منامه وزجره عن انكار ذلك . فهؤلاء وامثالهم لا يخشون الله بل يخشون المشاهد والمقابر وعمارها ويخشون غير الله ويرجون غير الله . حتى ان طائفة من ارباب الكبائر الذين لايخشون الله فيما يفعلونه من الكبائر كان إدا رأى قبة الميت فيخشى عن فعل الفواحش . ويقول أحدهم لصاحبه ويحك هذا هلال القبة فيخشون المدفون تحت الهلال ولا يخشون الذى خلق السماوات والارض والهلال . وطائفة منهم قد جعلوا الميت بمنزلة الآله . والشيخ الحى التعلق به كالنبي فمن الميت يطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات . وأما الحى فالحلال ماحلله والحرام ما حرمه . ولا شك أن هذا هو دين المشركين والنصارى . ومنهم من يرى في المنام شخصاً يظن انه المقبور ويكون ذلك شيطانا تصور بصورته أو غير صورته كالشياطين التى تكون فى الاصنام . وكالشياطين الذين يتمثلون لمن يستغيث بالاصنام والموتى والغائبين وهذا كثير فى زماننا . وعند كل من المشاهد وبيت الاصنام

قد يكون عنده شياطين تضل من أشرك بالله . وان تلك الشياطين لايقضون بعض اغراضهم إذا حصل منهم الشرك والمعاصى ما يحبه الشيطان . وقد وقع فى هذا النوع كثير من الشيوخ الذين لهم نصيب وافر من الدين والزهد والعبادة لكن لعدم علمهم بحقيقة الدين الذى بعث الله به رسوله طمعت فيهم الشياطين حتى أوقعوهم فيما يخالف الكتاب والسنة . وهؤلاء الضالون مستخفون بتوحيد الله . و يعظمون دعاء غير الله من الاموات وإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا به . كما أخبر الله تعالى عن المشركين ﴿ وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزواً ﴾ فاستهزؤا بالرسول لما نهاهم عن الشرك ﴿ انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون. ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون . أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب ﴾ وما زال المشركون يسفهون الانبياء ويصفونهم بالجنون كما قال قوم نوح ﴿ قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ﴾ فاعظم ما سفهوه لاجله وأنكروه هو التوحيد وهكذا تجد من عليه شبه من هؤلاء من بعض الوجوه إذا رأى من يدعو إلى توحيد الله وإخلاص الدين له . وأن لايعبد الانسان الا الله . ولا يتوكل الا عليه استهزاء بذلك لما عنده من الشرك . فانهم اعتقدوا أن دعاء الميت الذى بنى له المشهد والاستغاثة به أنفع لهم من دعاء الله ولى . وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذى يعظمه بكى عنده وخضع ويدعو ويتضرع ويحصل له من الرقة والتواضع والعبودية وحضور القلب مالا يحصل له فى الصلوات الخمس والجمعة وقراءة القرآن . فهل

هـذا إلا من حال المشركين المبتدعين لا الموحدين المخلصين المتبعين لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ

ومثل هذا أنه إذا سمع أحدهم سماع الابيات يحصل له من الحضور والخشوع والبكاء مالا يحصل مثله عند سماع آيات الله تعالى . والذين يجعلون دعاء الموتى من الانبياء والائمة والشيوخ أفضل من دعاء الله تعالى أنواع متعددة . ويحكون انواعا من الحكايات . منها أن بعض المريدين استغاث بالله فلم يغثه واستغاث بشيخه فاغاثه . ومنها أن بعض المأسورين فى بلاد العدو دعا الله فلم يخرجه فدعا بعض المشائخ الموتى فجاءه فأخرجه إلى بلاد الاسلام . ومنها أن بعض الشيوخ قال لمريده إذا كانت لك إلى الله حاجة فتعال إلى قبرى . وقال الآخر فتوسل إلى الله بى وقال آخر فلان قبره هو الترياق المجرب . فهؤلاء وأشباههم يضاهئون للمشركين . وقد يتمثل له الشيطان بصورة شيخه ومن هؤلاء من إذا نزلت به شدة لاينادى إلا شيخه ولا يذكر إلا إسمه . ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب . ويحلف بامامه وشيخه فيصدق ولايكذب . فيكون شيخه عنده وفى صدره أعظم من الله . وعمدة هؤلاء الضلال اما أحاديث ضعيفة اوموضوعة . أو منقولات عمن لايحتج بقوله اما أن تكون كذبا عليه واما أن يكون غلطا منه . اذ هى نقل غير مصدق عن قائل غير معصوم .

والاستغاثة تنقسم إلى الاستغاثة بالحى وبالميت . والاستغاثة بالحى تكون فيما يقدر عليه ومالا يقدر عليه . وقد روى أن النبى ﷺ

يوم بدر كان يقول (ياحى ياقيوم لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث . وأصلح لى شأنى كله و لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ولا إلى أحدمن خلقك) وأما جهلاء زماننا فيدعون الميت والغائب فيقول أحدهم بك أستغيث بك أستجير أغثنا أجرنا . هل تجد أحد الصحابة أوالتابعين لهم باحسان أتى رسول الله بعد موته أواستغاث به اواستشفع به إلى ربه وقال يارسو الله اشفع لى إلى ربك أو اقض دينى أو فرج كربتى أو انصرنى أو اغفرلى ذنوبى . بل جردوا التوحيد لله تعالى وحموا جانبه . ولهذا كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما وغيره من الصحابة رضى الله عنهم إذا سلم على النبى ﷺ يقف و يقول السلام عليك يارسول الله . ثم يقف و يقول السلام عليك يا أبا بكر . ثم يقف و يقول السلام عليك يا أبتى وإذا أراد أحدهم الدعاء جعل ظهره إلى جدار القبر واستقبل القبلة حتى لايدعو عند القبر . وذكر الامام أحمد وغيره أنه يستقبل القبلة ويجعل القبر عن يساره . وذكر أصحاب مالك رحمه الله أنه يدنو من القبر فيسلم على النبى ﷺ ثم يدعو مستقبل القبلة يوليه ظهره . وقيل لايوليه ظهره . فاذا جعل الحجرة عن يساره فقد زال المحذور بلا خلاف . وقال مالك فى المبسوط لا أرى أن يقف عند قبر النبى ﷺ ولكن يصلى ويسلم . فهذا هو هدى السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم باحسان . ولكن كلما ضعف تمسك الامم بعهود أنبيائهم عوضوا عن ذلك بما أحدثوا من البدع والشرك وغيره . ولهذا كرهت الائمة رحمهم الله استلام القبر وتقبيله .

وفيها ايضاقوله تعالى ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ الاحبار هم العلماء والرهبان هم العباد وهذه الآية قد فسرها رسول الله ﷺ لعدى بن حاتم رضى الله عنه . قال السدى استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ولهـذا قال تعالى ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾ فصار ذلك عبادة لهم . وصاروا به لهم أربابا من دون الله . وقال تعـالى ﴿ ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد إذ انتم مسلمون ﴾ فمن تدبر هذه الآيات تبين له معنى لا إله إلا الله . وتبين له التوحيد الذى جحده اكثر من يدعى العلم فى هذه القرون . وقـد عمت البلوى بالجهل به بعد القرون الثلاثة لما وقع الغلو فى قبور أهل البيت وغيرهم . وبنيت عليها المساجد . وبنيت لهم المشاهد . فاتسع الامر وعظمت الفتنة في الشرك المنافى للتوحيد لما حدث الغلو فى الاموات وتعظيمهم بالعبادة . فبهذه الامور الذى وقع فيها اكثر الناس عاد المعروف منكراً والمنكر معروفا والبدعة سنة والسنة بدعة . نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير . وتبين سر قوله ﷺ . بدأ الاسلام غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس . وقوله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله ﴾ الآية الانداد الامثال والنظراء . كما قال العماد بن كثير وغيره من المفسرين . فكل من صرف من العبادة شيئاً لغير الله رغبة اليه أو رهبة منه فقد اتخذه نداً لله لانه اشرك مع الله فيما لا يستحقه

غيره فتوحيد المحبوب ان لا يتعدد محبوبه . اى مع الله بعبادته له .

وقوله تعالى (والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئاً وهم يخلقون . أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ ذكر العماد بن كثير فى هذه الآية مارواه بن أبى حاتم بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا « احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك . تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة . إذا سألت فاسأل الله . واذا استعنت فاستعن بالله . واعلم أن الامة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك . ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك . جفت الصحف ورفعت الاقلام . واعمل لله بالشكر فى اليقين » »

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلا فى يده حلقه من صفر فقال ماهذه فقال من الواهنة . فقال انزعها فانها لاتزيدك الا وهناً . فانك لو مت وهى عليك ما أفلحت أبداً » رواه أحمد بسند لا بأس به .

ومن الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره . قال ابن تيمية . الاستغاثة هي طلب الغوث . وهو إزالة الشدة . كالاستنصار طلب النصر والاستعانة طلب العون . و بين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص مطلق يجتمعان فى مادة وهو دعاء المستغيث . وقد نهى الله تعالى عن دعاء غيره الاخص والاعم فى كتابه . فكل ماقصد به غير الله مما لا يقدر عليه إلا الله كدعوات الاموات والغائبين فهو من الشرك الذي لا يغفره

الله تعالى. قال الله تعالى ﴿ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ﴾ ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة. وهم عن دعائهم غافلون ﴾ ﴿ و إذا حشر الناس كانوا له أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ فأخبر الله تعالى أنه لا أضل ممن يدعو أحداً من دونه كائناً من كان. وأخبر أن المدعو لا يستجيب لما طلب منه من ميت أو غائب أو ممن لا يقدر على الاستجابة مطلقا من طاغوت ووثن. فليس لمن دعا غير الله الا الخيبة والخسران. وهم يقولون يوم القيامة ﴿ فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ﴾ فلا يحصل للمشرك يوم القيامة الا نقيض قصده. وقد صار المدعو للداعي عدواً. فالداعي للغير في غاية الضلال. قال الله تعالى ﴿ أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض. أإله مع الله قليلا ما تذكرون ﴾ قال ابن جرير أإله مع الله يفعل هذه الاشياء بكم وينعم عليكم قليلا ما تذكرون تذكراً قليلا من عظمة الله واياديه عندكم تذكرون وتعتبرون حجج الله عليكم يسيراً فلذلك اشركتم بالله غيره في عبادته.

وروى الطبراني باسناده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين. فقال بعضهم قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق. فقال النبي ﷺ انه لا يستغاث بي وانما يستغاث بالله. قال ابن تيمية انما نهى ﷺ عن الاستغاثة به حماية لجناب التوحيد وسدا لذرائع الشرك مخافة أن يقع من أمته الاستغاثة بمن لا يضر ولا ينفع ولا يسمع ولا يستجيب من الاموات والغائبين

والطواغيت والشياطين والاصنام وغير ذلك . وقد وقع من هذا الشرك العظيم ما عمت به البلوى حتى ظنوا ان الميت يسمع ومع سماعه ينفع فتركوا الاسلام والايمان رأساً كما ترى عليه الاكثرين من جهلة هذه الامة .

وفيها أيضا وقد وقع الشرك فى هذه الامة كثيراً . كما وقع فى أهل الجاهلية . وقد زاد هؤلاء المتأخرون من هذه الامة على ما وقع من اهل الجاهلية من هذا الشرك بامور . منها انهم يخلصون عند الاضطرار بغير الله وينسون الله تعالى . ومنها انهم يعتقدون ان الهتهم من الاموات يتصرفون فى الكون دون الله . وجمعوا بين نوعى الشرك فى الالهية والربوبية . وقد سمعنا ذلك منهم مشافهة . ومنها اعتقادهم ان عبدالقادر الجيلانى يسمع من دعاه ومع سماعه ينفع . فزعم أنه يعلم الغيب وهو ميت . فلقد ذهب عقل هؤلاء ، ضلوا وكفروا بما أنزل الله فى كتابه .

وفيها أيضا قال الله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله ﴾ قال فى شرح المنازل اخبر الله تعالى ان من أحب شيئا من دون الله كما يحب الله فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً . فهذا ند فى المحبة لا فى الخلق والربوبية . فان احدا من أهل الارض لا يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فان اكثر أهل الارض قد اتخذوا من دون الله أندادا فى المحبة والتعظيم . قال المعصومى وقد وقع الشرك فى الربوبية ايضا فى كثير من الخاصة والعامة فى آخر هذه الامة ! فاعتقدوا ان لهؤلاء الاموات تصرفا فى الكون ونحو ذلك .

سئل ماقول علماء المسلمين فيمن يستنجد باهل القبور ويطلب منهم ازالة الالم : ويقول ياسيدى انا فى حسبك : وفيمن يستلم القبر ويمرغ وجهه عليه :ويقول قضيت حاجتى ببركةالله وبركةالشيخ ونحو ذلك :

الجواب الدين الذى بعث الله به رسله وانزل به كتبه هو عبادة الله وحده لا شريك له واستعانته والتوكل عليه ، ودعاؤه لجلب المنافع ودفع المضار. قال الله تعالى ﴿ افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى أولياء﴾ الآية· فبين سبحانه ان من دعى من دون الله من جميع المخلوقات الملائكة والبشر وغيرهم انهم لا يملكون مثقال ذرة فى ملكه . وانه ليس له شريك فى ملكه ، وانه ليس له عون كما يكون للملك اعوان وظهراء وان الشفعاء لا يشفعون عنده الا لمن ارتضى ، فنفى بذلك وجوه الشرك قال الله تعالى ﴿ ولا يأمركم ان تتخذ الملائكة والنبيين أربابا ايأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون ﴾ فبين سبحانه ان من اتخذ الملائكة والنبيين أربابا كان كافرا ، فكيف بمن اتخذ من دونهم من المشائخ وغيرهم أربابا ، فلا يجوز ان يقول للملك ولا لنبي ولا لشيخ سواء كان حيا أو ميتا اغفر ذنبي وانصرنى على عدوى أو اشف مريضى أو ما اشبه ذلك ومن سأل مخلوقا كائنا من كان فهو مشرك بربه من جنس المشركين الذين يعبدون الملائكة والانبياء والتماثيل التى يصورونها على صورهم وان قال أنا اسأله لانه اقرب الى الله منى ليشفع لى لا نى اتوسل الى الله به كما يتوسل الى السلطان بخواصه واعوانه ، فهذا من أفعال المشركين والنصارى ، فانهم يزعمون انهم يتخذون احبارهم ورهبانهم شفعاء

يستشفعون بهم فى مطالبهم ، وقول كثير من الضلال هذا اقرب الى الله مني وأنا بعيد منه ، لا يمكن لنا ان ندعوه إلا بهذه الواسطة ونحو ذلك هو من قول المشركين فان الله تعالى يقول ﴿ واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعانى ﴾ وقد روى ان الصحابة رضى الله عنهم قالوا يارسول الله ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت الآية وقد أمر الله تعالى العباد كلهم بالصلاة له ومناجاته وامر كلا منهم ان يقولوا ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ .

ثم يقال لهذا المشرك انت اذا دعوت هذا فان كنت تظن انه اعلم بحالك أو اقدر على اجابة سؤالك أو ارحم بك من ربك فهذا جهل وضلال وكفر ، وان كنت تعلم ان الله تعالى اعلم واقدر وارحم فماذا عدلت عن سؤاله الى سؤال غيره .

فان قلت هذا إذا دعا الله اجاب دعاءه اعظم مما يجيب إذا دعوته انا ، فهذا هو القسم الثانى ، وهو ان يطلب منه الفعل ولا يدعوه ، ولكن يطلب يدعو له ، كما يقال للحى ادع لى . وكما كان الصحابة يطلبون من النبي ﷺ الدعاء فهذا مشروع فى الحى ، واما الميت من الانبياء والصالحين وغيرهم فلم يشرع لنا ان نقول ادع لنا ولا اسأل لنا ربك ونحو ذلك ، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة والتابعين ولا امر به أحد من الأئمة ويدل لذلك ما فى الصحيح انهم لما اجدبوا زمن عمر رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه . فقال اللهم انا كنا اذا اجدبنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا ، وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون . يعنى كان هو

كالإمام مع المأموم وهذا متعذر بعد موته . فلم يجيئوا الى قبر النبي ﷺ قائلين يارسول الله ادع الله او استسق لنا

ونحن نشك اليك ماأصابنا ونحوهذا لم يقله أحد من الصحابة قط ، بل هو بدعة ما أنزل الله بها من سلطان بل كانوا إذا جاؤا عند قبر النبي ﷺ يسلمون عليه . ثم إذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبل القبر بل ينحرفون فيستقبلون القبلة ويدعون الله وحده لاشريك له كما كانوا يدعونه فى سائر البقاع . وقد قالوا أنه لايجوز أن ينذر لقبر ولا للمجاورين عند القبر شيئا لا من دراهم ولا زيت ولا شمع ولا حيوان ولا غير ذلك وكل لهذر معصية .وذكر البخارى فى صحيحه والطبرى وغيره فى تفاسيرهم فى قوله تعالى ﴿وقالوا لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولاسواعاولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ قالوا هذه اسماء قوم صالحين فى قوم نوح عليه السلام. فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الامد فاتخذوا تماثيلهم اصناما فالعكوف على القبور والتمسح بها وتقبيلها والدعاء عندها هو أصل الشرك وعبادة الاوثان ، ولهذا اتفق العلماء على أن من زار قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأنبياء والصالحين فانه لا يتمسح به ولا يقبله . وليس فى الدين ماشرع تقبيله إلا الحجر الاسود .

وفى المجلد الرابع من المجموعة النجدية: قال ابن تيمية فى الرد على البكرى، سؤال الميت والغائب نبياً كان أو غير نبى من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين ، لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان . وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين . وما

استغاث أحد بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الانبياء لا عندقبورهم ولا إذا بعدوا عنهم . بل ولا اقسم بمخلوق على الله أبداً أصلا . وأما ما يروى عن بعضهم أنه قال : قبر معروف الكرخي الترياق المجرب أو قول بعضهم إذا كانت لك حاجة فاستغث بي ، أو قال استغث عندقبرى ونحو ذلك ، فان هذا قد وقع فيه كثير من المتأخرين . ولكن هذه الامور كلها بدعة محدثة في الاسلام ، وكثيراً مايتمثل الشيطان لهم بصور شيوخهم . فكلما كان القوم أعظم جهلا وضلالا كانت هذه الاحوال الشيطانية عندهم أكثر . وقد يأتي الشيطان أحدهم بمال أو طعام أو لباس أو نحو ذلك وهو لا يرى أحداً أتاه فيحسب كرامة وانما هو من الشيطان ، وسببه شركه بالله وخروجه عن طاعة الله ورسوله إلى طاعة الشيطان فاضلتهم الشياطين كما اضلت عباد الأصنام .

والواجب على العبد أن يتوجه إلى الله الذى محياه ومماته له ، فهو قبلة قلبه ووجهه كما أخبر الله تعالى عن خليله عليه السلام ﴿ إني وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾ فالتوجه إلى أرواح أهل القبور والاستظهار بهم هو الشرك الذى لا يغفره الله عزوجل . ولو جاز الاستظهار بارواح الاموات كما يظنه الجاهلون لجاز أن يستظهر العبد بالحفظة من الملائكة الذين هم معه لا يفارقونه بيقين . وهذا لا يقوله مسلم أصلا ، بل لو فعله أحد كان مشركا بالله ، فاذا لم يجز ذلك في حق الملائكة الحاضرين فان لا يجوز في حق أرواح الاموات التى قد فارقت اجسادها لا يعلم مستقرها إلا الله أولى ، وأنت ترى أكثر

الناس انصرفت قلوبهم عن فهم الحق ومعرفته بدليله حتى تمكنت الشبهات فيهم فظنوها بينات فضلوا وأضلوا . وقد قال النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس كما فى صحيح مسلم « ان من كان قبلكم كانو يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، الا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى انها كم عن ذلك ، وقاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وانما نهى من فعل ذلك لاجل الفتنة بالصلاة عند القبور ومشابهة عباد الأوثان فنهى سداً للذريعة . وقد أخرج احمد وأهل السنن « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » ومعلوم أن ايقاد السرج انما لعن فاعله لكونه وسيلة الى تعظيمها ، وكذلك اتخاذ المساجد على قبور الأنبياء والصالحين .

ووجه الدلالة أنه إذا لعن من فعل ماهو الوسيلة الى التعظيم والغلو وان كان المصلى عندها انما وجهه وقلبه لله وإلى الله وحده . فكيف إذا وجه وجهه إلى ارباب القبور وأرواح الأموات واقبل عليها بكليته وطلب النفع منها من دون الله تعالى ، فانه قد صرف ماهو من خصائص الربوبية لمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا حياة ولا موتا ولا نشوراً فمن جعل لله شريكا يلتجىء اليه ويعلق به قلبه ويوجه اليه وجهه ويرغب اليه دون الله فقد جعله لله نداً ، قال الله تعالى ﴿ انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ فالرغبة والرهبة والخشوع وغير ذلك من أنواع العبادة كالمحبة والدعاء والتوكل ونحو ذلك مختص بالله تعالى لا يصلح منه شىء لغيره كائناً من كان .

وقد شاع الشرك فى أهل البسيطة وغالب الامصار والبلدان باتخاذ الآلهة والانداد لرب العالمين، مالا يحصيه إلا الله على اختلاف معبوداتهم وتباين اعتقاداتهم فمنهم يعبد الكواكب ويخاطبها بالحوائج ويبخر لها التبخيرات ، ويرى أنها تفيض عليه أو على العالم وتقضى لهم الحاجات وتدفع عنهم البليات، ومنهم من لا يرى ذلك ويكفر اهله ويتبرأ منهم ولكنه قد وقع فى عبادة الأنبياء والصالحين فاعتقد انه يستغاث بهم فى الشدائد والملمات وانهم هم الواسطة فى اجابة الدعوات وتفريج الكربات، فتارة يصرف وجهه اليهم ويسوى بينهم وبين الله فى الحب والتعظيم والتوكل والاعتماد والدعاء والاستغاثة والاستعانة وغير ذلك من انواع العبادات . وهذا هو دين جاهلية العرب الأولى ، كما ان الاول هو دين الصابئة ، وقد بعث الله تعالى محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ؛ وكانت العرب في وقته وزمان مبعثه معترفين لله بتوحيد الربوبية والافعال ، ولكنهم اشركوا فى توحيد العبادة والالهية فاتخذوا الشفعاء والوسائط من الملائكة والصالحين وغيرهم وجعلوهم انداداً لله رب العالمين فيما يستحقه عليهم من العبادات والارادات كالحب والخضوع والتعظيم والانابة والخشية وغير ذلك ﴿ ويعبدون من دون الله ؛ واتخذوا من دونه اولياء والذين اتخذوا ﴾ إلى آخر الآيات الثلاث ، فنهاهم رسول الله ﷺ عن هذا الشرك وكفر اهله وجهلهم وسفه احلامهم ؛ ودعاهم إلى شهادة ان لا إله إلا الله ، وبين ان مدلولها الالتزام بعبادة الله وحده لا شريك له

والكفر وبما يعبد من دون الله وهذا هو أصل الدين وقاعدته ولهذا
كانت هذه الكلمة كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام والفارق بين المؤمن
والكافر من الانام : ولهذا جردت السيوف وشرع الجهاد . ولكن
تلطف الشيطان فى التحيل والمكر والمكيدة حتى ادخل الشرك وعبادة
الصالحين على كثير ممن ينتسب الى الاسلام فى قالب محبة الصالحين
والتشفع بهم . وان لهم جاها ومنزلة يشفع بها من دعاهم ولاذ بحماهم .

ومن أعظم ماعمت به البلوى التوجه الى الموتى وسؤالهم النصر
على الاعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التى لا يقدر عليها الا
رب الارض والسموات . وكذلك التقرب اليهم بالنذور وذبح القربان
والاستغاثة بهم فى كشف الشدائد وجلب الفوائد الى غير ذلك من
أنواع العبادات التى لا تصح الا لله . وصرف شىء من انواع العبادة
لغير الله كصرف جميعها . وان الله تعالى اخبر ان المشركين يدعون
الملائكة والانبياء والصالحين ليقربوهم الى الله زلفى ويشفعوا لهم عنده
واخبر الله تعالى ان من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم
الشفاعة فقد عبدهم واشرك بهم . وهذا الذى ذكرناه لايخالف فيه
احد من علماء المسلمين بل قد اجمع عليه السلف الصالح من الصحابة
والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم . واما ما حدث
من سؤال الانبياء والصالحين والاولياء الشفاعة بعد موتهم ، وتعظيم
قبورهم ببناء القباب عليها واسراج السرج والصلاة عندها واتخاذها
اعياداً وجعل السدنة والنذور لها . فكل ذلك من حوادث الامور التى

اخبر بوقوعها النبي ﷺ « انه لاتقوم الساعة حتى تلحق حى من امتى بالمشركين . وحتى يعبد فئام من امتى الاوثان » وهو ﷺ حمى جانب التوحيد اعظم حماية وسد كل طريق يؤدى الى الشرك فنهى ان يجصص القبر وأن يبنى عليه : وأمر بطمس مابنى عليه : ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القباب المبنية على القبور لانها أسست على معصية الرسول ﷺ

فان قيل لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله : فانا لانقدر أن نصل اليه الا بذلك فاجاب التقى ابن تيميه ان اراد بذلك انه لابد من واسطة تبلغنا أمر الله فهذا حق . فان الخلق لايعلمون ما يحبه الله ويرضاه وما أمر به ومانهى عنه الا بالرسل الذين ارسلهم الله تعالى الى عباده . وهذا مما أجمع عليه اهل الملل من المسلمين واليهود والنصارى : ومن انكر هذه الوسائط فهو كافر باجماع اهل الملل : وان اراد بالواسطة انه لابد من واسطة يتخذه العباد بينهم وبين الله فى جلب المنافع ودفع المضار مثل ان يكون واسطة فى رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونه ذلك ويرجعون اليه فيه . فهذا من اعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار : كما كان اقوام من الكفار يدعون عيسى والعزير والملائكة والانبياء فبين الله لهم ان الملائكة والانبياء لايملكون كشف الضر عنهم ولا تحويلا قال الله تعالى ﴿ ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا أيامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون ﴾ فبين سبحانه وتعالى

أن اتخاذ الملائكة والنبيين أربابا كفر . فمن جعل الملائكة والنبيين وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار فهو كافر باجماع المسلمين . فمن أثبت الوسائط بين الله وبين خلقه كالحجاب بين الملك ورعيته بحيث يكونون هم يرفعون الي الله حوائج خلقه ، وان الله انما يهدى عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الخالق ، كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم ، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فان تاب والا قتل . وهؤلاء مشبهون شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله أنداداً ، وفى القرآن من الرد على هؤلاء ما لا يحصى وترى كثيراً منهم قد اتخذ ذكرا لهه ومعبوده من دون الله على لسانه ان قام وان قعد وان عثر وان مرض فذكر إلهه ومعبوده من دون الله وهو الغالب على لسانه قال المعصومى حفظه الله كقول غالب جهلة اهل بخارى والتركستان اذا قام واذا قعد واذا حمل شيئا أو عدى من نهير يابيرم يا بلاكردان يابهاء الدين يانقشبند يا على يا غوث يا حضرت يا خوجم ، ونحوها ، ومثل قول الافغانيين ياجهاريار يا شيرخدا ، ياحيدر كرار ، ونحو ذلك) وهو لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه من باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه وهكذا كان عباد الاصنام سواء

ولا يخفاك يا أيها المسلم العاقل أن الله تعالى أمر عباده المؤمنين ان يقولوا ﴿ اياك نعبد ﴾ ولا يصدق قائل هذا الا اذا أفرد العبادة لله والا

كان كاذباً . اذ معناها نخصك بالعبادة ونفردك بها وهو معنى قوله ﴿ فاياى فاعبدونى واياى فاتقونى ﴾ اى لاتعبدوا الا الله ولا تعبدوا غيره ولا تتقوا الا الله ولا تتقوا غيره لما عرف فى علم البيان ان تقديم ماحقه التأخير يفيد الحصر . كما فى الكشاف . فافراد الله تعالى بتوحيد العبادة لايكون الا بان يتم جميعها كلها له والنداء فى الشدائد والرجاء لا يكون الا لله وحده . والاستعانة والاستغاثه بالله وحده والالجاء الى الله والنذر له والنحر له وجميع أنواع العبادة له . ومن يفعل شيئا من ذلك لمخلوق من حى أو ميت او جماد فقد اشرك فى العبادة . وصار من يفعل له هذه الامور الها لعابديه . سواء كان ملكا أو نبيا او وليا أوشجرا أو حجرا أو قبرا أو جنيا وصار بهذه العبادة أو باى نوع منها عابدا لذلك المخلوق . وان أقر بالله وعبده فان اقرار المشركين بالله وتقربهم اليه لم يخرجهم عن الشرك وقد عرفت من هذا كله ان من اعتقد فى شجر أوحجر أو قبر أو ملك أو حى أو ميت انه ينفع أو يضر . وانه يقرب الى الله أو يشفع عنده فى حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به الى الرب تعالى . فانه قد أشرك مع الله غيره . واعتقد مالايحل اعتقاده . لقوله تعالى ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ وقوله تعالى ﴿ والذين يدعون من دونه ﴾ أى يدعون من دون الله ﴿ لا يستجيبون لهم بشىء ﴾ أى لايجيبونهم فيما يسألونه منهم من نفع أودفع ضر اذا دعوهم ﴿ الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ

فاه وما هو ببالغه ﴾ يعنى ان استجابتهم لهم كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه أن يبلغ فاه . وكذلك مايدعونه جمادا لا يحس دعاءهم ولا يستطيع اجابتهم . قيل شبههم فى قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد ان يغرف الماء بيده ليشرب به فبسطها ناشراً أصابعه لايكون منه فى يده شئ . كذلك الذى يدعوا الاصنام بانها لاتضر ولا تنفع ولا بيده منها شئ ، وقال مجاهد كالعطشان الذى يرى الماء بعينه من بعيد وهو يشير بكفيه إلى الماء ويدعوه بلسانه فلا يأتيه أبداً وقال عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يده إلى الماء فلا هو يبلغ الماء ولا الماء يرتفع اليه . فلا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاؤه له . كذلك الذين يدعون الاصنام لاينفعهم دعاؤهم ﴿وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال﴾ أى كل مدعو سواه يضل عمن دعاه إذا احتاج اليه . وهذا مثل ضربه الله لمن يدعو غيره فيما لايقدر عليه الا هو الله سبحانه وتعالى .

وفى المجموعة النجدية ان كثيراً من الناس يتوسلون غير قاصد للشرك ولا معاند للاسلام . فالجواب أن سؤال الغائب والميت نبيا كان أو غيره تفريج الكربات وإغاثة اللهفات والاستغاثة به فى الامور المهمات فهو من المحرمات المنكرة باتفاق ائمة المسلمين لم يأمر الله به ولا رسوله ولا فعله أحد من الصحابة والتابعين لهم باحسان . ولا استحبه أحد من ائمة المسلمين . وهذا مما يعلم بالضرورة من دين الاسلام . فانه لم يكن أحد منهم اذا نزلت به ترة أو عرضت له حاجة أو نزلت به كربة وشدة يقول لميت ياسيدى فلان انا فى حسبك أو اقض حاجتى

أو انا مستشفع بك الى ربى كما يقوله هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى والغائبين ولا أحد من الصحابة رضى الله عنهم استغاث بالنبي ﷺ بعد موته ولا بغيره من الانبياء لاعند قبورهم ولا اذا بعدوا عنهم ولا كانوا يقصدون قبورهم الدعاء والصلاة عندها . وهذه الامور المبتدعة عند القبور أنواع أبعدها عن الشرع من يسأل الميت حاجته كما يفعله كثير من الناس . وهؤلاء من جنس عباد الاصنام .

وأما بناء القباب على القبور فهو من علامات الكفر وشعائره لان الله تعالى أرسل محمداً ﷺ بهدم الاوثان ولو كانت على قبر رجل صالح . لان اللات رجل صالح فلما مات عكفوا على قبره و بنوا عليه بنية وعظموها . فلما أسلم أهل الطائف وطلبوا منه (أى من النبي ﷺ) ان يترك هدم اللات شهراً لئلا يروعوا نساءهم وصبيانهم حتى يدخلوهم الدين فأبى ذاك عليهم . وأرسل معهم المغيرة بن شعبة وابا سفيان بن حرب رضى الله عنهما وأمرهما بهدمها . قال العلماء رحمهم الله تعالى كما فصله العلامة ابن القيم فى زاد المعاد وفى هذا أوضح دليل على انه لايجوز ابقاء شئ من هذه القباب التى بنيت على القبور واتخذت اوثانا ولا يوما واحدا، فانها شعائر الكفر . وقد ثبت ان النبي ﷺ نهى عن البناء على القبر وتجصيصه وتخليقه والكتابة عليه .

وفى كتاب الاستغاثة لابن تيمية . وهو المعروف بالرد على البكري . والاستغاثة بالميت والغائب سواء كان نبياً أو ولياً ليس مشروعة : ولا

هو من صالح الاعمال .. ولم يصح عن احد من الصحابة والسلف انه فعل ذلك . وقد وقع فى دعاء الاموات والغائبين كثير من جهال الفقهاء والمفتيين حتى لاقوام فيهم زهد وعبادة ودين ترى احدهم يستغيث بمن يحسن به الظن حياً كان او ميتاً . وكثير منهم تتمثل له صورة المستغاث به وتخاطبه وتقضى بعض حوائجه . وتخبره ببعض الامور الغائبة . ويظن الغر انه المستغاث به . او ان ملكا جاء على صورته . وانما هى شيطان تمثل له به وخيالات باطلة . ومنهم من يظن ان الرسول او الشيخ يعلم ذنوبه وحوائجه وان لم يذكرها . وانه يقدر على غفرانها وقضاء حوائجه . ويقدر على ما يقدر عليه الله . و يعلم مايعلمه الله . ولا شك ان هذا الفعل منه ما هو كفر صريح . ومنه ما هو منكر ظاهر سواء قدر ان الميت يسمع الخطاب كما اذا خوطب من قريب . او قدر انه لا يسمع كما اذا خوطب من بعيد . فان مجرد سماع الميت للخطاب لا يستلزم انه قادر على ما يطاب الحى منه . وقد مضت السنة ان الحى يطلب منه الدعاء كما يطلب مايقدر عليه . واما المخلوق الغائب والميت فلا يطلب منه شئ . ولا يخفاك انه كلما كان القوم اعظم جهلا وضلالا كانت هذه الاحوال الشيطانية عندهم أكثر . وقد يأتيهم الشيطان بمال او طعام او لباس او يتكلم اوغير ذلك فيحسب ذلك كرامة . وانما هي من الشيطان . وسببه شركه بالله تعالى وخروجه عن طاعة الله ورسوله الى طاعة الشياطين .

وفى المجلد (١٦) من مجلة المنار . اما حقيقة الشرك الذى لا يغفره الله تعالى . والذى حرم الله على صاحبه الجنـة فهو مبين فى القرآن فى مواضع كثيرة جـداً . و ينقسم الى شرك فى الالوهية بعبادة غير الله تعالى . ومخ العبادة وجوهرها الدعاء اى طلب الخير ودفع الشر في الدنيا والآخرة . وشرك فى الربوبية باتخاذ بعض الناس شارعين يحلون لهم و يحرمون عليهم . و يشرعون لهم ما لم يأذن به الله فيتبعونهم . والمعطل المنكر لوجود الله تعـالى لا يسمى مشركا . ولـكنه شر من المشرك .

وفى المجلد (٣٣) من المنار ايضاً . فى سورة يونس ﴿ ان ربكم الله الذى خلق السماوات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر . ما من شفيع الا من بعد إذنه ذلـكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون ﴾ فالله خاطب الناس بهـذه الآية بان ربهم هو الذى خلق السماوات والارض اطواراً فى ستة ايام تم فيها خلقها وتكوينها فكانت ملكا عظيما ثم استوى على عرش هذا الملك . الاستواء به الدال على علوه المطلق على جميع خلقه . احاطته به بعلمه وقدرته . وتدبير الامر فيه بمشيئته وحكمته ورحمته بغير حـد ولا تشبيه ولا شريك له فى الخلق والتقدير . ولا فى التصرف والتدبير . ما من بشفيع الا من بعد إذنه . فله وحده الامر و بيده النفع والضر . وبعد تقرير هذه الحقيقة فى توحيد الربوبية قال محتجاً بها علي توحيد الالوهية ﴿ ذلكم الله ربكم

فاعبدوه ﴾ أى فاعبدوه وحده . ولا تعبدوا معه غيره بطلب شفاعة ولا دعاء ولا مادونهما من مظاهر العبادة . اذ لارب لكم غيره . وانما تجب العبادة لرب العباد دون غيره . وفى المجلد (١٥) منها ايضاً ﴿ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ﴾

فالشرك لافساده للارواح يشبه مايصيب القلب أو الدماغ من سهم نافذ أو رصاصة قاتلة ، فلا مطمع للنجاة من العقاب عليه . فاما سائر المعاصى فكاصابة السهم فى سائر البدن غير القلب فانه قد لايهلك ، وذلك بان الشرك فى نفسه هو منتهى فساد الارواح وسفاهة الانفس وضلال العقول فان روحه تكون فى الآخرة على ما كانت عليه فى الدنيا متعلقة بشركاء يحولون بينها و بين الخلوص اليه عزوجل ، والله لايقبل إلا ما كان خالصاً له ، والمذنب قد يكون فى ايمانه وسريرته خالصاً لله عبداً له وحده فالعبد المملوك قد يعصى وقد يأبق فلا العصيان ولا الاباق يخرجانه عن كونه عبداً لسيد واحد ، ولسيده أن يعاقبه وان يعفو عنه ولا يغفر له ان يجعل نفسه عبداً لغيره ، والحال ان كل كائن عبد لله ، لا ينبغى أن يكون لهم شركة فى مقام العبادة لا بدعاء ولا بنداء ، ولا شك أن أعرف الناس بالله أشدهم خوفا منه ورجاءاً فى فضله ورحمته ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك ، فتجد الملايين منهم يدعون المسيح ويذكرون اسم الله مع اسمه ، وتجد الملايين من دونهم يدعون وينادون من دون المسيح من الأولياء ويصمدون إلى قبورهم ، أو إلى الصور

والتماثيل التى اتخذها قدماء المفتونين بهم تذكاراً لهم ؛ ولكن الله تعالى لا يقبل العبادة إلا خالصة لوجهه من كل شائبة .

ومن الناس من يسمون أنفسهم موحدين وهم يفعلون مثل مايفعل جميع المشركين ، ولكنهم يفسدون فى اللغة كما يفسدون فى الدين ؛ فلا يسمون أعمالهم هذه عبادة ؛ وقد يسمونها توسلا وشفاعة ، ولا يسمون من يدعونهم من دون الله أو مع الله شركاء ، ولكن لا يأبون أن يسموهم أولياء وشفعاء . وانما الحساب والجزاء على الحقائق لا على الاسماء ، ولو لم يكن منهم إلا دعاء غير الله ونداؤه لقضاء الحاجات وتفريج الكربات لكفى ذلك عبادة له وشركا بالله عزوجل، فقد قال النبى ﷺ « الدعاء هو العبادة » رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح ، وهو يفيد حصر العبادة الحقيقية في الدعاء ؛ وهو حصر على سبيل المبالغة كأن ما عدا الدعاء لا يعد عبادة بالنسبة اليه ؛ وهذا كحديث (الحج عرفة) أى هو الركن الاهم الذى لايعتد بغيره عند تركه ، وتأمل تعبير الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء فى أكثر الآيات الواردة فى ذلك يعلم كما يعلم من اختبر احوال البشر فى عباداتهم أن الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التى يثيرها الاعتقاد الراسخ من اعماق النفس ولاسيما عند الشدة وأما ماعدا الدعاء من العبادات فى جميع الاديان فكله أو جله تعليمى تكليفى يفعل بالتكلف وبالقدوة ، وقد يكون فى الغالب خالياً عن الشعور الذى به يكون القول أو العمل عبادة ؛ وهو الشعور بالسلطة الغيبية التى هى وراء الاسباب.

العادية ، أما ترى إلى حافظ الادعية الراتبة يحرك بها لسانه وقلبه مشغول بشيء آخر ، وانما العبادة جدّ العبادة فى الدعاء الذى يفيض على اللسان من سويداء القلب وقرارة النفس عند وقوع الخطب وشدة الكرب واستعصاء الوسائل اليه وتقطع الاسباب دونه ، ذلك الدعاء الذى تسمعه من أصحاب الحاجات وذوى الكربات عند حدوث الملمات . وفى هيا كل العبادات ولدى قبور الاموات . ذلك الدعاء الخالص الذى يغشاه جلال الاخلاص . وناهيك بما يفجره هذا الخشوع من ينابيع الدموع . وذلك الدعاء الذى يستغله سدنة الهيا كل ويستثمره خدمة المقابر ويضن به ويدافع عنه رؤساء الاديان . لانه أشد اركان رياستهم على العوام . على أن الموحدين اعلى اخلاصا وأشد حبا لله وخشوعا (ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً) أى ومن يشرك بالله احداً أو شيئا فيدعوه معه ويذكر اسمه مع اسمه أو يدعوه من دونه ملاحظا فى دعائه انه يقربه اليه زلفى وهذا النوع من الشرك فى العبادة الذى يتجلى فى الدعاء هو اقواها . لان الاعتقاد فيه يكون وجدانياً . فهذا قد تنكب سبيل الرشد وخرج عن صراط الهداية لانه يطيع من لا يطاع ويرجوا من لا يرجى ويكون عبداً للاوهام وعرضة للخرافات .

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى فى الاستغاثة . لا يمكن لاحد أن

يقول ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم شرع لامته أن يستغيثوا بميت لانبي ولا غيره . لافى جلب منفعة ولادفع مضرة . فلا يشرع لهم أن يدعوا ميتا ولا يسألوه ولا يدعو اليه . ولا أن يستجيروا به لارهبة ولا رغبة . ولا يقول أحد لميت انا فى جوارك وانا اريد ان تفعل كذا وكذا ولا ان يتوجه الى قبره ويسأل كما يفعل هذا كثير من النصارى وأشباههم من ضلال هذه الامة بكثير من شيوخهم . ولايشرع لاحد أن يقول لميت سل الله تعالى لى . ولايشرع لاحد ان يشكو الى ميت سواء كان عند قبره أو كان بعيدا منه . وسواء كان الميت نبيا أو غيره بل ولا يشرع أن يقصد قبر نبي او صالح فيدعو لنفسه ظاناً ان الدعاء عند قبره مجاب . ولا يشرع لاحد ان يتوسل الى الله تعالى بذات ميت أصلا .

قالت الفلاسفة ان الارواح المقدسة لها تاثير فتربى من توجه اليها وهذه هى من أصول الشرك وعبادة الاصنام . فلهذا قالت الفلاسفة ان الدعاء انما تاثيره بكون النفس تتصرف فى العالم لابكون الله تعالى يجيب الداعى . وهى مبنية على ان الله تعالى ليس بفاعل مختار يخلق الحوادث بمشيئته واختياره . وهؤلاء يجوزون أن يعبد الانسان الكواكب والصنم . لانه بتوجهه اليها يفيض منها أمور . والنفوس السعيدة اذا توجه اليها المتوجه . والقبور التى دفن فيها بدنها فاض عليها منها مايفيض . وهذا كله خارج عن الاسلام . ولاريب ان هذه الاقوال ونحوها تدعو الى غير دين الاسلام . وهؤلاء يعظمون الانبياء والصالحين

من جنس تعظيم النصارى . والنصارى يعظمونهم تعظيم ربوبية من جهة مايرجونه فى حصول مطالبهم من جهتهم لايعظمونهم تعظيم رسل الله الذين أمروا بطاعتهم فيجب ان يطاعوا فيما امروا به . وان يقتدى بهم فيما يشرع .

وفى كتاب الرد على الاخنائى : أن المقصود من جنس الصلاة على الجنائز سواء كان الميت فاضلا أو مفضولا الدعاء وطلب المغفرة والرحمة له وليس المقصود بها الخضوع للميت ولا التواضع له ، فكذلك زيارة قبر المؤمن للدعاء له وتذكر الموت ، ولكن الجهال المبتدعين عكسوا الأمر ويطلبون من الميت المدد ، بل يظن بعضهم أن القبر إذا كان فى مدينة أو قرية فانهم ببركته يرزقون وينصرون ؛ وأنه يندفع عنهم الاعداء والبلاء بسببه ، ويقولون عمن يعظمونه أنه خفير البلد الفلانى، كما يقولون السيدة نفيسة خفيرة مصر القاهرة (قلت كما يقول أهل بخارى ، أن بهاء الدين النقشبندى بلا كردان وخفير بخارى بلاء كردان ، معناه دافع البلاء ؛ وكذا قولهم أن عبدالقادر الجيلاني هو الغوث الاعظم وخفير العالم) ويظنون أن البلاء يندفع عن هذه المدائن والقرى بمن عندهم من قبور الصالحين والانبياء ، وهذا خطأ بين، ومما يوضح الأمر فى ذلك أنه من المعلوم أن بيت المقدس وما حوله من قبور الأنبياء ماهو أكثر من غيره ، فانه قد قيل أن بنى اسرائيل بعث فيهم الف نبى، ومع هذا فقد قال الله تعالى ﴿ وقضينا إلى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن

في الأرض مرتين ﴾ إلى قوله ﴿ عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم ﴾ الآية فقد بين الله تعالى أنهم إذا غلوا وافسدوا في الأرض عاقبهم الله بذنوبهم وسلط عليهم العدو الذى جاس خلال الديار ودخل المسجد وقتل فيهم من لا يحصى عدده إلا الله ، ولم يخفرهم أحد من قبور الانبياء التى كانت هناك. وانما الناس يجزون باعمالهم ، والله تعالى هو الذى يرزقهم وينصرهم لا رازق غيره ولا ناصر إلا هو ، وانما يندفع البلاء بطاعة الله وطاعة رسوله لا بقبورهم ، فمن أطاعهم فهو السعيد فى الدنيا والآخرة ، ومن عصاهم استحق ما يستحقه امثاله وان كان عنده ما شاء الله من قبورهم. وهؤلاء الذين يعتقدون أن القبور تنفعهم وتدفع البلاء عنهم قد اتخذوها أوثاناً من دون الله ، وصاروا يظنون فيها مايظنه أهل الأوثان فى أوثانهم فانهم كانوا يرجونها ويخافونها ويظنون انها تنفع وتضر ، ولهذا قالوا لهود عليه السلام ﴿ ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ﴾ الآية . وقال تعالى مخاطبا لخاتم الرسل ﷺ بعد أن خاطب المشركين ﴿ ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ، وأليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ، قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾

فالذين يحجون إلى القبور هم من جنس الذين يحجون إلى الاوثان والمشركون يدعون مع الله إلهاً آخر يدعونه كما يدعون الله. وأهل التوحيد لا يدعون إلا الله . ولا يدعون مع الله إلهاً آخر . لا دعاء سؤال وطلب

ولا دعاء عبادة وتأله ، والمشركون يقصدون هذا وهذا ، وكذلك حجاج القبور يقصدون هذا وهذا ، ومنهم من يصور مثال الميت كما يفعل النصارى وهذا ليس من الزيارة المشروعة ولم يبحه ولا استحبه احد من أئمة الدين بل هم متفقون على النهى عن هذا الجنس كله. ان كثيرا من الناس دخلوا فى الاسلام من التتار وغيرهم (قلت كالهنود والصينيين والفرس) وعندهم اصنام (أو بيت نار) وهم يعظمونها ويتقربون اليها ولا يعلمون ان ذلك محرم فى دين الاسلام فيضلون ويضلون ولا علم لهم بذلك ، حتى ان كثيراً منهم يعتقدون أن الحج إلى قبر بعض الأئمة أفضل من الحج أو مثله . فهؤلاء الذين يجعلون أصحاب القبور وسائط يشركون بهم كما يشرك أصحاب الاوثان باوثانهم يدعونهم ويستشفعون بهم ويرجونهم ويخافونهم. وأما اهل التوحيد فيتبرأون عن كل ذلك . فهذا هو الفرقان الذى يفصل بين عباد الرحمن وعباد الشيطان

ان من كمال الايمان بالله والرسول ومحبته وتعظيمه الاهتمام بما أمروا به من طاعته فان طاعته هى مدار السعادة وهى الفارقة بين اولياء الله واعدائه. وأهل الجنة وأهل النار ؛ فاهل طاعته هم اولياء الله المتقون وجنده المفلحون وحزبه الغالبون . وأهل مخالفته ومعصيته بخلاف ذلك. فالذين يقصدون الحج إلى قبره أو قبر غيره ويدعونهم ويتخذونهم انداداً هم من أهل معصيته ومخالفته ، فهم فى هذا الفعل من جنس اعدائه لا من جنس اوليائه وان ظنوا أن هذا من موالاته ومحبته . كما يظن النصارى ان ماهم عليه من الغلو فى المسيح والشرك به من جنس محبته وموالاته ، وكذلك دعاؤهم وللانبياء الموتى ويظنون ان هذا من محبتهم وانما هو من جنس معاداتهم

ولهذا يتبرأون منهم يوم القيامة . وكذلك الرسول يتبرأ ممن عصاه وان كان قصده تعظيمه والغلو فيه وانك تجد العاكفين على قبور الأنبياء والصالحين من أبعد الناس عن سيرتهم ومتابعتهم ؛ وانما قصد جمهورهم التأكل والترؤس بهم فيذكرون فضائلهم ليحصل لهم بذلك رئاسة أو مأكلة ، وبعضهم يقول ان قبر الشيخ فلان قبلة الخاصة ، والكعبة قبلة العامة ، ومنهم من يصلي إلى القبر ومنهم يحلف به . وهم قوم لهم عبادة وزهد ودين لكن فيهم جهل وضلال . كما أن رهبان النصارى وغيرهم هم من أزهد الناس واعظمهم اجتهادا فى العبادة ، لكن بجهل وضلالة ؛ وقد أمرنا الله عز جل أن نقول فى صلاتنا ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ وعباد القبور قد جعلوا القبور أوثانا ، ويدل على هذا قوله ﷺ « اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد » وهو ﷺ خاف من ذلك فدعا الله أن لا يفعله بقبره.

وكل موضع تعظمه الناس غير المساجد ومشاعر الحج فانه مأوى الشياطين ، ويتصورون بصورة بنى آدم احيانا حتى يظن كثير من الناس أنهم من الانس وانهم رجال الغيب ، ويقولون الأربعون والأبدال ؛ والحكايات عنهم فى هذا الباب كثيرة ، ولهذا لم يستحب أحد من العلماء زيارة جبل الطور الذى كلم الله فيه موسى عليه السلام ولا جبل ثور ولا غار حراء (ولا جبل أبى قبيس) .

وفى اقتضاء الصراط المستقيم للعلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى . ومن

المنكرات سائر الاعياد والمواسم المبتدعة لان كل بدعة ضلالة. وقد قال الله تعالى (ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله) فمن ندب الى شيء يتقرب به الى الله تعالى من غير ان يشرعه الله فقد شرع من الدين مالم يأذن به الله. من اتبعه فى ذلك فقد اتخذه شريكا لله (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) الى قوله (تعالى عما يشركون) قال عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه للنبى ﷺ يارسول الله ما عبدوهم قال ما عبدوهم ولكن احلوا لهم الحرام فاطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فاطاعوهم.) فمن اطاع احدا فى دين الله لم يأذن به الله من تحليل وتحريم او استحباب وايجاب فقد لحقه من هذا الذم نصيب. قال الامام احمد وغيره من الائمة رحمهم الله ما لى. الاصل ان اعمال الخلق ينقسم الى عبادات وعادات. فالاصل فى العبادات ان لا يشرع منها الا ماشرعه الله. والاصل في العادات ان لا يحظر منها الا ماحظره الله. وهذه المواسم المحدثة انما نهى عنها لما حدث فيها من الدين الذى يتقرب به وأنما يذم المواسم والاعياد المحدثة لما تشتمل عليه من الفساد فى الدين. واعلم انه لا يدرك كل واحد فساد هذا النوع من البدع لاسيما اذا كان من جنس العبادات المشروعة. بل اولو الالباب هم يدركون بعض مافيه من الفساد. والواجب على الخلق اتباع الكتاب والسنة وهم إن لم يدركوا مافى ذلك من المصلحة والمفسدة فننبه على بعض مفاسدها. فمن ذلك أن من احدث عملا فى يوم كاحداث صوم اول خميس من رجب. والصلاة فى ليلة تلك الجمعة التى يسميها

الجاهلون صلاة الرغائب مثلا ومايتبع ذلك من احداث اطعمة وزينة وتوسيع فى النفقة ونحو ذلك. فلا بد ان يتبع هذا العمل اعتقاد فى القلب وذلك لانه لابد ان يعتقد ان هذا اليوم افضل من امثاله. وان الصوم فيه مستحب فيه استحبابا زائدا على الخميس الذى قبله او بعده مثلا. وان هذه الليلة افضل من غيرها من الجمع اذ لولا قيام هذا الاعتقاد فى قلبه او فى قلب متبوعه لما انبعث القلب لتخصيص هذا اليوم والليلة. فان الترجيح من غير مرجح ممتنع وذلك لايعرف الا بالشرع. واعتقاد مالم يرد فيه الشرع باطل. فهذه البدع مستلزمة قطعا لفعل مالايجوز اعتقاده وهذا الاعتقاد يتبعه احوال فى القلب من التعظيم والاجلال. وتلك الاحوال ايضا باطلة ليست من دين الله. ومن تدبر هذا علم يقينا مافى حشو البدع من السموم المضعفة للايمان.

قال العبد الضعيف الغريب المهاجر محمد سلطان المعصومى الخجندى وفقه الله تعالى لما فيه رضاه. ان لهذه المسئلة امثلة كثيرة من كل الابواب من جملتها ان لبعض الادوية خواص ليست فى أخرى. ولها درجات أيضا انما يعرفها من عرفه الله تعالى ممن تشبث من الاطباء الحذاق. فيركبون منها الادوية حسب الامراض بعد معرفتها فيعالجونها بها. فمن تصادف ذلك ربما نفعته. فصارت سببا للعافية والصحة. واما من خالف ذلك الطبيب أو ركب هو بنفسه ادوية بلا معرفة حقيقة خواصها وكميتها فربما صار سببا لهلاك نفسه واهلاك غيره. فان كان الامر هكذا فليعلم ان العبادات كلها طرق واسباب لاصلاح النفس الانسانى وتزكيتها

من الامراض والادناس والاهوية الفاسدة . حتى يكون صاحبها لائقا لقرب الله تعالى الخالق ورضوانه فطرق العبادات الصحيحة انما هى ما بينه الذى خلق العالم على لسان رسوله ﷺ فمن زاد على هذا او نقص فقد خالف الخالق الحكيم بتركيبه الادوية من عند نفسه. فربما صار دواءه داء وعبادة معصية. لان الدين قد كمل تمام الكمال . فمن زاد شيئا فيه فقد ظن الدين ناقصا. وهو يكمل باستحسان عقله الفاسد وخياله الكاسد فياخسارة من هذا شأنه فنعوذ بالله من الكفر بعد الايمان ومن الضلال بعد العرفان. ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ﴾

ومن جملتها أن الاقفال تكون على اشكال منها ماله سن واحد ومنها ماله سنان ومنها ماله اسنان ولا ينفتح كل واحد منها الا بمفتاحها الخاص لها. فلا ينفتح ابدا ماله سن بمفتاح له اسنان : وكذا العكس

فكذا العبادات والطاعات لها اشكال وصور بينها رسول رب العالمين احسن بيان . سواء كانت فعلية اوقولية مثلا بين فرض صلاة الفجر ركعتان والظهر فى الحضر اربع وفى السفر اثنان والمغرب ثلاث فى كل الاوقات والركوع فى كل ركعة مرة والسجدة مرتان وان التشهد والقعدة بعد الركعتين وفى الآخر وان مفتاحها التكبير وختامها السلام . وان القراءة موضعها القيام والتسبيح موضعه الركوع والسجود والتشهد والدعاء موضعه القعدة. فمن اتى كما بين وفعل فقد سعد وصار من المقبولين

ومن عكس او زاد او نقص فقد تعدى وظلم وصار من المردودين وكذلك بين ان التسـبيح المرغوب فيه بعد الفرض ثلاث وثلاثين فمن اتى به ناقصا اوزائدا فهل يكون اتيابالسنة وينال الفضل الموعود والظاهر لا بل يكون مبتدعا ومخالفا لسنة رسول الله ﷺ وهكذا لها امثلة تظهر لمن تدبر وتفكر من اولى الالباب فيارب نسألك أن تجعلنا منهم :

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى فى ذلك الكتاب ايضا: ان العبادة اذا كانت صدقا وصورة فهى مقبولة ومؤثرة واما اذا كانت صورة فقط فللا تى اجر الاتباع اذا كانت عبادة شرعية والافتضر صاحبها الان البدعة ضلالة فمردودة وليس العمل مشروعا حتى يحصل لهم ثواب المتبعين والاستحباب فى الافعال واتخاذها دينا انما يثبت بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كان عليه السابقون الاولون من الصحابة والتابعين رضى الله تعالى عنهم وما سوى ذلك من الامور المحدثة (اى فى الدين والعبـادة) فلا يستحب : وان اشتملت احيانا على فوائد : لانا نعلم أن مفاسدها راجحة على فوائدهـا

وقال الاستاذ المرحوم السيد محمد رشيد رضا فى كتابه الوحى المحمدي ان النصاري ابتلوا بعبادة عيسى عليه السلام . وكذلك بعض المسلمين افتتنوا بعبادة الصالحين بدعائهم فى الشدائد لاعتقادهم انهم يدفعون عنهم الضر ويجلبون لهم النفع بالتصرف الغيبي الخارج عن سنن الله تعالى في الاسباب وهو خاص بالرب تعالى . الخ .

وقد ذكر العلامة الفخر الرازى رحمه الله تعالى فى تفسيره قصة فى ان الاستعانة والاستغاثة انما تكون بالله لا بغيره من المخلوقين وان من توكل على الله واستغاث به معتقدا انه القريب البصير القدير ينجو من جميع مخاوف الدنيا والآخرة وهذه قصته روى ان زيد بن حارثة رضى الله تعالى عنه خرج مع منافق من مكة الى الطائف فبلغ خربة فقال المنافق ندخل ههنا ونستريح فدخلا ونام زيد فاوثق المنافق زيداً واراد قتله فقال زيد لم تقتلنى قال لان محمدا يحبك وانا ابغضه فقال زيد يا رحمن اغثنى فسمع المنافق صوتاً يقول ويحك لا تقتله فخرج من الخربة ونظر فلم ير احدا ورجع واراد قتله فسمع صائحاً اقرب من الاول يقول لا تقتله فنظر فلم يجد احدا فرجع الثالث واراد قتله فسمع صوتا قريبا يقول لا تقتله فخرج فرأى فارسا معه رمح فضربه الفارس ضربة فقتله ودخل الخربة وحل وثاق زيد وقال له اما تعرفنى انا جبريل حين دعوت كنت فى السماء السابعة فقال الله عز وجل ادرك عبدى وفى الثانية كنت فى السماء الدنيا وفى الثالثة بلغت الى المنافق اه . قال المعصومى والله اعلم بحال هذا الخبر .

وقال الرازى رحمه الله تعالى ايضا فى تفسير الآية ان الله تعالى لما تمم الكلام فى الصفات المعتبرة فى الربوبية اردفه بالكلام المعتبر فى العبودية فاعلم ان الانسان مركب من جسد وروح والمقصود من الجسد أن يكون آلة الروح فى اكتساب الاشياء النافعة للروح فلا

جرم كان أفضل أحوال الجسد أن يكون آتياً بأعمال تعين الروح على اكتساب السعادات الروحانية الباقية . وتلك الاعمال هي أن يكون الجسد آتيا بأعمال تدل على تعظيم المعبود وخدمته . وتلك الاعمال هي العبادة فأحسن أحوال العبد في هذه الدنيا أن يكون مواظبا على العبادات . وهذه أول درجات سعادة الانسان . وهو المراد بقوله ﴿ إياك نعبد ﴾ وهذا لايتيسر إلا بتوفيق الله و إعانته وعصمته فيلتجىء إلى الله تعالى وهو قوله ﴿ و إياك نستعين ﴾ ويلوح أن الهداية لا تحصل إلا من الله تعالى فيقول ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾

واعلم أن العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤتى به لغرض تعظيم الغير وهو مأخوذ من قولهم طريق معبد أي مذلل . فقولك إياك نعبد معناه لا أعبد أحداً سواك . ووجه الحصر أن العبادة عبارة عن نهاية التعظيم وهي لاتليق إلا بمن صدر عنه غاية الانعام . وأعظم وجوه الانعام الحياة التي تفيد المكنة من الانتفاع وخلق المنتفع به . وكل النعم حاصل بإيجاد الله تعالى . فواجب ان لاتحسن العبادة الا لله تعالى فقوله ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ يدل على انه لامعبود إلا الله . ومتى كان الامر كذلك ثبت انه لا إله إلا الله . فهو يدل على التوحيد الخالص المحض . والمشركون طوائف منهم من أثبت الشريك الجسماني . إما من الاجسام السفلية أو من الاجسام العلوية . كمن يتخذ الاصنام من الاحجار أو الذهب والفضة ويعبدونها . أو من الاشجار أو من الحيوان كعابدي العجل . أو من

الانسان كمن قال عزير بن الله والمسيح ابن الله . و بعضهم يعبدون الاجسام البسيطة كالذين يعبدون النار وهم المجوس . أو يعبدون الشمس والقمر وسائر الكواكب و يضيفون السعادة والنحوسة اليها . هم الصابئة واكثر المنجمين . ومنهم من يقول أن مدبر العالم هو النور والظلمة . وهؤلاء المانوية والثنوية وطائفة يعبدون الملائكة والارواح الفلكية و يتخذون لتلك الارواح صوراً وتماثيل و يعبدونها . وهؤلاء عبدة الملائكة وطائفة قالوا ان للعالم إلهان أحدهما خير والآخر شر . وقالوا مدبر هذا العالم هو الله تعالى وابليس وهما اخوان . فكل ما فى العالم من الخيرات فهو من الله . وكل ما فيه من الشر فهو من إبليس . فكل من أثبت لله شريكا فانه لا بد وأن يكون مقدما على عبادة ذلك الشريك من بعض الوجوه اما طلبا لنفعه أو هربا من ضرره . وأما الذين أصروا على التوحيد وأبطلوا القول بالشركاء والاضداد ولم يعبدوا إلا الله . ولم يلتفوا الى غير الله فكان رجؤهم منه تعالى وخوفهم منه تعالى ورغبتهم فى الله تعالى ورهبتهم من الله تعالى فلا جرم لم يعبدوا الا الله . ولم يستعينوا الا بالله فلهذا قال ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فكان قوله ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ قائما مقام قوله لا إله إلا الله واعلم أن ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ يدخل فيه الذكر المشهور . سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر . ولا حول ولا قوه الا بالله العلى العظيم . ولا شك أنه لا يتم مقصود من المقاصد وغرض من الاغراض الا باعانة الله تعالى وتوفيقه واحسانه . وانما قال اياك نعبد ولم

يقل نعبدك لانه لو قال نعبدك لم يفد نفى عبادتهم لغيره لا نه لا امتناع من ان يعبدوا الله و يعبدوا غير الله كما هو دأب المشركين . واما لما قال ﴿ اياك نعبد ﴾ افاد انهم يعبدونه ولا يعبدون غير الله . والعبادة لا تجوز لغير الله ابداً . ولا يتيسر ذلك الا بهداية الله وتوفيقه .

نكتة مهمة . ان ﴿ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ﴾ كله مذكور على لفظ الغيبة ﴿ و إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ انتقال من الغيبة الى الخطاب . فما الفائده فيه وما النكتة فيه . فالجواب ان المصلى لما حمد الله واثنى عليه كأنه تقرب به اليه تعالى . فلما تقرب شرع يسأله . فأحسن السؤال ماوقع على سبيل المشافهة بلا واسطة . الا ترى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام لما سألوا ربهم شافهوه بالسؤال فقالوا ربنا ظلمنا انفسنا . ورب اغفر لنا . ورب هب لى . ورب ارنى والسبب فيه أن الرد من الكريم على سبيل المشافهة والمخاطبة بعيد . فالدعاء والطلب فى الحضرر أولى .

قوله تعالى ﴿ وإياك نستعين ﴾ أى لا أريد فى الاعانة غيرك لا جبريل ولا ميكائيل بل أريدك وحدك . واقتدى فى هذا الباب بالخليل عليه الصلاة والسلام . لانه لما قيد نمرود رجليه و يديه ورماه فى النار وجاءه جبريل عليه السلام وقال هل لك من حاجة فقال أما اليك فلا . فقال سله . فقال حسبى من سؤالى علمه بحالى . فلا استعين بغيرك لان ذلك الغير لا يمكنه اعانتى الا اذا اعنته على تلك الاعانة . فاذا كانت

اعانة الغير لا تتم الا باعانتك فلنقطع هذه الوسيلة ولنقصر على اعانتك الخ

قال العلامة ولى الله الدهلوى فى كتاب حجة الله البالغة . ان أصل أصول البر وعمدة انواعه هو التوحيد . وذلك لانه يتوقف عليه الاخبات لرب العالمين الذى هو أعظم الاخلاق الكاسبة للسعادة . وهو أصل التدبير العلمى الذى هو أفيد التدبيرين . وبه يحصل للانسان التوجه التام تلقاء الغيب ويستعد نفسه للحوق به بالوجه المقدس وقد نبه النبى ﷺ على عظم أمره . وكونه من أنواع البر بمنزلة القلب اذا صلح صلح الجميع واذا فسد فسد الجميع . حيث أطلق القول فيمن مات لايشرك بالله شيئاً انه دخل الجنة . وحكى عن ربه تبارك وتعالى « من لقينى بقراب الارض خطيئة لايشرك بالله شيئا لقيته بمثلها مغفرة » واعلم ان للتوحيد أربع مراتب احداها حصر وجوب الوجود فيه تعالى فلا يكون غيره واجباً . والثانية حصر خلق العرش والسموات والارض وسائر الجواهر فيه تعالى . وهاتان المرتبتان لم تبحث الكتب الالهية عنهما . ولم يخالف فيهما مشركوا العرب ولا اليهود ولا النصارى بل القرآن العظيم ناص على انهما من المقدمات المسلمة عندهم . والثالثة حصر تدبير السموات والارض وما بينهما فيه تعالى . والرابعة انه لايستحق غيره العبادة . وهما متشابكتان متلازمتان لربط طبيعى بينهما . وقد اختلف فيهما طوائف من الناس . معظمهم ثلاث فرق . النجامون ذهبوا الى ان النجوم تستحق العبادة . وان عبادتها تنفع فى الدنيا . ورفع الحاجات اليها حق . وزعموا

ان لها نفوساً فبنوا لها الهيا كل على اسمائها وعبدوها . والفرقة الثانية المشركون . وهم وافقوا المسلمين فى ان الله تعالى يدبر الامور العظام . ولكنهم خالفوهم فذهبوا الى ان الصالحين من قبلهم عبدوا الله وتقربوا اليه فاعطاهم الله الالوهية فاستحقوا العبادة من سائر الخلق . كما ان الملك الملوك تخدمه عبده فيحسن خدمته فيعطيه خدمة الملوك ويفوض اليه تدبير بلد من بلاده فيستحق السمع والطاعة من أهل ذلك البلد . وقالوا لا تقبل عبادة الله الا مضمودة بعبادتهم . بل الحق فى غاية التعالى فلا تفيد عبادته تقربا اليه . بل لا بد من عبادة هؤلاء ليقربوا الى الله زلفى وقالوا ان هؤلاء يسمعون ويبصرون ويشفعون لعبادهم ويدبرون أمورهم وينصرونهم . فنحتوا على اسمائهم احجاراً وجعلوها قبلة عند توجههم الى هؤلاء . ولذلك رد الله عليهم تارة بالتشبيه على ان الحكم والملك له خاصة وتارة ببيان انها جمادات . والفرقة الثالثة النصارى زعموا على ان المسيح قربا من الله وعلواً على الخلق فلاينبغى ان يسمى عبداً بل يناسب ان يسمى بابن الله . فرد الله عليهم تارة بانه لا صاحبة له . وتارة بانه بديع السموات والارض انما أمره اذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وهذه الفرق الثلاث لهم دعاوى عريضة وخرافات كثيرة لا تخفى على المتتبع . وعن هاتين المرتبتين بحث القرآن العظيم : ورد على الكافرين شبهتهم رداً مشبعاً .

وأما حقيقة الشرك فاعلم ان العبادة هى التذلل الاقصى وهى لا تليق الا لله الرب الرحيم . والمبتلون بمرض الشرك أصناف . منهم من نسى

جلال الله بالكلية فجعل لا يعبد الا الشركاء ولا يرفع حاجته الا اليهم لا يلتفت الى الله اصلا وان كان يعلم ان سلسلة الموجودات تنصرم الى الله تعالى ومنهم من يعتقد ان الله هو السيد وهو المدبر لكنه قد يخلع على بعض عبيده لباس الشرف والتأله ويجعله متصرفا فى بعض الامور الخاصة ويقبل شفاعته فى عباده بمنزلة ملك الملوك يبعث على كل قطر ملكا ويقلده تدبير تلك المملكة فيما عدا الامور العظام وهذا مرض جمهور اليهود والنصارى والمشركين وبعض الغلاة من منافقى دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يومنا هذا ولما كان مبنى التشريع على اقامة المظنة مقام الاصل عد اشياء محسوسة هى مظان الشرك كفرا سجدة الاصنام والذبح لها والحلف باسمها وامثال ذلك.

وحقيقة الشرك ان يعتقد الانسان فى بعض المعظمين من الناس ان الاثار العجيبة الصادرة منه انما صدرت لكونه متصفا بصفة من صفات الكمال الالهى مما لم يعهد في جنس الانسان بل يختص بالواجب جل مجده لا يوجد فى غيره الا ان يخلع هو خلعة الالوهية على غيره او يفنى غيره فى ذاته ويبقى بذاته او نحو ذلك مما يظنه هذا المعتقد من انواع الخرافات كما ورد فى الحديث ان المشركين كانوا يلبون بهذه الصيغة. (لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه ومالك) فيتذلل عنده اقصى التذلل ويعامل معه معاملة العباد مع الله تعالى وهذا معنى له اشباه وقوالب والشرع لا يبحث الا عن اشباحه وقوالبه التى باشرها الناس بنية الشرك حتى صارت مظنة للشرك ولازما له فى

العادة ونحن نريد ان ننبهك على امور جعلها الله تعالى فى الشريعة المحمدية مظنات للشرك فنهى عنها فمنها انهم كانوا يسجدون للاصنام والنجوم فجاء النهى عن السجدة لغير الله تعالى قال الله تعالى (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن) والاشراك فى السجدة كان متلازما للاشراك فى التدبير كما اومأنا اليه ومنها انهم كانوا يستعينون بغير الله فى حوائجهم من شفاء المريض وغناء الفقير وينذرون لهم يتوقعون انجاح مقاصدهم بتلك النذور ويتلون اسماءهم رجاء بركتها فاوجب الله تعالى عليهم ان يقولوا فى صلاتهم (اياك نعبد واياك نستعين) وقال تعالى (فلا تدعوا مع الله احدا) وليس المراد من الدعاء العبادة كما قاله بعض المفسرين بل هو الاستعانة لقوله تعالى (بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون)

ومنها انهم يتخذون احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله تعالى بمعنى انهم كانوا يعتقدون ان ما احله هؤلاء حلال لا بأس به فى نفس الامر . وان ما حرمه هؤلاء حرام يؤاخذون به فى نفس الامر

قلت فعلا هذا فكل من يعتقد حرمة الاشارة بالمسبحة فى تشهد الصلاة فيتركها كا كثر أهل بخارى والتركستان والهند والافغانستان وبعض مجاورى الحرمين فهم مستحقون الوعيد الشديد لانهم اتخذوا صاحب كتاب خلاصة الكيدانى ونحوه أربابا من دون الله .

حتى انى رأيت فى مدينة الرسول ومسجده ﷺ عام (١٣٥٤) أنفارا من البخاريين المجاورين المدعين الزهد والتقوى قد تركوا الاشارة .

فلما نبهتهم قالوا انها حرام فى مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة رحمه الله تعالى فلهذا لا يفعلها أهل بخارى شريف . فانظروا الى احوال الناس الى اين وصل . وحتى انى كنت عام (١٣٥٥) ﻫ أقرر أحاديث صحيحى البخارى ومسلم فى المسجد الحرام فى الدرس العام . وقررت انه لايجوز اعتقاد علم الغيب المخلوق ما . وانه لا يجوز الاستمداد والاستعانة من أرواح المشائخ ولا النذر اليها . فقال رجل من جهلة المجاورين البخاريين وهو من الزهاد عندهم . نحن نعتقد خلفا عن سلف أنه يجوز الاستمداد من الارواح وخصوصا روح الشيخ عبد القادر الجيلانى الذى سماه الله تعالى غوثا اعظم . فقلت له اخطأت وافتريت على الله تعالى فارجع عما قلت واعتقدت . فاصر مكرراً كلامه فى مشهد من الجماعة ان الله سماه (الغوث الاعظم) فنبهته ثانيا وافهمته بذكر دلائل كثيرة . وقلت ارجع وتب ولا تفتر على الله والا فتكفر ولم يتب ولم يرجع ولكن فارقنى مصراً على حاله فانظروا يا اخوانى المؤمنين العقلاء الى أين بلغت الجهالة والضلالة . فانا لله وانا اليه راجعون .

قال العلامة ولى الله الدهلوى رحمه الله تعالى أيضا . وسر ذلك ان التحليل والتحريم عبارة عن تكوين نافذ فى الملكوت ان الشيء الفلانى يؤاخذ به أولا يؤاخذ به . فيكون هذا التكوين سببا للمؤاخذة وتركها وهذا من صفات الله تعالى .. ومنها انهم كانوا يتقربون الى الاصنام والنجوم بالذبح لاجلهم فنهوا عن ذلك . . ومنها انهم كانوا يعتقدون فى

اناس ان اسمائهم مباركة معظمة . وكانو يعتقدون أن الحلف باسمائهم على الكذب يستوجب حرمانا فى ماله وأهله فلا يقدمون على ذلك . ولذلك كانوا يستحلفون الخصوم بأسماء الشركاء بزعمهم . فنهوا عن ذلك . ومنها الحج لغير الله تعالى وذلك أن يقصد مواضع متبركة مختصة بشركائهم يكون الحلول بها تقربا من هؤلاء فنهى الشرع عن ذلك . وقد قال ﷺ لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الاقصى » الحديث فى الصحاح .

قال الجامع المعصومى وفقه الله تعالى لما فيه رضاه . ان للحج لغير الله أمثلة كثيرة ابتلى به عامة الجهلة بل من هو فى زى العلماء والصلحاء كحج أهل ماوراء النهر الى زيارة قبر بهاؤ الدين النقشبند فى بخارى والطواف به والنذر له وكحجهم الى يسى لزيارة قبر وخلوة (الخواجه احمد اليسوى) وكحجهم الى أوش وقولهم انها (تخت سليمان عليه السلام وكعبة عجم أو مكة عجم .) وكحجهم الى مزار شريف فى افغانستان و كحجهم الى اجمير في بلاد الهند وكحجهم الى كربلاء و بغداد وكحج طائفة وادعا من مسلمى الصين التونكان الى شاكورا . وأمثال ذلك كثيرة ومشهورة فى عامة انحاء العالم الاسلامى أسأل الله تعالى أن ينور بصيرة المسلمين ويوفقهم لما فيه سعادتهم فى دينهم ودنياهم

وفى الحجة البالغة أيضاً ، ومن اعتقادات الجاهلية وان قالوا بانه لا شريك له فى خلق السموات والارض الخ ، ولا راد لحكمه ولا معقب

لقضائه ، ولكن من زندقتهم قولهم ان هنالك أشخاصاً من الملائكة والارواح تدبر أهل الارض فيبادون الامور العظام من اصلاح حال العابد فيما يرجع الى خويصة نفسه واولاده وأمواله ؛ وشبهوهم بحال الملوك بالنسبة الى ملاك الملوك ؛ وبحال الشفعاء والندماء بالنسبة الى السلطان المتصرف بالجبروت ، وقاسوا الغائب على الشاهد ، وقاسوا القادر العليم على العاجز الجاهل ، وهذا هو الفساد

قال العبد الضعيف الجامع المعصومى حفظه الله تعالى بلطفه . فالاله هو الله ، والخالق القادر الرب الرحيم هو الله ، والمعبود المستحق للعبادة هو الله ، والمعين المستعان هو الله عزوجل ، وقد دلت الآيات على ذلك كما اذ كر لك نبذة منها تذ كرة لك ، وقد قال الله تعالى في سورة البقرة ﴿ يأيها الناس اعبدو ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلاتجعلوا لله انداداً وأنتم تعلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون ﴾ وفى سورة الاعراف ﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ؛ ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى اجعل

لنا آلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين ، ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ قال العبد الضعيف فادعوا الله تعالى واطلبوا منه قضاء الحاجات وتوسلوا اليه بأسمائه الحسنى فهذا هو التوسل المأمور به المشروع شرعا والمقرون بالاجابة ، واتركوا ماسواه مما تزعمونه توسلا من ذكر اسماء المخلوقين ولو جبريل والانبياء أو اى شىء لانه الحاد وكفر وكذا قولهم بجاه النبى أو بجاه نبيك سيدنا محمد ﷺ فانه من الالحاد فى السؤال ، ولا يشك مسلم ان النبى ﷺ جاها عظيما عند الله تعالى ولكن لم يأمر الله ولا رسوله ﷺ أن نسأل الله بجاهه ، ولم يثبت عن احد من الصحابة أو التابعين لهم باحسان أو احد من السلف الصالحين رضى الله تعالى عنهم انه سأل الله بجاه النبى ﷺ ولا شك ان مالم يفعله هؤلاء فهو بدعة ، وحكم البدعة فى العبادة معلوم وهو الضلالة ، فيا إخوانى أما يسعنا ما وسعه الصحابة والسلف الصالحين رضى الله تعالى عنهم ، حتى نخرج عن جادتهم ونزيد عليهم أشياء استحسانا بعقولنا السخيفة وأهوائنا الرديئة اللهم سلمنا وسلم ديننا برحمتك وقد قال الله تعالى خطابا لرسوله ﷺ (قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ماشاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين

والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون) قال العبد الضعيف فالذين يقولون ياشيخ عبدالقادر الجيلاني الغوث الاعظم المدد او اغثنا او ادفع عنا كذا والذين يقولون يا علي يا حيدر ويا اسد الله المدد او كذا والذين يقولون يا رسول الله المدد اوشفاعتك او كذا وكذا والذين يقولون يا بهاء الدين النقشبند بلا كردان ادفع عنا البلاء يا دافع البلاء . وكذا الذين يقولون يا رفاعى او يا مجذوب او يا فلان كلهم يدعون من دون الله عبادا امثالهم وهم لا يستطيعون شيئاً . فقد خسر هؤلاء القائلون خسراناً مبيناً . نسأل الله العفو والهداية .

وفى آخر سورة التوبة (فان تولوا فقل حسبي الله . لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) وفى سورة يونس (قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين وان اقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك . فان فعلت فانك اذاً من الظالمين . وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو . وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده . وهو الغفور الرحيم .

وفى سورة هود (كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله انى لكم منه نذير وبشير. وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله وان تولوا فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل

شئ قدير ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لـكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالـكم من اله غيره ان انتم الا مفترون. ياقوم لا أسئلكم عليه أجراً ، ان اجرى الا على الذى فطرنى ، افلا تعقلون ، ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوةً إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ، قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، وإلى ثمود أخاهم صالحا ، قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، هو انشأ كم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه . ان ربى قريب مجيب ، قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا اليه مريب ، وإلى مدين اخاهم شعيباً ، قال ياقوم اعبدوا الله مالـكم من اله غيره ، ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أرا كم بخير وانى اخاف عليكم عذاب يوم محيط . ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾

وقد ظهر من هذه الآيات ان كل الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام دينهم التوحيد ودعوة الناس اليه مع توحيد العبادة لله وحده والتحذير من الاشراك بوجه من الوجوه فمن يخالف فيه فهو خارج عن الحق الذى جاؤا به . ومن جملتهم يوسف عليه السلام فانه قال كما فى سورة يوسف ﴿ انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون . واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شئ .

ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون . ماتعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ماأنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله . أمر ان لا تعبدوا الا اياه . ذلك الدين القيم . ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون . وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون . قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى . وسبحان الله وما انا من المشركين .

وفى سورة الرعد ﴿ قل انما أمرت أن أعبد الله ولا اشرك به · اليه ادعو واليه مآب ﴾ وفى سورة النحل ﴿ والذين يدعون من دون الله لايخلقون شيئا وهم يخلقون . أموات غير أحياء . وما يشعرون ايان يبعثون الهكم اله واحد . فالذين لايؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون . ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت . فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة . فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . وقال الله لاتتخذوا الهين اثنين . انما هو اله واحد . فاياى فارهبون وله ما فى السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون . وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجئرون ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ان ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفا ولم يك من المشركين . شاكراً لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم . وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾

وفى سورة الاسراء ﴿ لاتجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا وقضى ربك ان لا تعبدوا الا إياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا . وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبره تكبيراً ﴾

وفى آخر سورة الكهف ﴿ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد . فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ وفى سورة مريم قال عيسى على نبينا وعليه الصلوات والتسليمات

﴿ وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ وفى سورة طآه ﴿ الله لاإله إلا هو له الاسماء الحسنى . انني انا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى . وأقم الصلاة لذكرى . إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو . وسع كل شىء علماً ﴾ وفى سورة الانبياء ﴿ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا . فسبحان الله رب العرش عما يصفون . لايسئل عما يفعل وهم يسئلون . أم اتخذوا من دونه آلهة . قل هاتوا برهانكم . هذا ذكر من معى وذكر من قبلى . وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه انه لا إله إلا انا فاعبدون ﴾ وقال ابراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ﴿ قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون .

وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمات أن لا اله إلا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين ان هـذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون . قل انما يوحى إلى أنما الهكم اله واحد . فهل أنتم مسلمون . قال رب احكم بالحق . وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون ﴾

وفى سورة الحج ﴿ فالهكم اله واحد فله أسلموا . وبشر المخبتين . الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم . والصابرين على ما أصابهم والمقيمى الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . ويعبدون من دون الله مالم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم وما للظالمين من نصير يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له . وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ماقدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وجاهدوا فى الله حق جهاده . هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل . واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ وفى سورة المؤمنون ﴿ ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره أفلا تتقون . فارسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره افلا تتقون فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم ومن يدع مع الله الهاً آخر لابرهان له به فانما حسابه عند ربه انه لا يفلح الكافرون وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴾

وفى سورة الشعراء ﴿ واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ماتعبدون قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين قال هل يسمعونكم اذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون قالوا بل وجدنا آبائنا كذلك يفعلون قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون . انتم وآباؤكم الاقدمون . فانهم عدو لى الا رب العالمين الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين والذى يميتنى ثم يحيين والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين ﴾

وفى سورة النمل ﴿ انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة التى حرمها وله كل شيء وأمرت ان أكون من المسلمين وان اتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون ﴾ وفى سورة القصص ﴿ ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ﴾

وفى سورة العنكبوت ﴿ وابراهيم اذا قال لقومه اعبدوا الله واتقوه . ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . انما تعبدون من دون الله أوثانا وتخلقون افكا . ان الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا . فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون . والى مدين أخاهم شعيباً . فقال ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر . ولا

تعثوا فى الارض مفسدين . ياعبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة فاياى فاعبدون ﴾

وفى سورة لقمان ﴿ واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم يابنى أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك . ان ذلك من عزم الامور ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور واقصد فى مشيك واغضض من صوتك ان أنكر الاصوات لصوت الحمير ﴾ وفى سورة الاحزاب ﴿ وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾ وفى سورة فاطر ﴿ ذلكم الله ربكم له الملك . والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطمير . ان تدعوهم لايسمعوا دعاءكم ولو سمعوا مااستجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ياأيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ﴾

وفى سورة يس ﴿ ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون . أأتخذ من دونه آلهة . إن يردنى الرحمن بضر لا تغنى عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون إنى اذاً لفى ضلال مبين انى آمنت بربكم فاسمعون . ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لاتعبدوا الشيطان . انه لكم عدو مبين . وان اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴾

وفى سورة الزمر ﴿ إنا أنزلنا الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين . ألا لله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه أولياء . مانعبدهم

الا ليقربونا الى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون إن الله لايهدى من هو كاذب كفار . أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد . ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام ﴾

وفى سورة زخرف ﴿ وإذ قال ابراهيم لابيه وقومه انى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون ﴾ وفى سورة الاحقاف ﴿ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، واذا حشر الناس كانوا لهم اعداءاً وكانوا بعبادتهم كافرين ﴾ وفى سورة الذاريات ﴿وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين، وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾ وفى سورة التغابن ﴿ الله لا آله إلا هو ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ وفى سورة الليل ﴿ وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ، ولسوف يرضى ﴾ .

وفى سورة البينة ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة ، وذلك لمن خشى ربه ﴾ وتمام سورة الكافرون والاخلاص والمعوذتين ؛ فكل هذه الآيات وغيرها تدل دلالة ظاهرة ان أس الاساس هو توحيد العبادة واخلاص العمل لله رب العالمين . وان عبد غيره أو اعتمد وتوكل على غيره فهو من الهالكين . فتدبروا يا أيها العقلاء وتفكروا يا أيها النبلاء، ولا تضيعوا عقولكم التى هى منحة ونعمة من الله رب العالمين . وقد قال الله

عز وجل ﴿ أفلا تعقلون ، أفلا تبصرون ، أفلا تتفكرون ﴾ فمن ترك التعقل والتفكر والتبصر والتدبر، وقلد الآباء والمشائخ وكتب الاموات الغير المعصومين . فقد ضل ضلالا مبينا . واستحق غضب الله ولعنته فكان من الهالكين . كغالب من شاهدناه من اليهود والنصارى والمجوس والهندوس والبوده والاحبار والرهبان وعباد القبور وسدنة الضرائح ومشائخ الطرق البدعية والقراء الفسقه والعلماء الدجاجلة . فانتبهوا يا أيها الغافلون . وفقني الله عز وجل وإياكم للعقيدة الصحيحة والاعمال الصالحة النافعة فى الدنيا والآخرة . وميزان ذلك كتاب الله القرآن الذى بين أيدينا ، وسنة سيدنا محمد رسول الله ﷺ الثابتة المصرحة المدونة فى الكتب المشهورة كالصحاح الستة وغيرها . هذا هو الامر والباقى من العبث

فصـــل

فى وجوب توحيد العبادة

واعلم انى وان حررت آنفاً خلاصة المسائل المتعلقة به ولكن بدا لى الآن ان أفصل تفصيلا . أيضاحا للمقام وتبييناً للمرام . لكون المسألة مهمة جداً . فاقول لاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم . وحسبى الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير . قال الله عز وجل فى سورة البقرة ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ؛ الذى جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله انداداً وأنتم تعلمون ﴾ قال الجلال ﴿ اعبدوا ﴾ وحدوا ﴿ تتقون ﴾ بعبادته عقابه ﴿ انداداً ﴾ شركاء فى العبادة .

قال البغوى ﴿ اعبدوا ﴾ وحدوا . قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ما ورد فى القرآن من العبادة فمعناها التوحيد ﴿ انداداً ﴾ امثالا تعبدونهم كعبادة الله .

قال العلامة العماد ابن كثير فى تفسير الآية : شرع تعالى فى بيان وحدانية الوهيته . بانه تعالى هو المنعم على عبيده باخراجهم من العدم إلى الوجود، واسباغه عليهم النعم الظاهرة والباطنة بان جعل لهم الارض فراشاً الخ . فهو الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم . فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره ولهذا قال ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وانتم تعلمون ﴾ وفى الحديث لايقولن احدكم ماشاء الله وشاء فلان . ولكن ليقل ماشاء الله ثم شاء فلان) وخطب رسول الله ﷺ فقال « أما بعد فلا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد . ولكن قولوا ماشاء الله وحده » وهكذا رواه بن مردويه فى تفسير هذه الآية وكذا ابن ماجه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رجل للنبى ﷺ ماشاء الله وما شئت فقال « أجعلتنى لله نداً » قل ماشاء الله وحده . رواه النسائى وابن ماجه . وهذا كله صيانة وحماية لجناب التوحيد والله أعلم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً ﴾ الانداد الشرك اخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل . وهو ان يقول والله وحياتك يافلان وحياتى . ويقول لولا كلبة فلان لاتان اللصوص البارحة . وقول الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت . وقول الرجل لولا الله وفلان . لاتجعل فيها فلان هذا كله به شرك .

وقد روى أحمد فى مسنده فى حديث طويل عن الحارث الاشعرى رضى الله تعالى عنه انه قال ان نبى الله ﷺ قال « ان الله تعالى امر يحيى ابن ذكريا عليه السلام بخمس كلمات ان يعمل بهن وأن يأمر بنى اسرائيل أن يعملوا بهن . الى أن قال فجمع بنى اسرائيل فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله أمرنى بخمس كلمات ان اعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن : أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا . فان مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بورق أو ذهب فجعل يعمل ويؤدى غلته الى غير سيده فايكم يسره أن يكون عبده كذلك : وان الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا . وامركم بالصلاة فان الله ينصب وجهه لوجه عبده مالم يلتفت فاذا صليتم فلا تلتفتوا . الحديث وهذه الآية دالة على توحيد الله تعالى بالعبادة وحده لاشريك له . وقد استدل به كثير من المفسرين كالرازى وغيره على وجود الصانع تعالى . وهى دالة على ذلك بطريق الاولى :

وكذا ذكره الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى كتاب التوحيد ونصه قال الله تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله انداداً وانتم تعلمون ﴾ قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الانداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء فى ظلمة الليل وهو ان تقول والله وحياتك يافلان وحياتى : وتقول لولا كلبة هذا لاتانا اللصوص : لولا البط فى الدار لاتانا اللصوص : وقول الرجل لصاحبه ماشاء الله وشئت . وقول الرجل لولا الله وفلان . وهذا كله به شرك . رواه ابن ابى حاتم وعن عمر بن الخطاب رضى الله

تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال « من حلف بغير الله فقد أشرك » رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم : وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه « لان أحلف بالله كاذبا احب الى أن أحلف بغيره صادقا » وعن حذيفة رضى الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال « لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ماشاء الله ثم شاء فلان » رواه ابو داود بسند صحيح . وجاء عن ابراهيم النخعى رحمه الله تعالى انه يكره اعوذ بالله وبك . ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك . قال ويقول لولا الله ثم فلان . ولا تقولوا لولا الله وفلان . وروى النسائى وصححه عن قتيلة رضى الله عنه ان يهوديا اتي النبي ﷺ فقال انكم تشركون تقولون ماشاء الله وشئت وتقولون والكعبة . فامرهم النبي ﷺ اذا أرادوا ان يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة . وأن يقولوا ماشاء الله فشئت . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلا قال للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت . فقال اجعلتنى لله ندا قل ماشاء الله وحده . ولابن ماجه عن الطفيل اخي عائشة لامها رضى الله عنهما قال رأيت كانى أتيت على نفر من اليهود قلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون عزير ابن الله . وقالوا وانتم لانتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد . ثم مررت بنفر من النصارى فقلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون المسيح ابن الله . قالوا وانتم لانتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد . فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت . ثم أتيت النبي ﷺ فاخبرته . قال هل أخبرت بها احداً . قلت نعم قال فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال أما بعد فان طفيلا رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم

وانكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا ان انهاكم عنها، فلا تقولوا ماشاء الله وشاء محمد ؛ ولكن قولوا ماشاء الله وحده ، فيه قوله ﷺ أجعلتني لله نداً ؛ فكيف بمن قال «يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك» والبيتين بعده الخ .

وفى كشف الشبهات له ، أعلم رحمك الله ان التوحيد هو افراد الله سبحانه بالعبادة ، وهو دين الرسل الذين أرسلهم الله تعالى الى عباده، كنوح عليه السلام أرسله الله تعالى الى قومه لما غلوا فى الصالحين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا ، وآخر الرسل محمد ﷺ وهو الذى كسر صور هؤلاء الصالحين، أرسله الله تعالى الى أناس يتعبدون ويحجون ويتصدقون ويذكرون الله كثيراً ، ولكنهم يجعلون بعض المخلوقين وسائط بينهم وبين الله يقولون نريد منهم التقرب الى الله ونريد شفاعتهم عنده مثل الملائكة وعيسى ومريم وأناس غيرهم من الصالحين. فبعث الله محمدا ﷺ يجدد لهم دين أبيهم ابراهيم عليه السلام ويخبرهم ان هذا التقرب والاعتقاد محض حق الله تعالى لا يصلح منه شىء لا لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلا عن غيرهما ، والا فهؤلاء المشركون مقرون يشهدون ان الله هو الخالق الرازق وحده لا شريك له وانه لا يرزق الا هو ، ولا يحيي ولا يميت الا الله . ولا يدبر الامر الا هو ؛ وان جميع السموات السبع ومن فيهن والارضين ومن فيهن كلهم عبيده وتحت تصرفه وقهره ، فان أردت الدليل على ان هؤلاء المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يشهدون بذلك فاقرأ قوله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن

يدبر الامر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ﴾ ﴿ وقل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون ، سيقولون لله قل أفلا تذكرون . الى فانى تسحرون ﴾ فاذا تحققت انهم مقرون بهذا ولم يدخلهم فى التوحيد الذى دعاهم اليه رسول ﷺ ، وعرفت ان التوحيد الذى جحدوه هو توحيد العبادة الذى يسميه المشركون فى زماننا الاعتقاد ، وان رسول الله ﷺ قاتلهم على هذا الشرك ، ودعاهم الى إخلاص العبادة لله وحده ، وتحققت ان رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدعاء كله لله ، والذبح كله له ، والنذر كله له والاستغاثة كلها بالله وجميع أنواع العبادة كلها له ، وعرفت ان اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم فى الاسلام ، وان قصدهم الملائكة والانبياء أو الاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب الى الله بذلك هو الذى أحل دماءهم وأموالهم ، وعرفت حينئذ التوحيد الذى دعت الرسل اليه ، وابى عن الاقرار به المشركون ، وهذا التوحيد هو معنى قولك لا اله الا الله فان الاله عندهم هو الذى يقصد لاجل هذه الامور ، سواء كان ملكا أو نبياً أو ولياً أو شجرة أو قبراً أو جنياً ، ولم يريدوا ان الاله هو الخالق الرازق المدبر ، فانهم يعلمون ان ذلك لله وحده كما قدمته ، وانما يعنون بالاله ما يعني المشركون فى زماننا بلفظ السيد ، فاتاهم النبي ﷺ يدعوهم الى كلمة التوحيد وهى لا اله الا الله ، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد لفظها ، والكفار الجهال يعلمون ان مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو افراد الله تعالى بالعبادة والتعلق والكفر بما يعبد من دونه والبراءة منه

فانه لما قال لهم قولوا لااله الاالله قالوا اجعل الآلهة الهاً واحداً ان هذا لشيء عجاب)

فاذا عرفت ان جهال الكفار يعرفون ذلك فالعجب ممن يدعي الاسلام وهولا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار بل يظن ان ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني ، والحاذق منهم يظن ان معناها لايخلق ولا يرزق الا الله ولا يدبر الامر الاالله فلاخير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لااله الا الله ، وقد ذكر الله تعالى في كتابه ان المشركين يقرون بالربوبية وانه كفرهم بتعلقهم على الملائكة والانبياء والاولياء مع قولهم ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ هذا أمر محكم بين لايقدر احدان يغير معناه

ان اعداء الله لهم اعتراضات كثيرة على دين الرسل يصدون بها الناس عنه ، منهاقولهم نحن لانشرك بالله ؛ بل نشهد انه لايخلق ولايرزق ولا يضر الاالله وحده لاشريك له ، وان محمداً ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولاضراً فضلا عن عبدالقادر أو غيره ؛ ولكن انا مذنب والصالحون لهم جاه عند الله وأطلب من الله بهم . فجاوبه بما تقدم وهو ان الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بما ذكرت ومقرون أن أوثانهم لاتدبر شيئا . وإنما أرادوا الجاه والشفاعة .

واعلم أن شرك الاولين أخف من شرك زماننا من وجوه . أحدها أن الاولين لايشركون ولا يدعون الملائكة والاولياء والاوثان مع الله إلا في الرخاء . وأما في الشدة فيخلصون لله الدين كما قال تعالى

﴿ وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفوراً . وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين ﴾ فمن فهم هذه المسئلة التى أوضحها الله فى كتابه . وهى أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ يدعون الله تعالى ويدعون غيره فى الرخاء . وأما فى الضر والشدة فلا يدعون إلا الله وحده لا شريك له وينسون ساداتهم . تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الاولين . ولكن أين من يفهم قلبه هـذه المسئلة فهماً راسخاً . والله المستعان .

ولهؤلاء شبهة فمن أعظمها انهم يقولون ان الذين نزل فيهم القرآن لايشهدون أن لا إله الا الله ويكذبون الرسول ﷺ وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحراً . ونحن نشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله ونصدق القرآن ونؤمن بالبعث ونصلى ونصوم فكيف تجعلوننا مثل أولئك . فالجواب أن لا خلاف بين العلماء كلهم ان الرجل اذا صدق رسول الله ﷺ فى شئ وكذبه فى شيء انه كافر لم يدخل فى الاسلام . وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد بعضه كمن أقر بالتوحيد وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد وجوب الزكاة أو أقر بهذا كله وجحد الصوم او أقر بهذا كله وجحد الحج . ومن أقر بهذا كله وجحد البعث كفر بالاجماع . كما قال تعالى ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك

سبيلا . اولئك هم الكافرون حقاً ﴾ ومعلوم أن التوحيد هو أعظم فريضة جاء بها النبي ﷺ وهو أعظم من الصلاة والزكاة والحج والصوم .

وفيه أيضا . أن أصل دين الاسلام انما هو عبادة الله وحده لا شريك له والتحريض على ذلك لقوله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾ الآية . أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى لا اله الا الله الذى دعا اليه العرب وغيرهم . والكلمة هى لا اله الا الله ففسرها بقوله أن لا نعبد الا الله . فقوله ان لا نعبد فيه معنى لا اله وهى نفى العبادة عما سوى الله تعالى . والا الله هو المستثنى فى كلمة الاخلاص . فامره تعالى أن يدعوهم الى قصر العبادة عليه وحده ونفيها عمن سواه . ومثل هذه الآية كثير يبين أن الالهية هى العبادة وانها لا يصلح منها شيء لغير الله . ﴿ وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه ﴾ وهذا هو توحيد العبادة . وهو دعوة الرسل اذ قالوا لقومهم ﴿ ان اعبدوا الله مالكم من اله غيره ﴾ فلابد من نفى الشرك فى العبادة رأساً والبراءة منه وممن فعله ﴿ اذ قال ابراهيم لابيه وقومه اننى براء مما تعبدون إلا الذى فطرنى ، قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ والذين معه هم الرسل كما ذكره ابن جرير .

وقال تعالى ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا

الطاغوت ، وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدونى ، واذكر اخا عاد إذا أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ان لاتعبدوا إلا الله ﴾ ونحن نعلم بالضرورة أن النبى ﷺ لم يشرع لأحد أن يدعو أحداً من الاموات لا الانبياء ولا الصالحين ولا غيرهم بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها . كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك بل أنه نهى عن هذه الامور كلها وان ذلك من الشرك الذى حرمه الله ورسوله ﷺ . ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة فى كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء الرسول ﷺ مما يخالفه .

وفيه أيضاً : اعلم ان المشركين نشأوا فى الفترة على عبادة الاصنام والأوثان . وكان عند الكعبة ثلثمائة وستون صنما على صور من كانوا يعبدونه . فلما دعاهم النبى ﷺ إلى لا اله الا الله ، أى الى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله انكروا عليه وأبوا أن ينفوا ما نفته هذه الكلمة لا اله الا الله من عبادة الاوثان والاصنام . وان يخلصوا العبادة لله وحده ﴿ انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ، ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ فكذا فى هذه الامة لما كثر الشرك فيهم كما كثر فى أولئك وبنيت المساجد على القبور وعبدت ، وبنيت المشاهد على اسم من بنيت باسمه من الصالحين وعبدت ، صاروا يقولون لا اله الا الله والشرك قد قام فى قلوبهم واتخذوها ديناً فاثبتوا ما نفته هذه الكلمة من عبادة غير الله . وانكروا ما دلت عليه من الاخلاص . فعكسوا ما دلت

عليه هذه الكلمة بكونهم اثبتوا ما نفته من الشرك . ونفوا ما أثبتته من الاخلاص الذى هو حق الله على عباده ، فيقول لا اله الا الله وقد اعتقد عكس ما دلت عليه . وهذا غاية الجهل والضلال . يقول كلمة تتضمن النفي والاثبات فلا يعرف ما نفته ولا ما اثبتت ، وكثير منهم له في علم المعقول اليد الطولى فسبحان كيف جهلوا من ذلك ما دعت اليه الرسل من توحيد الله ونفي الشرك الذى نهوا أممهم عنه . كما هو صريح القرآن لايخفي على من له أدنى فهم ان وفق لفهمه. فوضعوا الشرك موضع التوحيد بالقبول. ووضعوا التوحيد موضع الشرك بالانكار على من دعا اليه وعداوته . ويا اسفاً على غربة الاسلام في هذه القرون المتأخرة .

وفيه أيضاً نقلا عن الصواعق المرسلة : التوحيد نوعان ، القولي الخبري العلمي ، القصدي الارادي العملي كما دل على الاول سورة الاخلاص ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم ﴾ وعلى الثاني سورة الكافرون ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله ﴾ والتوحيد العلمي أساسه اثبات الكمال للرب ومباينته لخلقه وتنزيهه عن العيوب والنقائص والتمثيل . والتوحيد العملي تجريد القصد بالحب والخوف والرجاء والتوكل والانابة والاستعانة والاستغاثة والعبودية بالقلب واللسان والجوارح لله وحده . ومدار ما بعث الله به رسله وأنزل به كتبه على هذين التوحيدين . وأقرب الخلق الى الله تعالى أقومهم بهما علما وعملا . ولهذا كانت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أقرب الخلق

الى الله تعالى . وأقربهم اليه وسيلة أولوا العزم وأقربهم الخليلان . وخاتمهم سيد ولد آدم أكرمهم على الله تعالى لكمال عبوديته وتوحيده . فهذان هما قطبا رحى الدين وعليهما مداره . وبيانهما من أهم الامور ، والله سبحانه بينهما غاية البيان بالطرق العقلية والنقلية والفطرية والنظرية والامثال المضروبة وامام المعطلين المشركين فرعون فهو امام كل معطل ومشرك الى يوم القيامة ، كما ان امام الموحدين ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام .

وأصل عبادة الاصنام ان قوم نوح عليه السلام صوروا صور الصالحين ، ومازال الشيطان يوحي الى عباد القبور ويلقي اليهم ان البناء عليها والعكوف عندها من محبة أهل القبور من الانبياء والصالحين وان الدعاء عندها مستجاب ، ثم ينقلهم من هذه المرتبة الى الدعاء به والاقسام على الله تعالى ثم نقلهم منه الى دعائه وعبادته وسؤاله الشفاعة واتخاذ قبره وثناً تعلق عليه القناديل والستور ويطاف به ويستلم ويقبل ويحج اليه ويذبح عنده ، ثم نقلهم منه الى دعاء الناس الى عبادته واتخاذه عيداً ومنسكا ورأوا ان ذلك أنفع لهم من دنياهم وأخراهم ، وكل هذا قد علم بالاضطرار من دين الاسلام انه مضاد لما بعث الله به رسوله ﷺ من تجريد التوحيد وان لا يعبد الا الله ، ثم نقلهم منه الى ان من نهى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية وحطهم عن منزلتهم وزعم انه لا حرمة لهم ولا قدر ، فغضب المشركون واشمأزت قلوبهم كما قال تعالى ﴿ واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم

يستبشرون ﴾ وقدسرى ذلك فى نفوس كثير من الجهال والطغام فوالوا أهل الشرك الخ .

قال الجامع العبد الضعيف محمد سلطان المعصومى الخجندى المكى انى قد شاهدت فى بخارى عند ضريح الخواجة بهاء الدين النقشبندى ، ان كثيراً من حملة العمائم جالسون حوله ويدعون انهم ممن ينتسب الى الشيخ وانهم أصحاب الدعاء ، والناس يقصدون زيارة هذا الضريح من بلاد بعيدة ، ويعدونها فضيلة عظيمة ، فيحملون اليه نذوراً من الاموال والنقود والمواشى ، ويزعمون ان هذا النذر ينبغى أن يكون سبعاً سبعاً فيقدمونه الى المشائخ والسدنة المذكورين ؛ وهم يأمرونهم بالطواف حول القبر والتوجه اليه وطلب الحاجات منه فينادون . يابهاء الدين نقشبند بلاكردان اعطنا كذا أوادفع عنا كذا . وهكذا يفعلون دائما . وخصوصا في ليلة الاربعاء . بحيث يحدث ضوضاء وغوغاء . وإذا نهيتهم عنه قاموا عليك يسبونك وينسبونك إلى الزندقة . وهكذا رأيتهم يفعلون فى كل المزارات التى يعتقدونها . كمزار الشيخ العالم وفتح آباد . وتورك جندى . وخواجه باباپاره دوز وغيرها . وأما فى سمرقند فقبر قثم ابن عباس رضى الله عنهما الذى يسمونه شاه زنده . ولهم فى شأنه خرافات . وكذا الامير تيمور الاعرج الرافضى . وكذا الشيخ عبيد الله أحرار وغيرها وأما فى خجند فضريح الشيخ بديع الدين النورى المعروف بشيخ مصلح الدين . حتى انى رأيت بعينى رأسى أن منهم من سجد إلى قبره وهو مستدبر للقبلة . وأما فى

مرغينان فقبر معاذ بن جبل رضى الله عنه على ما يزعمونه . وهو كذب وباطل . وكذا قبر على بن أبى طالب رضى الله عنه المشهور عندهم بشاه مردان . وهو كذب وباطل . وأما في اوش فقبر آصف بن برخيا وزير سليمان النبي ﷺ ، وموضع تخت سليمان أيضا ؛ ويسمونه كعبة العجم ؛ وأن من يريد الحج إلى الكعبة فعليه أن يزور أولا مكة العجم هذه والا لا يقبل حجه ، وأما فى جلال آباد فقبر أيوب النبى عليه السلام وعينه التى اغتسل فيها بعد أن عوفى من البلاء ، وهى من المكذوبات ، وأما فى تاشقند فقبر الخواجه خواوندطهور ؛ وقبر زنكى اتا ؛ وغيرها ، وأما فى يسى المشهور بتركستان فقبر الخواجه أحمد اليسوي ؛ واما فى كاشغر فقبر آپاق خواجه ، واما فى بلخ فقبر على رضى الله عنه على مايدعون ويسمون مزارسخى ؛ واما فى اجمير فقبر معين الدين الجشتى ، وهكذا فى لاهور وكشمير ودهلى وبمبى وغيرها من بلاد الهند ، واما فى بغداد فقبر الشيخ عبد القادر الجيلانى ، واما فى دمشق فقبر محى الدين ابن عربى ؛ واما فى مصر فقبر السيدة نفيسة وزينب وحسين وغيرها ، ففى كل واحد من هذه المزارات بنيت القبب وارخيت الستور الفاخرة فيحجون اليها من كل الجهات ، ويطلبون منها الاعانات والبركات وقضاء الحاجات ؛ واذا قاموا واذا قعدوا واذا حملوا شيئا واذا مشوا يقولون يافلان او يا پير أو ياشيخ مدد ، ويقومون عند قبورهم بغاية الادب والتواضع والخشوع فيبكون وتسيل دموعهم كالسيول ، ويسجدون للقبور ويقبلون

اعتابها ، فما من قرية فضلا عن بلدة الا ومن هذه المزارات المعبودة موجودة ، والشيوخ والسدنة الدجالون يحكون حكايات خرافية واحاديث كاذبة فيقبلها الجهال فيضلون حتى يقعون فى الشرك الاكبر .

والعبد الضعيف لما دخلت بلاد الهند ورأيت غلوهم فى تعظيم القبور بكيت دمعاً بل دماً ؛ وزيادة على ذلك ان رجلا من اهل بلاد فرغانة واسمه عبدالقادرالخوقندي ، وهو يزعم انه من العلماء والمدرسين ونحن إذ ذاك فى دهلى حكى حكاية ، وهى ان اللورد الفلانى من اللوردات الانكليزية ، لما قدم بلاد الهند وتشرف بزيارة مرقد الشيخ معين الدين فى بلدة اجمير شريف ، ورأى وفود الناس وازدحامهم عليه وخشوعهم وتضرعهم وبكاءهم ، قال ما رأيت فى العالم ميتا يتسلطن ويخضع الناس لسلطنته الا الشيخ معين الدين هذا والشيخ عبد القادر الجيلانى غوث الاعظم فانهما سلطان الدنيا والدين حيا وميتا ، والعجب من بعض المسلمين انهم لايخضعون لسلطانهما وانى قد بلغت حكومة الهند ان تنصف كراء السكة الحديدية لزوار هذا السلطان الاعظم ، فنصفوا الكراء فى موسم اجمير ، وهذا الانكليزى يعتقد هكذا ويعترف بهذا السلطان العظيم ، وانت تنكر كل هذه الخوارق والكرامات ، فقلت نعم انا انكر كل ماقلت لانه شرك صريح وكفر قبيح ، واللورد المذكور انما قال ذلك القول وفعل مافعل ليخرج الناس من نور الايمان والتوحيد الى ظلمات الشرك والضلال ، وانا اتعجب منك تفتخر بقول العدو الالد وتتمسك به .

فانظر الى اين بلغت الضلالة وغلبت الجهالة حتى صاروا يعتقدون ان الاموات يعلمون و يتصرفون و يقضون الحاجات ، وهذه معصية عظيمة ابتلى بها المسلمون فانا لله وانا اليه راجعون .

وفى مجموعة التوحيد ايضا ، قال فضيل بن عياض رحمه الله تعالى فى قوله تعالى ﴿ ليبلوكم ايكم احسن عملا ﴾ اي اخلصه واصوبه ؛ قالوا يا ابا على ما اخلصه واصوبه ، قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ، واذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا ، والخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة .

والعبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهرة ؛ فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك بالله .

وفيها ايضا قال العلامة عبد الله بن عبد الرحمن المعروف باباطين معنى لا اله الا الله عند جميع اهل اللغة وعلماء التفسير والفقهاء كلهم يفسرون الاله بالمعبود ، والتاله التعبد ، واما العبادة فعرفها بعضهم بانه ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفى ولا اقتضاء عقلى ؛ والمأثور عن السلف تفسير العبادة بالطاعة ، فيدخل فى ذلك فعل المأمور وترك المحظور من واجب ومندوب ، وترك المنهى عنه من محرم ومكروه ، فمن جعل نوعا من أنواع العبادة لغير الله كالدعاء والسجود والذبح والنذر وغير ذلك فهو مشرك ، ولا إله إلا الله متضمن للكفر بما يعبد من دون الله لان معنى لا إله إلا الله إثبات العبادة لله وحده والبراءة من كل معبود سواه ، وفى الحديث الصحيح من قال لا إله إلا الله وكفر

بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله ، فمن قال لا إله الا الله ومع ذلك يفعل الشرك الاكبر كدعاء الموتى والغائبين وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات والتقرب اليهم بالنذر والذبائح فهذا مشرك شاء أم أبى

والتحقيق أن المعنى الكلى الجامع لكل ما ذكر فى تعريف العبادة ، هو أن العبادة كل عمل من أعمال القلب واللسان والجوارح يعده صاحبه قربة لمن له سلطان غيبي فوق إدراك العقل غير مقيد بالاسباب المسخرة للناس . فيستطيع أن ينفع ويضر من غير طريق الاسباب التي ينفع أو يضر بها بعض الناس بعضاً . والاله المعبود وهو صاحب هذا السلطان الغيبي سواء كان له من ذاته لذاته وهو رب العالمين كلهم . وهو المعبود بحق ، أو كان له بما يعتقد من قربه من الرب تعالى وتأثيره فى ارادته بحيث يفعل الرب لاجله أو يمكنه من الفعل . وهذا هو المعبود الباطل . لان الرب لا يشرك فى فعله ولا فى حكمه أحداً انتهى .

وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الاله بانه المعبود . وانما غلط فى ذلك بعض أئمة المتكلمين فظن أن الاله هو القادر على الاختراع . وهذه زلة عظيمة وغلط فاحش إذا تصوره العامى العاقل تبين له بطلانه . وكان هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه ولم يعلم ان مشركي العرب وغيرهم يقرون بان الله هو القادر على الاختراع . وهم مع ذلك مشركون والعبادة الحقة خاصة لله وحده فمن صرف شيئا منها لغير الله فقد عبد ذلك الغير

واتخذه آلهاً واشركه مع الله فى خالص حقه وان فر من تسمية فعله ذلك تألهاً وعبادة وشركا ، ومعلوم عند كل عاقل ان حقائق الاشياء لا تتغير بتغير اسمائها ، فاذا سمى الزنا أو الربا أو الخمر بغير اسمائها لم يخرجها تغيير الاسم عن كونها الزنا أو الربا أو الخمر أو نحو ذلك ، ومن أعظم مكائد الشيطان لبنى آدم قديماً وحديثاً انه اخرج لهم الشرك فى قالب تعظيم الصالحين وغير اسمه بتسميته اياه توسلا وتشفعاً ونحو ذلك ، وهذا شرك فالمشرك مشرك شاء أم أبي ، وعبادة للطاغوت ، وقال جميع أهل اللغة : الطاغوت كل ما عبد من دون الله ، وقال الجوهرى الطاغوت الكاهن والشيطان وكل رائس فى الضلال ، وقال ابن كثير وهو قول قوى جداً ، فانه يشمل كل ما عليه أهل الجاهلية من عبادة الاوثان والتحاكم اليها والاستنصار بها ، وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الطاغوت تراجمة للاصنام الذين يكونون بين أيديهم يعبرون عنها الكذب ليضلوا الناس ، ويشمل هذا كل ما نصبه الناس للحكم بينهم باحكام الجاهلية المضادة لحكم الله ورسوله ، وسدنة الاوثان والداعين إلى عبادة أهل القبور وغيرهم بما يكذبون من الحكايات المضلة للجهال ، الموهمة ان المقبور ونحوه يقضى حاجة من توجه اليه وقصده ، وانه فعل كذا وكذا مما هو كذب أو من فعل الشياطين ليوهموا الناس أن المقبور ونحوه يقضى حاجة من قصده فيوقعهم فى الشرك الاكبر وتوابعه .

وفى الجواهر المضيئة لابن عبد الوهاب ، التوحيد نوعان توحيد الربوبية ، وهو ان الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والانبياء

وغيرهم وهذا حق لا بد منه ، لكن لا يدخل الرجل في الاسلام ، بل أكثر الناس مقرون به قال الله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السماء والارض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ومن يدبر الأمر ، فسيقولون الله ، فقل أفلا تتقون ﴾ وان الذى يدخل الرجل فى الاسلام هو توحيد الآلهية ، وهو أن لا يعبد الا الله ، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ، وذلك أن النبى ﷺ بعث وأهل الجاهلية يعبدون اشياء مع الله ؛ فمنهم من يعبد الأصنام . ومنهم يدعو عيسى ، ومنهم يدعو الملائكة فنهاهم عن كل ذلك . واخبرهم ان الله أرسله ليوحد ولا يدعى احد لا الملائكة ولا الانبياء ، فمن اتبعه ووحد الله فهو الذى شهد ان لا إله الا الله ، ومن عصاه ودعا عيسى أو الملائكة واستنصرهم والتجاء اليهم فهو الذى جحد لا إله الا الله مع اقراره انه لا يخلق ولا يرزق الا هو ، وهذا مجمع عليه بين العلماء ، فلما جرى فى هذه الامة ما اخبر به نبيها محمد ﷺ حيث قال « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه » وكان من قبلهم قد اتخذوا احبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ، وصار ناس من الضالين يدعون اناسا من الصالحين فى الشدة والرخاء مثل عبد القادر الجيلانى وأحمد البدوى وعدى بن مسافر (قلت ومعين الدين الجشتى فى اجمير الهند ، وبهاؤ الدين النقشبند فى بخارى ، ومصلح الدين فى خجند ، وآفاق خوجه فى كشغر ، ومزارسخى فى بلخ ، وزانكى اتا فى تاشقند ، وأحمد يسوى فى تركستان ، ومحى بن عربى فى الشام)

وامثالهم من أهل العبادة والصلاح فى كل بلدة وقرية ، وقد بين أهل العلم فى امثال هذا انه هو الشرك الأكبر وعبادة الاصنام، والذين يدعون مع الله آلهة اخرى مثل الشمس والقمر والصالحين والتماثيل لم يكونوا يعتقدون انها تُنزل المطر او تُنبت النبات ، وانما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، فبعث الله الرسل وانزل الكتب تنهى ان يدعى احد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة.

واعلم ان المشركين فى زماننا قد زادوا على الكفار فى زمن النبى ﷺ بدعائهم الاولياء والصالحين فى الرخاء والشدة ، ولاشك ان رسول الله ﷺ قاتلهم ليكون الدين كله لله ؛ والدعاء كله لله ، والذبح كله لله ، والنذر كله لله والاستغاثة كلها بالله ، وجميع انواع العبادات كلها لله ،وقد عرفت ان اقرارهم بتوحيد الربوبية لم يُدخلهم فى الاسلام ، وان قصدهم الملائكة والانبياء والاولياء يريدون شفاعتهم والتقرب لله بذلك هو الذى أحل دماءهم واموالهم ، عرفت حينئذ التوحيد الذى دعت اليه الرسل وابى عن الاقرار به المشركون ؛ وهذا التوحيد هو معنى لا إله الا الله.

والعبادة انواع كثيرة منها السجود فلا يجوز لعبد ان يضع وجهه على الارض ساجداً إلا لله وحده لا شريك له لا لملك مقرب ولا لنبى مرسل ولا لولى ؛ ومنها الذبح فلا يجوز لاحد ان يذبح إلا لله وحده ؛ فمن ذبح لغير الله من جنى او قبر فهو كما لو سجد له، وقد لعنه رسول الله ﷺ وقال « لعن الله من ذبح لغير الله» ، ومنها الدعاء كما كان المؤمنون يدعون الله ليلا ونهاراً فى الشدة والرخاء وحده فتفكر رحمك الله فيما حدث فى الناس

اليوم من دعاء غير الله فى الشدة والرخاء، هذا يريد سفراً فيأتى عند قبر فينذر له ، وهذا تلحقه الشدة فى البر والبحر فيستغيث بعبد القادر او السمان ان ينجيه من هذه الشدة ، فيقال لهذا الجاهل ان كنت تعرف ان الاله هو المعبود، وتعرف ان الدعاء من العبادة فكيف تدعو مخلوقاً ميتاً عاجزاً ، وتترك الحى القيوم الرءوف الرحيم القدير، فيقول هذا المشرك ان الامر بيد الله ولكن هذا العبد الصالح يشفع لى عند الله وتنفعنى شفاعته وجاهه . ويظن ان ذلك يسلمه من الشرك فليتدبر اللبيب العاقل الناصح لنفسه الذى يعرف ان بعد الموت جنة وناراً هذا الموضع ، ويعرف الشرك وان المشركين ما أرادوا من الذين يعتقدون فيهم الا الشفاعة لا غير ذلك فان احتج بعض المشركين ان اولئك يعتقدون فى أصنام من حجارة وخشب ونحن نعتقد فى الصالحين ، قيل له والكفار أيضاً منهم من يعتقد فى الصالحين ، مثل الملائكة وعيسى بن مريم . وفى الاولياء مثل العزير واللات وناس من الجن ، فصاروا هم والذين يعتقدون فى الاصنام من الحجر والشجر واحداً ، فلما جاءهم رسول الله ﷺ لم يفرق بين الذين يعتقدون فى الاوثان من الخشب والحجر والذين يعتقدون في الانبياء والصالحين . وانى قد سمعت عن كثير منهم يقول جاءتنى شدة فجئت الشيخ فلان أو السيد فلان فنذرت له فخلصنى ، وقد وقع كثير من المصنفين على جهالة من الشرك الاكبر وهو لا يفطن لذلك كقول صاحب البردة

يا اكرم الخلق مالى من الوذبه   سواك عند حلول الحادث العمم

وأمثال ذلك كثيرة

وفى الجزء الرابع من مجموعة الرسائل النجدية ، من زعم ان المراد من لاإله الا الله مجرد القول فقد خالف ماجاءت به الرسل والانبياء من دين الله ، والقرآن من أوله الى آخره يحقق معنى لااله الا الله ، ينفى الشرك وتوابعه ويقرر الاخلاص وشرائعه ، ولكن اشتدت غربة الدين بهجوم المفسدين ، ووقع الريب والشك بعد اليقين ، وانتقض أكثر عرى الاسلام كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ فى الاسلام من لايعرف الجاهلية ؛ والحاصل ان كل قول وعمل صالح يحبه الله ويرضاه فهو من مدلول كلمة الاخلاص التى سماها الله تعالى كلمة التقوى ، والتقوى أن يتقى سخط الله وعقابه بترك الشرك والمعاصى واخلاص العبادة لله واتباع أمره على ماشرعه

وكل رسول يدعو قومه الى أن يخلعوا عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله ويخلصوا اعمالهم كلها عن الاصنام والاوثان التى اتخذوها وجعلوها أنداداً لله بعبادتهم . وهذا هو معنى لا إله إلا الله لا يشك فى هذا مسلم والايمان بالله وحده هو البراءة مما كانوا يعبدونه من دون الله ، فمن شك ان هذا هو معنى لا إله إلا الله فليس معه من الاسلام مايزن حبة خردل ولا شك ان معنى لااله الا الله ، لامعبود الا الله ؛ فالاله هو المعبود ، والتأله التعبد لا إله إلا الله نفت الالهية عمن سوى الله واثبتتها لله تعالى وحده ؛ والعبادة اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضاه من الاقوال والافعال ، فالاله هو المعبود المطاع ، فمن جعل شيئاً من العبادة لغير الله فهو مشرك

وذلك كالسجود والدعاء والذبح والنذر والتوكل والخوف والرجاء وغير ذلك من أنواع العبادة الظاهرة والباطنة . وافراد الله تعالى بالعبادة ونفيها عما سواه هو حقيقة التوحيد ؛ وهو معنى لا اله الا الله ؛ فمن قال لا إله إلا الله بصدق ويقين أخرجت من قلبه كل ما سوى الله محبة وتعظيما واجلالا ومهابة وخشية وتوكلا ، وهذا هو حقيقة الاخلاص الذى قال فيه رسول الله ﷺ «من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة» قيل للحسن البصرى رحمه الله تعالى ان ناساً يقولون من قال لا إله إلا الله دخل الجنة ؛ قال من قال لا إله إلا الله فادى حقها وفرضها ، وغالب من يقول لا إله إلا الله انما يقولها تقليداً ولم يخالط الايمان بشاشة قلبه ؛ فلا يعرف ما تنفيه وما تثبته ، ومن لا يعرف ذلك يخشى عليه أن يصرف عنها عند الموت ، وفى القبور امثال هؤلاء يقولون كما فى الصحيح «سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته» الحديث .

واجهل الناس من يحتج على جواز الشرك والضلال بعمل الناس وكثرتهم ، ولا يخفاك ان سبب ضلال اليهود والنصارى علماؤهم ، فكذلك سبب ضلال أكثر هذه الامة علماؤها ، كما فى الحديث المشهور «علماؤهم شر من تحت اديم السماء منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود» وقولهم لو أن هذا لا يجوز ما خفى على فلان وفلان ، فهذه شبهة باطلة قال محمد بن وضاح انما هلكت بنو اسرائيل على يد قرائهم وعلمائهم وفقهائهم ؛ وستهلك هذه الامة على يد قرائها وفقهائها ، قال عبد الله بن مبارك رحمه الله تعالى :

وهل افسد الدين الا الملوك   واحبار سوء ورهبانها

والاستغاثة بالنبي ﷺ بعد موته موجود فى كلام كثير من المتأخرين مثل يحيى الصرصرى ومحمد بن النعمان والبوصيرى وغيرهم ، وهؤلاء لهم صلاح ، ولكنهم ليسوا من أهل العلم ، بل جروا على عادة اهل بلادهم ، والشر يزداد يوما فيوما ، ويقول عالمهم استعملها من هو أعلم مناواعرف بكلام العرب ، فبئست الحجة الواهية ، والله لم يأمرنا باتباع من رأيناه أعلم منا ، وانما أوجب علينا عند التنازع الرد إلى كتابه وسنة نبيه . قال الله تعالى ﴿ فان تنازعتم فى شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ خاصة فى أمور الدين فانه لايجوز التقليد فيها باجماع العلماء ، ولم يقل سبحانه فان تنازعتم فى شئ فاتبعوا ماعليه أكثر الناس ولا ماعليه بلد من البلدان .

وفى الجزء الرابع من المجموعة النجدية ؛ نقلا عن الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن رجب رحمه الله تعالى ، ومن تحقق لا إله إلا الله فى قلبه فعلامته أن لا يؤله القلب غير الله حباً ورجاء وخوفا وتوكلا واستعانة وخضوعا وانابة وطلباً ، وتحققه بان محمداً رسول الله ؛ أن لايعبد الله بغير ماشرعه على لسان محمد ﷺ ، وقد جاء هذا المعنى مرفوعا إلى النبي ﷺ أنه قال « من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة » قيل ما خلاصها يا رسول الله قال « أن تحجزك عما حرم الله عليك » وتحقيق هذا المعنى أن قول العبد لا إله الا الله يقتضى أن لا إله غير الله ، والاله هو الذى يطاع فلا يعصى هيبة واجلالا ومحبة وخوفا ورجاء وتوكلا عليه وسؤالا منه

ودعاءه ، ولا يصح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن اشرك مخلوقا فى شىء من هذه الامور التى من خصائص الالوهية كان ذلك قدحا في اخلاصه فى قول لا إله إلا الله ونقصاً فى توحيده ، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك ، وهذا كله من فروع الشرك ، ولهذا ورد اطلاق الشرك والكفر على كثير من المعاصى التى منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه أو التوكل عليه أو العمل لاجله ، كما ورد اطلاق الشرك على الرياء وعلى الحلف بغير الله وعلى التوكل على غير الله والاعتماد عليه ، وعلى من سوى بين الله وبين المخلوق فى المشيئة مثل أن يقول ما شاء الله وشاء فلان ، وكذا قوله مالى الا الله وأنت ، وكذلك كل ما يقدح في التوحيد ، وتفرد الله بالنفع والضر كالطيرة والرقى المكروهة واتيان الكهان وتصديقهم بما يقولون ، وكذلك اتباع هوى النفس فيما نهى الله عنه قادح فى تمام التوحيد وكماله ولهذا نطلق الشرك على كثير من الذنوب التى منشأها من اتباع هوى النفس انها كفر وشرك كقتال المسلم ومن اتى حائضاً أو امرأة فى دبرها ومن شرب الخمر فى المرة الرابعة ، وان كان ذلك لا يخرج من الملة بالكلية ، ولهذا قال السلف كفر دون كفر وشرك دون شرك .

وقد ورد اطلاق الاله على الهوى المتبع قال تعالى ﴿ أفرأيت من اتخذ الهه هواه ﴾ قال الحسن رحمه الله تعالى هو الذى لا يهوى شيئاً الا ركبه ، وتعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم الخ ، فدل هذا على ان كل من أحب شيئاً وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله وعادى لاجله

فهو عبده وذلك الشيء معبوده والهه ، ويدل عليه أيضاً ان الله تعالى سمى طاعة الشيطان فى معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى ﴿ الم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان ﴾ وقال ابراهيم عليه السلام ﴿ يا أبت لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا ﴾ فمن لم يحقق عبودية الرحمن وطاعته فانه يعبد الشيطان بطاعته له ، ولم يخلص من عبادة الشيطان ، الا من أخلص عبودية الرحمن ؛ وهم الذين قال فيهم ﴿ ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ﴾ فهم الذين حققوا قول لا اله الا الله وأخلصوا فى قولها وصدقوا قولهم بفعلهم ، فلم يلتفتوا الى غير الله محبة واجلالا ورجاء وخشية وطاعة وتوكلا ، وهم الذين صدقوا فى قول لا اله الا الله وهم عباد الله حقا ، فان من قال لا اله الا الله بلسانه ، ثم أطاع الشيطان وهواه فى معصية الله ومخالفته فقد كذب فعله قوله ، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله فى طاعة الشيطان والهوى ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ﴾ فيا هذا كن عبداً لله لا عبداً للهوى ، فان الهوى يهوى بصاحبه الى النار ﴿ أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ وتعس عبد الدرهم وعبد الدينار ، والله ما ينجوا غداً من عذاب الله الا من حقق عبودية الله وحده ولم يلتفت معه الى شيء من الاغيار ، ان قول لا اله الا الله يقتضى ن لا يحب سواه ، فان الاله هو الذى يطاع محبة وخوفا ورجاء ، ومن تمام محبته محبة ما يحبه ؛ وكراهة ما يكرهه ، فمن أحب شيئاً مما يكرهه الله أو كره شيئاً مما يحبه الله لم يكمل توحيده وصدقه

فى قول لا اله الا الله ، وكان فيه من الشرك الخفى بحسب ما كرهه مما يحبه الله وما أحبه مما يكرهه الله ، قال الله تعالى ﴿ ذلك بانهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم ﴾ قال الليث بن سعد عن مجاهد رحمهما الله تعالى قوله تعالى ﴿ لا يشركون بى شيئا ﴾ قال لا يحبون غيرى ، وفى صحيح الحاكم عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى ﷺ قال الشرك فى هذه الامة أخفى من دبيب الذرة على الصفاة السوداء فى الليلة الظلماء ، وأدناه ان يحب على شيء من الجور أو يبغض على شيء من العدل ، وهل الدين الا الحب والبغض قال الله تعالى ﴿ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ﴾ فلايتم محبة الله الا بمحبة مايحبه وكراهة مايبغضه ويكرهه ولا طريق الى معرفة مايحبه وما يكرهه الا من طريق الرسول ﷺ فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة الرسول وتصديقه ومتابعته ، فهذا معنى لا اله الا الله محمد رسول الله ، فمن قالها صادقا من قلبه حرمه الله على النار وأدخله الجنة وأما من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقلة صدقه فى قولها ، فان هذه الكلمة اذا صدقت طهرت القلوب من كل ماسوى الله . ومتي بقى في القلب اثر سوى الله فمن قلة الصدق فى قولها ، ولا اله إلا الله هى كلمة التقوى ، وهي كلمة الاخلاص وشهادة الحق ودعوة الحق وبراءة من الشرك ، ونجاة العبد ورأس هذا الامر ، ولاجلها خلق الخلق ، ولاجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، وهى مفتاح دعوة الرسل ، وهى مفتاح الجنة ، وهى ثمن الجنة .

وفى رسالة العبادات الشرعية للعلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى ،

العبادات الشرعية هى السبيل الذى يقرب به الى الله تعالى وهو سبيل الله ، والصراط المستقيم ، وهو البر والطاعة والحسنات ، وهو طريق السالكين ومنهاج القاصدين والعابدين ، وهو طريق الزهد والعبادة ، ويسمى الفقر والتصوف ونحو ذلك وتلك العبادة تؤدى كما وردت عن النبي ﷺ بلا زيادة ولا نقصان ، وأما العبادات البدعية فهى دين أهل الضلالة كما فى الصحيحين فى حديث الخوارج (يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) فاهل البدعة ابتدعوا عبادات من هواء انفسهم كالخلوات والاربعينيات اما تمسكا بما قبل النبوة أو بواقعة موسى عليه السلام ، وهى شريعة منسوخة وقد جرب ان من سلك هذه العبادات البدعية اتته الشياطين ، وحصل له تنزل شيطانى وخطاب شيطانى وبعضهم يطير به شيطانه لانهم خرجوا عن شريعة النبي ﷺ التى أمروا بها ، ثم من هؤلاء من قد يامر فى الخلوة بالذكر فيقولون ذكر العامة لا اله الا الله وذكر الخاصة الله الله وذكر الخاصة الخاصة هو هو .

والذكر بالاسم المضمر مفرد ومظهراً ومضمرا بدعة في الشرع وخطأ فى القول واللغة ، فان الاسم المجرد ليس هو كلاما لا ايمانا ولا كفراً ، وقد ثبت فى الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن . سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وأفضل الذكر لا اله الا الله ، وأفضل ماقلت انا والنبيون من قبلى لا اله

الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . واما ذكر الاسم المفرد فبدعة لم يشرع وليس هو بكلام يعقل ولا فيه ايمان وينبغي أن يعرف ان البدعة بريد الكفر ، وهذا باب دخل فيه أمر عظيم على كثير من السالكين ، واشتبهت عليهم الاحوال الرحمانية بالاحوال الشيطانية ، وحصل لهم من جنس ما يحصل للكهان والسحرة وظنوا ان ذلك من الكرامات ، والنجاة في اتباع طريق الرسول ﷺ فمن خالفه ضل ، وخاتم الرسل محمد ﷺ قد أمر أمته بعبادات شرعية من صلاة و ذكر ودعاء وقراءة ، ولم يامرهم قط بتفريغ القلب من كل خاطر وانتظار ماينزل ، وانما هي طريقة جاهلية ، ولكن التفريع والتخلية التي جاء بها الرسول ﷺ أن يفرغ قلبه مما لا يحبه الله ، و يملؤه بما يحبه الله ، فيفرغه من عبادة غير الله ويملؤه بعبادة الله ، وكذلك يفرغه من محبة غير الله ويملؤه بمحبة الله ، وكذلك يخرج منه خوف غير الله تعالى ، وينفي عنه التوكل على غير الله و يثبت فيه التوكل على الله ، وهذا هو الاسلام الذي جاء به محمد ﷺ و يمده القرآن و يقويه .

واعلم انه لايجوز أن يقال أن هذا مستحب أومشروع إلا بدليل شرعي ، ولا يجوز أن يثبت شريعة بحديث ضعيف كمقادير الثواب ، ولكن أهل العبادات البدعية يزين لهم الشيطان تلك العبادات و يبغض اليهم السبل الشرعية ، حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث ، ولهذا قال سهل بن عبدالله التستري رحمه الله تعالى وهو من كبار الصوفية ، يامعشر الصوفية لاتفارقون السواد على البياض ، فما فارق أحد السواد على البياض

إلا تزندق ؛ وقال الجنيد رحمه الله تعالى ، وهو سيد الطائفة ، علمنا هذا مبنى على الكتاب والسنه ؛ فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الشأن ، وكثير من هؤلاء ينفر ممن يذكر الشرع ، وذلك أنهم استشعروا أن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم فصارت شياطينهم تهربهم من هذا ؛ كما يهرب اليهودى والنصرانى ابنه أن يسمع كلام المسلمين حتى لا يتغير اعتقاده فى دينه ؛ وكما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم فى آذانهم و يستغشون ثيابهم لئلا يسمعوا كلامه ولا يروه .

قال الله تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ قال عكرمة رحمه الله تعالى تسألهم من خلق السماوات والارض فيقولون الله ، وهم يعبدون غيره ؛ وهؤلاء يدعون التوحيد والفناء فى التوحيد ، و يقولون ان هذا نهاية التوحيد ، وأن العارف إذا صار فى هذا المقام لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة لشهوده الربوبية العامة والقيومية الشاملة ؛ وهذا الموضع وقع فيه من الشيوخ الكبار من شاء الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله ؛ وهؤلاء غاية توحيدهم هو توحيد المشركين الذين كانوا يعبدون الاصنام .

وقد ذكر العلامة ابن القيم فى الجواب الكافى لمن سأل عن الدواء الشافى ، وكشف الغطاء ان الله عز وجل أرسل رسله وأنزل كتبه وخلق السماوات والارض ليعرف و يعبد و يوحد و يكون الدين كله له ، والطاعة كلها له والدعوة له ، كما قال تعالى ﴿ وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ﴾ فاصل الاصول التوحيد ، وهو العدل ، وأظلم الظلم الشرك

﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾ فتأمل هذا الاصل حق التأمل واعتبر به تفاصيله ، فالشرك أكبر الكبائر على الاطلاق ، وحرم الله الجنة على كل مشرك ؛ وأباح دمه وماله وأهله لاهل التوحيد ؛ وأن يتخذوهم عبيداً لهم لما تركوا القيام بعبودية الله تعالى ؛ فالمشرك أجهل الجاهلين حيث جعل له من خلقه نداً ، وذلك غاية الجهل به ؛ كما أنه غاية الظلم منه ، وان كان المشرك لم يظلم ربه وانما ظلم نفسه .

تنبيه : إن المشركين انما قصدهم تعظيم جناب الرب تبارك وتعالى ، وانه لعظمته لاينبغي الدخول عليه الا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك ؛ فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية ، وانما قصد تعظيمه (بحسب زعمه) وقال انما أعبد هذه الوسائط لتقربني اليه وتدخلني عليه فهو المقصود ، وهذه وسائل وشفعاء .

واعلم ان الله تعالى لم يشرع لعباده التقرب اليه بالشفعاء والوسائط وان الشرك لايغفر من دون سائر الذنوب ، وتفكر فيه فان الفرق بين المشركين والموحدين ، والعالمين بالله والجاهلين ، وأهل الجنة وأهل النار ، انما يحصل به ؛ فاعلم ان الشرك شركان ؛ شرك يتعلق بذات المعبود واسمائه وصفاته وأفعاله ، وشرك فى عبادته ومعاملته وان كان صاحبه يعتقد انه سبحانه لاشريك له فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله والشرك الاول نوعان ، أحدهما شرك التعطيل ، وهو أقبح أنواع الشرك كشرك فرعون إذ قال ﴿ وما رب العالمين ﴾ فالشرك والتعطيل متلازمان ، فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك ، لكن لايستلزم

أصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقراً بالخالق سبحانه وصفاته ، ولكن عطل حق التوحيد ، والتعطيل ثلاثة أقسام ، تعطيل المصنوع عن صانعه وخالقه ، وتعطيل الصانع سبحانه عن كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته وأفعاله ، وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد ، ومن هذا شرك طائفة أهل وحدة الوجود ، ومنه شرك ملاحدة القائلين بقدم العالم وابديته والحوادث باسرها مستندة عندهم الى أسباب ووسائط اقتضت ايجادها يسمونها بالعقول والنفوس ومن هذا شرك من عطل اسماء الرب تعالى واوصافه وافعاله من غلاة الجهمية والقرامطة

النوع الثانى شرك من جعل معه إلهاً آخر ولم يعطل اسمائه وربوبيته وصفاته كشرك النصارى الذين جعلوه ثالث ثلاثة ، ومن هذا شرك المجوس القائلين باسناد حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة ، ومن هذا شرك القدرية القائلين بان الحيوان هو الذى يخلق أفعال نفسه ، وانها تحدث بدون مشيئة الله وقدرته وإرادته ، ولهذا كانوا من اشباه المجوس ، ومن هذا شرك كثير ممن يشرك بالكواكب العلويات ويجعلها اربابا مدبرة لامر هذا العالم ، كما هو مذهب مشركى الصابئية وغيرهم ، ومنهم من يزعم الاآله الاصغر والاآله الاكبر ؛ وان الاصغر يوصل الى الاكبر .

واما الشرك فى العبادة فهو اسهل من هذا الشرك واخف شراً ، فانه يصدر ممن يعتقد انه لا آله الا الله ؛ وانه لا يضر ولا ينفع ولا

يعطى ولا يمنع الا الله ، وانه لا اله غيره ولا رب سواه ، لكن لا يخلص لله فى معاملته وعبوديته بل يعمل لحفظ نفسه تارة ، وطلب الدنيا تارة ، ولطلب الرفعة والمنزلة والجاه عند الخلق تارة ؛ فلله من عمله وسعيه نصيب ولنفسه وهواه نصيب ، وللشيطان نصيب ، وللخلق نصيب ، وهذا حال أكثر الناس ، وهو الشرك الذى قال فيه النبى ﷺ فيما رواه ابن حبان فى صحيحه « الشرك فى هذه الامة اخفى من دبيب النمل » قيل وكيف ننجو منه يا رسول الله ، قال قل « اللهم انى أعوذ بك ان أشرك بك شيئاً وانا أعلم واستغفرك لما لا اعلم » فالرياء كله شرك ﴿ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى إلى انما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ أى كما انه إله واحد لا إله سواه فكذلك ان تكون العبادة له وحده . فكما تفرد بالالهية يجب أن يفرد بالعبودية ، والشرك ينقسم الى كبير وأكبر ومغفور وغير مغفور فمن الغير المغفور الشرك بالله فى المحبة والتعظيم بان يحب مخلوقا كما يحب الله . كما قال تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله ﴾ الآية . وقال أصحاب هذا الشرك لآلهتهم وقد جمعتهم الجحيم ﴿ تالله ان كنا لفى ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ﴾ ومعلوم انهم ما سووهم به سبحانه فى الخلق والرزق والامانة والاحياء والملك والقدرة وانما سووهم به فى الحب والتأله والخضوع لهم والتذلل ، وهذا غاية الجهل والظلم . فكيف يسوى من خلق من التراب برب الارباب ، والعبيد بمالك الرقاب فاى ظلم اقبح من هذا .

ويتبع هذا الشرك الشرك به سبحانه فى الاقوال والافعال والارادات .

والنيات ، فالشرك فى الافعال كالسجود لغير الله والطواف لغير بيته ؛ وتقبيل الاحجار غير الحجر الاسود ، أو تقبيل القبور واستلامها والسجود لها ، وقد لعن النبي ﷺ من اتخذ قبور الانبياء والصالحين مساجد يصلى لله فيها ؛ فكيف بمن اتخذ القبور أوثاناً يعبدها من دون الله ، أو سجد للقبر ؛ ومن الشرك بالله الشرك به فى اللفظ كالحلف بغيره ؛ ومن ذلك قول القائل للمخلوق ماشاء الله وشئت ، فكيف من يقول أنا متوكل على الله وعليك وأنا فى حسب الله وحسبك ، وما لى إلا الله وأنت ، وهذا من الله ومنك ،وهذا من بركات الله وبركاتك والله لى فى السماء وأنت لى فى الارض ؛ويقول والله وحياة فلان ، أو يقول نذراً لله ولفلان ، وأنا تائب لله ولفلان ،أو أرجو الله وفلاناً ؛ ونحو ذلك .

واعلم ان من خصائص الالهية التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع ، وذلك يوجب تعليق الدعاء والخوف والرجاء والتوكل به وحده ، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق ، وجعل من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً أفضل من غيره تشبيها بمن له الامر كله ، فازمة الامر كلها بيديه ومرجعها اليه ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ؛ لامانع لما أعطى ولامعطى لما منع . ومن خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع الوجوه ، وذلك يوجب ان تكون العبادة كلها له وحده . والتعظيم والاجلال والخشية والدعاء والرجاء والانابة والتوكل والاستعانة وغاية الذل مع غاية الحب كل ذلك يجب عقلا وشرعا وفطرة أن يكون لله وحده . ويمنع عقلا وشرعا وفطرة أن يكون لغيره . فمن

جعل شيئاً من ذلك لغيره فقد شبه ذلك الغير بمن لا شبيه له ولا ند له ، وذلك أقبح التشبيه وابطله . فلهذا لا يغفره سبحانه مع أنه كتب على نفسه الرحمة . ومن خصائص الالٰهية العبودية التى قامت على ساقين لاقوام لها بدونهما غاية الحب مع غاية الذل . هذا تمام العبودية، وتفاوت منازل الخلق فيها بحسب تفاوتهم فى هذين الاصلين فمن أعطى حبه وذله وخضوعه لغير الله فقد شبهه به فى خالص حقه ، وهذا من المحال أن تأتى به شريعة من الشرائع ، وقبحه مستقر فى كل فطرة وعقل . ولكن غيرت الشياطين فطر أكثر الخلق وعقولهم وافسدتها عليهم واجتالهم عنها وجالوا معها فى الضلال . اذا عرف هذا فمن خصائص الالٰهية السجود فمن سجد لغيره فقد شبه المخلوق به . ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به . ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به . ومنها الحلف باسمه تعظيما واجلالا فمن حلف بغيره فقد شبهه به . هذا فى جانب التشبيه . وأما فى جانب التشبه به فمن تعاظم وتكبر ودعا الناس إلى اطرائه فى المدح والذم والخضوع والرجاء وتعليق القلب به خوفا ورجاء والتجاء واستعانة فقد تشبه بالله ونازعه فى ربوبية وآلهيته . وهو حقيق بان يهينه غاية الهوان . انتهى ما ذكره ابن القيم ملخصاً .

وقد قال العارف العلامة الشيخ احمد السرهندى فى المكتوب الثالث من المجلد الثالث من مكتوباته لا إله إلا الله . لا أحد يستحق الالوهية والمعبودية إلا الله الذى لا نظير له ، الواجب الوجود المنزه عن سمات النقص والمبرأ عن صفات الحدوث . فان المستحق للعبادة التى هى عبارة

عن كمال التذلل والخضوع والانكسار انما ثبت لمن له جميع الكمالات وسلب عنه جميع النقائص. واحتاج اليه جميع العالم والاشياء فى الوجود وتوابع الوجود. وهو ليس بمحتاج فى أمر إلى شئ. وهو الضار النافع. لا شئ يقدر ايصال ضرر أو نفع إلى أحد إلا باذنه. والمتصف بهذه الصفة ليس إلا الله تعالى وحده. ولو فرض ان أحداً قدر على ايصال ضرر أو نفع إلى الاشياء بلا اذنه يكون معطلا. والحاصل أنه لا يكون الجامع لهذه الصفات الكاملة الا واحداً لا شريك له، ولا يستحق للعبادة إلا هو الله الواحد القهار. والكفار الاشرار يعبدون غير الحق جل وعلا، ويجعلون الاصنام المنحوتة معبودهم بزعم انها تكون شفعاءهم عند الله، ويتقربون إلى الله بتوسلها ما أعظم حماقتهم. واشراك أحد فى عبادته جل وعلا بمجرد التوهم نهاية الخذلان والخسارة. فينبغى أن ينفى بتكرار لا إله إلا الله شريك وجوب الوجود وشريك استحقاق العبادة. بل الاهم والاحوج اليه والانفع فى هذه الطريق نفى شريك استحقاق العبادة المخصوص بدعوة الانبياء عليهم الصلاة والسلام. فان المخالفين الذين ليسوا بملتزمين ملة نبى من الانبياء عليهم السلام أيضاً ينفون شريك وجوب الوجود بدلائل عقلية. ولا يثبتوا غير واحد من واجب الوجود. ولكنهم غافلون عن معاملة استحقاق العبادة. وفارغون عن نفى شريك استحقاق العبادة. لا يتحاشون من عبادة الغير. ولا يتكاسلون من عمارة الدير، والانبياء عليهم السلام هم الذين يهدمون الدير وينهون عن عبادة الغير والمشركون فى لسان هؤلاء الاكابر من يكون اسيرا لعبادة غير الحق سبحانه، وان

كان قائلا بنفى شريك وجوب الوجود فان اهتمامهم فى نفى عبادة ماسوى الحق سبحانه المتعلقة بالعمل ، فمن لم يتحقق بشرائع هؤلاء الا كابر عليهم الصلاه والسلام المنبئة عن نفى استحاق ماسوى الله تعالى العبادة لا يتخلص عن الشرك ، ولا ينجوا من شعب شرك عبادة الآلهة الاقافية والانفسية ، وهو المقصود من بعثة هؤلاء الا كابر عليهم الصلاة والسلام وحصول هذه الدولة والنجاة من الشرك غير متيسرة فى غير شرائع الانبياء عليهم السلام والتوحيد غير ممكن بدون التزام ملتهم ، وقد قال بعض الاكابر من أهل الطريقة ، ان كلما هو مقصودك فهو معبودك ، ومعنى العبادة هو الذل والانكسار ، فنفى معبودية الغير انما يتحقق اذا لم يبق مقصود غير الحق عز وجل ، فعلى هذا معنى لا إله الا الله ، لا مقصود الا الله.

وقال فى المكتوب الثانى عشر من المجلد الثالث أيضاً ، ان ذكر النفى والاثبات كالوضوء الذى هو شرط الصلاة ، ومالم يوجد الوضوء لا يصح الشروع فى الصلاة ، كذلك مالم تتم معاملة النفى والاثبات فكل عمل يعمل داخل فيما لا يعني ، ينبغى أولا ازالة المرض ، وهى مربوط بالنفى والاثبات ، ثم الاشتغال بعد ذلك بعبادات وحسنات أخر مماهو كالغذاء الصالح للبدن وكل غذاء يتناول قبل زوال المرض فهو فاسد ومفسد

وقال فى المكتوب السابع عشر من المجلد الثالث أيضا ، ان الله هو الخالق الرب المنعم فيجب على العبد الشكر ، ولكن يجب كون الشكر منحصرا فى اتيان احكام الشريعة قلبا وقالبا واعتقاداً وعملا ، وكل

تعظيم وعبادة له تعالى يؤدى بما وراء الشريعة لا يكون قابلا للاعتماد ؛ بل كثيراً مايكون محصلا للاضداد ، والحسنة المتوهمة تكون سيئة فى الحقيقة ، فاداء شكره تعالى متعذر بدون الاتيان بها والشريعة لهاجزآن اعتقادى وعملى ، فالاعتقادى من اصول الدين والعملى من فروعه ، وفاقد الاعتقاد ليس من أهل النجاة ؛ وفاقد العمل أمره مفوض الى مشيئته سبحانه

وقال فى المكتوب (٤١) من المجلد الثالث أيضاً ، ولما جاءت النساء عند النبى ﷺ للبيعة شرط عليهن شروطا فالشرط الاول عدم اشراك شىء بالله تعالى لافى وجوب الوجود ولافى استحقاق العبادة ، ومن لم يكن عمله مبرأ عن شائبة الرياء والسمعة ومظنته طلب الاجر من غير الله تعالى ولو بالقول والذكر الجميل فليس هو بخارج عن دائرة الشرك ولاهو موحد مخلص ؛ والتعظيم مراسم الشرك ومواسم الكفر كلها قدم راسخ فى الشرك ، والمصدق للدينين من أهل الشرك ، والمتشبث بمجموع احكام الاسلام والكفر مشرك ، والتبرىء من الكفر شرط الاسلام . والاجتناب عن شائبة الشرك توحيد . والاستمداد من الاصنام والطاغيت فى رفع الامراض والاسقام كما هوشائع فيما بين جهلة اهل الاسلام عين الشرك والضلالة ، وطلب الحوائج من الاحجار المنحوتة نفس الكفر وانكار على واجب الوجود تعالى وتقدس وقد قال تعالى شكاية عن حال بعض أهل الضلال « يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً » وا كثر النساء مبتليات بهذا الاستمداد الممنوع عنه بواسطة كمال الجهل.

فيهن يطلبن دفع البلية من هذه الاسماء الخالية عن المسميات ، ومفتونات باداء مراسم الشرك وأهل الشرك ، وتعظيم الايام المعظمة عند الهنود ، واداء رسوم الايام المتعارفة عند اليهود والنصارى مستلزم للشرك ومستوجب للكفر كما ان كثيراً من جهلة أهل الاسلام يفعلونه فيكفرون من حيث لايشعرون ، وما يفعلونه من ذبح الحيوانات المنذورة للمشائخ عند قبورهم جعله الفقهاء داخلا فى الشرك ، وبالغوا فى هذا الباب والحقوه بجنس ذبائح الجن الممنوع عنها شرعا ، فينبغى الاجتناب عن هذا العمل ، ومثل ذلك صيام النساء بنية المشائخ ، وينحتن اكثر اساميهم من عند انفسهن ويصمن بنيتهم (قات مثل بى بى سه شنبه ، ومشكل كشا) ويطلبن قضاء حوائجهن منهم بواسطة تلك الصيام ويزعمن قضاء حوائجهن منهم وذلك الفعل اشراك للغير فى عبادة الله تعالى وطلب لقضاء الحوائج عن الغير بواسطة العبادة اليه ، فينبغى أن يُعلم شناعة هذا الفعل ، ولا يجوز اشراك احد به تعالى فى عبادة من العبادات ، وطلب الحاجة عن غير الله عين الضلالة ، وتسويل الشيطان الرجيم الخ

قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومى الخجندى المكى نعم ما قاله وحبذا ما افاده هذا هو الحق ، ولكنه سامحه الله ابتلى بما زجر عنه ووقع فيما نهى عنه ، وهو لا يشعر لغلبة التقليد عليه ، فمن ذلك استحسانه الذكر باللفظ المفرد كالله الله او هو هو وأمره به ، فانه ليس بذكر شرعى نافع مفيد ، بل يشترك فيه المسلم والمشرك والملحد كما

اسلفت بيانه ، ومنه أمره المريد بالمراقبة ومرابطة صورة الشيخ واحضارها عند الذكر ، ولا شك ان هذا عين الوثنية والشرك ومنه استحسانهم وتجويزهم الاستمداد من أرواح المشائخ كما هو صرح به في كثير من مكاتبه ، ويسمونه تربية روحانية ولا ريب ان هذا عين الشرك الذي حذر عنه ، ومنه ترتيبهم الاوراد وتعيينهم الاوقات لها كختم خواجه ونحوه ، ولا يخفاك ان هذا الترتيب من البدع التي اخترعوها وكذا طريقتهم واختراعهم اللطائف من السر والخفي والاخفى والقلب والروح وغيرها ، وأمثالها من البدع التي ما انزل الله بها من سلطان ، بل انها استحسان وتشريع من عند أنفسهم ، ولا يخفاك حكم من يخترع في الدين شيئاً ، وهذا المؤلف يحذر عن ارتكاب البدعة وينفر عنها ولكنه وقع فيما حذر عنه ، فلهذا أمرنا ان نطلب من الله تعالى الهداية الى الصراط المستقيم ، ونقول لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وقد ذكر العلامة محمد عبده ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار في قوله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله انداداً يحبونهم كحب الله ، والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ وهذه الآية مبينة لحال الذين لا يعقلون تلك الآيات التي اقامتها الآية السابقة على توحيد الله تعالى ورحمته . ولذلك جعلوا له أنداداً يلتمسون منه الخير والرحمة . ويدفعون ببركتهم البلاء والنقمة . ويأخذون عنهم الدين والشرعة . وقال بعض المفسرين ان الند المماثل المعارض المقاوم وهذا غير صحيح لان القرآن قص لنا خبر متخذى الانداد في آيات كثيرة صريحة في انهم لا يعتقدون شيئاً من هذا الذي قاله

المفسرون بل يعتقدون غالباً ان الله تعالى هو المنفرد بالخلق والتدبير . وان الانداد وسطاء بينه وبين عباده يقربونهم اليه ويشفعون لهم عنده . لان المذنبين المقصرين لا يستطيعون الوصول الى الله تعالى بانفسهم فلا بد لهم واسطة . كما هو المعهود من الرعايا الضعفاء مع الملوك والامراء . والوثنيون يقيسون الله تعالى على من يعظمونه من الرؤساء وعظماء الخلق لا سيما المستبدين منهم الذين استعبدوا الناس استعباداً فالآيات الناطقة بانهم اذا سئلوا من خلق كذا وكذا يقولون الله . وقال فيهم مع ذلك . ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم . ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأيضاً : والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى.

والانداد عند جمهور المفسرين أعم من الأصنام والأوثان فيشمل الرؤساء الذين خضع لهم بعض الناس خضوعا دينياً . ويدل عليه الآيات الآتية ﴿ اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ﴾ الآية فالمراد إذن من الند من يطلب منه مالا يطلب الا من الله تعالى . او يؤخذ عنه مالا يؤخذ الا عن الله تعالى . وبيانه ان الأسباب مسببات لا تعدوها بحكمة الله تعالى في نظام الخلق وان لله تعالى أفعالا خاصة به فطلب المسببات من أسبابها ليس من اتخاذ الانداد فى شيء . وان هناك أموراً تخفى عنا أسبابهـا . ويعمى علينا طريق طلابها . فيجب علينا بارشاد الدين والفطرة أن نلجأ فيها الى القوة الغيبية . ونطلبها من مسبب الاسباب لعله بعنايته ورحمته يهدينا الى طريقها أو يبدلنا خيراً منها : وانما يجب هذا بعد بذل الجهد والطاقة فى العمل بما نستطيع من الاسباب حتى لا يبقى فى الامكان شيء

مع اعتقادنا بان الاسباب كلها من فضل الله تعالى ورحمته علينا اذ هو الذى جعلها طرقا للمقاصد . وهدانا اليها بما وهبنا من العقل والمشاعر . لا يسمح الدين للناس بان يتركوا الحرث والزرع ويدعوا الله تعالى أن يخرج لهم الحب من الارض بغير عمل منهم وانما يهديهم الى القيام بجميع الاعمال الممكنة لانجاح الزراعة من الحرث والتسميد والبذر والسقى وغير ذلك . وأن يتكلوا على الله تعالى بعد ذلك فيما بايديهم ولم يهدهم لسببه بكسبهم كانزال الامطار وإفاضة الانهار ودفع الجوائح . فان استطاعوا شيئاً من ذلك فعليهم أن يطلبوه بعملهم لا بالسنتهم وقلوبهم مع شكر الله تعالى على هدايتهم اليه وأقدارهم عليه .

فكذلك يحظر الدين عليهم أن ينفروا الى الحرب والمدافعة عن الملة والبلاد عزلا او حاملى سلاح دون سلاح العدو المعتدى عليهم إتكالا على الله تعالى . واعتماداً على ان النصر بيده (قات كجهلة أهل بخارى والفرغانة وخوارزم والجزائر والغرب) بل يأمرهم بان يعدوا للاعداء ما استطاعوا من قوة . ويتكلوا بعد ذلك على عناية الله تعالى بتثبيت القلوب والاقدام . وغير ذلك من ضروب التوفيق والالهام . فمن قصر فى اتخاذ الاسباب إعتماداً على الله فهو جاهل بالله . ومن التجأ الى ماليس بسبب من دون الله فهو مشرك بالله . وهذا الذى يلجأ اليه من انسان مكرم كالانبياء والصالحين أو ملك مقرب أو مظهر غريب من مظاهر الخليقة . أو صنم أو تمثال جعل تذكاراً لشىء يسمى نداً لله وشريكاله ووليا من دونه (قلت كجهلة أهل بخارى فانهم اتكلوا على بهاء الدين النقشبند رحمه الله الذى توفى

قبل ما أتت من الاعوام · وقالوا انه يدفع البلاء . ومادام قبر بهاء الدين موجود فى بخارى لا يقدر الكفار على الاستيلاء عليها) والله ان بهاء الدين برىء من أقوالهم هذه لانا نعتقده من الرجال الصالحين العارفين رحمة الله عليه . فالمشرك مشرك وان صلى وصام او كان على رأسه عمامة كالقبة أو جاس فى مسند المشيخة وفى يديه السبحة الكبيرة الطويلة كبوذى الهنود والسيكهة والخالصة ولاما المجوس) وعلق السبحة فى عنقه ولو سبحة ابو الف .

ولاشك ان من جملة الانداد من يتبع فى الدين من غير ان يكون مبينا للناس ما جاء عن الله ورسوله فيعمل بقوله وان لم يعرف دليله ويتخذ رأيه دينا وجب الاتباع وان ظهر أنه مخالف لما جاء عن الله ورسوله اعتمادا على انه أعلم بالوحى ممن قلدوهم دينهم وأوسع منهم فهما فيما أنزل الله (كغالب البخاريين والافغانيين والهنديين والصينيين فى إعتقادهم حرمة الاشارة بالمسبحة فى تشهد الصلاة وتركهم العمل بها وزجرهم الآتى بها متمسكا بما فى كتاب خلاصة الكيدانى أو صلاة المسعودى او جامع الرموز وأمثالها) وفى أمثال هؤلاء نزل قوله تعالى ﴿إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ وقد عظمت الفتنة من متخذى الانداد . ورجوعهم عند الحاجة الى قبورهم وطلب النجاة منهم واذا ذكر لهم الكتاب والسنة اذا فريق منهم معرضون وهم لا يقبلون حكم الله فى كتابه . ولكن اذا دعوا ليحكم بينهم باراء رؤسائهم اقبلوا مذعنين . ويأخذون بالشرك الصريح عملا بأقوال الناس من الميتين منهم

من لا يعرف مطلقا، وانما سمى وليا عملا ببعض الرؤيا والاحلام ، او الاختراع بعض الطغام ومنهم من يعرف فى الجملة ولكن لا يعرف له تاريخ يوثق به ولا رواية يصح الاعتماد عليها : وانما قدم الخلف الصالح كلام هؤلاء على كلام الله و رسوله و كلام أئمة السلف . لان العامة اعتقدت صلاحهم وولايتهم ، والعامة قوة تخضع لها الخاصة فى أكثر الازمان

وفيه أيضا ، و يجب علينا ان ننظر فى الحسن الذي يمدحه الله تعالى ويأمر به ونرجع الى أنفسنا لنرى هل نحن متصفون به و ننظر فى القبيح الذى يذمه و ينهى عنه كذلك ، ثم نجتهد فى تزكية أنفسنا من القبيح وتحليتها بالحسن ، فههنا يجب علينا أن نبحث و ننظر هل اتخذ المسلمون الآن أندادا كما اتخذ الذين من قبلهم أندادا ام لا ، فان هذا أهم ما يبحث فيه قارىء القرآن . و قد اشتبه على بعض الباحثين السبب في سقوط المسلمين فى الجهل العميم ، الا إفرادا فى بعض شعوبهم

لا يكاد يظهر لهم أثر . وظن بعضهم ان التصوف من اعظم الاسباب لسقوط المسلمين فى الجهل بدينهم وبعدهم عن التوحيد الذى هو أساس عقائدهم . وليس الامر عندنا كما ظنوا . لان التصوف كان ظهر فى القرون الاولى للاسلام فكان له شأن كبير ، وكان الغرض منه تهذيب الاخلاق وترويض النفس باعمال الدين وتعريفها باسراره وحكمه بالتدريج ثم تغير حال الآخرين فاحدثوا للشيخ سلطة خاصة على مريديه حتى قالوا يجب أن يكون المريد مع الشيخ كالميت بين يدى الغسال لان الشيخ يعرف أمراضه اوحية وعلاجها ، حتى ولو أمر بمعصية لكان عليه ان يعتقد

أنها نافعة له ومتمين عليه ، فصار من قواعدهم التسليم المحض والطاعة العمياء ، وقالوا ان الوصول الى العرفان المطلق لا يكون الا بهذا ، ثم أحدثوا اظهار قبورهم ممن يموت من شيوخهم والعناية بزيارتها لاجل تذكر سلوكهم ومجاهدتهم وهم كانوا يريدون بذلك الخير ، ولكن ما ذا كان اثر ذلك فى المسلمين كان منه ما كان الى أن مقاصد الصوفية الحسنة قد انقلبت ولم يبق من رسومهم الظاهرة الا أصوات وحركات يسمونها ذكراً يتبرأ منها كل صوفى صادق ، والا تعظيم قبور مشائخهم تعظيما دينيا مع الاعتقاد بان لهم سلطة غيبية تعلو الاسباب التى ارتبطت بها المسببات بحكمة الله تعالى بها يدبرون الكون ويتصرفون فيه كما يشاءون وانهم قد تكفلوا بقضاء حوائج مريديهم والمستغيثين بهم اينما كانوا وهذا الاعتقاد هو عين اتخاذ الانداد وهو مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف من الصحابة وأئمة التابعين والمجتهدين رضى الله تعالى عنهم اجمعين ، وزادوا على هذا شيئا آخر هو اظهر منه قبحاً وهدما للدين وهو زعمهم ان الشريعة شيء والحقيقة شيء آخر ، فاذا اقترف أحدهم ذنبا فانكر عليه منكر قالوا فى المجرم انه من اهل الحقيقة فلا اعتراض عليه ، وفى المنكر أنه من أهل الشريعة فلا التفات اليه ، كأنهم يرون أن الله تعالى أنزل للناس دينين وانه يحاسبهم بوجهين ويعاملهم معاملتين ، حاشا الله نعم جاء فى كلام بعض الصوفية ذكر الحقيقة مع الشريعة ومرادهم به أن فى كلام الله ورسوله ما يعلو افهام العامة مما يشير اليه من دقائق الحكم والمعارف التى لا يعرفها الا الراسخون فى العلم فحسب العامة

من هذا الوقوف عند ظاهره ، ومن آتاه الله بسطة فى العلم ففهم منه شيئا أعلى مما تصل اليه افهام العامة فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ممن يجد ويجتهد للتزيد من العلم بالله وسننه فى خلقه. فهذا يسمونه علم الحقيقة لا سواه وليس فيه شيء يخالف الشريعة أو ينافيها ، ومن آتاه الله نصيبا من هذا العلم كان اتقى لله من سواه ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ ثم لما فسد التصوف واهله وانقلب الحال وضعف الفقه وظهر المتفقهة الجاهلون الجامدون والمتصوفة الجاهلون ، واذعن اولئك الى هؤلاء ، واعترفوا لهم بالسر والكرامة حتى صرت ترى العالم الذى قرأ الكتاب والسنة والفقه يأخذ العهد من رجل جاهل امى ويرى أنه يوصله الى الله تعالى فان كان كتاب الله وسنة رسوله وما فهم الأئمة واستنبط الفقهاء منهما كل ذلك لا يفيد معرفة الله تعالى المعبر عنها بالوصول اليه فلما ذا شرع الله تعالى هذا الدين ، والناس اغنياء عنه بامثال هؤلاء الاميين وأشباههم ، وهل المقصود اذا فيما نزل الله تعالى أم فى بيان الرسول وبيان الائمة لما جاء عن الله والرسول ، حاشا لله ولكتابه ولرسوله فلا طريق لمعرفته عز وجل والوصول الى رضوانه غير ما نزله من البينات والهدى وانما كان غرض الصوفية الصادقين فهم الكتاب والسنة مع التحقق بمعارفهما والتخلق والتأدب بآدابهما ، واخذ النفوس بالعمل بهما من غير تقليد لاهل الظاهر ، ولا جمود على الظواهر .

ولقد تشوهت سيرة مدعى التصوف فى هذا الزمان ، وصارت رسومهم اشبه بالمعاصى والاهواء ، واظهرها فى هذه البلاد الاحتفالات

التي يسمونها (الموالد) ومن العجيب ان تبع الفقهاء فى استحسانها الاغنياء ، فصاروا يبذلون فيها الاموال العظيمة زاعمين انهم يتقربون بها الى الله تعالى ، ولو طلب منهم بعض هذا المال لنشر علم وازالة منكر أو اعانة منكوب لضنوا به وبخلوا . فانظروا الى أين وصل المسلمون ببركة التصوف الحالى واعتقاد أهله بغير فهم ولا مراعاة شرع . اتخذوا الشيوخ أنداداً وصار يقصد بزيارة القبور والاضرحة قضاء الحوائج وشفاء المرضى وسعة الرزق بعد أن كانت للعبرة وتذكر القدوة ونتيجة ذلك كله أن المسلمين رغبوا عما شرع الله تعالى الى ما توهموا أنه يرضى غيره ممن اتخذوهم انداداً له وصاروا كالاباحيين فى الغالب ، فلا عجب اذن ان يحرموا ما وعد الله المؤمنين من النصر ، لانهم انسلخوا من مجموع ما وصف الله به المؤمنين ، ولم يكن فى القرن الاول شىء من هذه التقاليد والاعمال التى نحن عليها بل ولا فى الثانى . وانما سرت الينا بالتقليد والعدوى من الامم الاخرى .

وهنا نوع آخر هو ترك الاهتداء بالكتاب والسنة واستبدال أقوال الناس بهما ، فلو دخل فى الاسلام رجل عاقل أو شعب مرتقى لحار لا يدرى بم يأخذ ولا أى المذاهب والكتب فى الاصول والفروع يعتمد . ولصعب علينا اقناعه بان هذا هو الدين القيم دون سواه او بان هذه المذاهب كلها على اختلافها شىء واحد ، ولو وقفنا عند حدود القرآن وما يبينه من الهدى النبوى لسهل علينا أن نفهم ما هى الحنيفية السمحة التى لا حرج فيها ولا عسر وما هو الدين الخالص الذى لا اعوجاج فيه

ولا خلف . ولكننا اذا نظرنا فى أقوال الفقهاء وتشعبها وخلافاتهم وعللها فانا نحار فى ترجيح بعضها على بعض اذ نجد بعضها يحتج عليه بحديث صحيح وهو ظاهر الحكمة معقول المعنى ولكنه غير معتمد عندهم بل يقولون فيه المدرك القوى ولكنه لا يفتى به ولما ذا لان فلانا قال كذا. فقول رجل من رجال كثيرين جداً نجهل تاريخ اكثرهم يكفى لترك السنة الصحيحة . وان ظهر أن المصلحة فيما جاءت به السنة وبهذا قطعت الصلة بين ما نحن فيه وبين أصل الدين وينبوعه . والحال انه لا يجوز لاحد أن يرجع فى شىء من عقائده وعباداته الا الى الله تعالى والى رسوله الذى أنزله اليه كما يجب علينا أن نعتقد بان الحكم لله وحده لا يؤخذ عن غيره الدين ، وبهذا نكون موحدين مخلصين له الدين ، كما أمرنا فى كتابه المبين ؛ ومن خرج عن هذا كان من متخذى الانداد ، ومن يضلل الله فماله من هاد .

وفيه أيضا ، قال الله تعالى ﴿ إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتبعوا . ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا . كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ اعلم أن هذه الآية أشد زلزال على المقلدين والمقلدين لجمودهم على أقوال الناس وآرائهم فى الدين ؛ سواء كانوا من الاحياء أم من الميتين ، وسواء كان التقليد فى العقائد والعبادات ، أم فى أحكام الحلال والحرام ، إذ كل هذا إنما يؤخذ عن الله ورسوله . ليس لاحد فيه رأى ولا قول ، ويدخل فية الأئمة المضلون ، وإنما

الأئمة المهديون فمنع كلهم عن عبادة غير الله تعالى وعن الاعتماد على غير وحيه في الدين . ويزعم بعض المفسرين ان أمثال هذه الآيات خص في الكفار . نعم انه خاص بالكفار كما قالوا . ولكن من الخطأ أن يفهم من هذا الكلام ما يفصل بين المسلمين والقرآن اذ يصرفون كل وعيد فيه إلى المشركين واليهود والنصارى فينصرفون عن الاعتبار المقصود ، لهذا ترى المسلمين لا يتعظون بالقرآن . ويحسبون أن كلمة لا إله إلا الله يتحرك بها اللسان من غير قيام بحقوقها كافية للنجاة في الآخرة : على ان كثيراً من الكافرين يقولها ، ومنهم من يهز جسده عند ذكر الله كما يهزه جماهيرهم ، فهل هذا كل ما أراده الله من إنزال القرآن ، وبعثة محمد ﷺ . ليس هذا الذي يتوهم الجاهلون من مراد المفسرين فما بين الله تعالى ضروب الشرك وصفات الكافرين وأحوالهم الا عبرة لمن يؤمن بكتابه حتى لا يقع فيما وقعوا فيه فيكون من الهالكين . ولكن رؤساء التقليد حالوا بين المسلمين وبين كتاب ربهم بزعمهم أن المستعدين للاهتداء به قد انقرضوا ولا يمكن أن يوجد مثلهم لما يشترط فيهم من الصفات التي لا تتيسر لغيرهم كمعرفة كذا وكذا من الفنون ، مع أن السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وكذا الأئمة الاربعة رضي الله تعالى عنهم متفقون على انه لا يجوز لاحد أن يأخذ بقول أحد في الدين ما لم يعرف دليله ، ثم جاء العلماء المقلدون وجعلوا قول المفتي للعامي بمنزلة الدليل ، ثم خلف خلف أعرق في التقليد فمنعوا كل الناس أخذ أي حكم من الكتاب والسنة وعدوا من يحاول فهمهما والعمل بهما زائغاً ، وهذا

غاية الخذلان وعداوة الدين وقد تبعهم الناس في ذلك فكانوا لهم أنداداً من دون الله ، وسيتبرأ بعضهم من بعض كما أخبر الله تعالى .

وقد نقل عن الأئمة الاربعة رضى الله تعالى عنهم النهى عن الاخذ بقولهم من غير معرفة دليلهم، والامر بترك أقوالهم إذا ظهر مخالفته للكتاب او السنة ، قال الفقيه ابو الليث السمرقندى الحنفي بسنده عن ابى حنيفة رحمه الله تعالى انه قال لايحل لاحد أن يأخذ بقولنا مالم يعلم من اين قلنا ، وقال عصام بن يوسف رحمه الله تعالى اجتمع أربعة من اصحاب ابى حنيفة رحمه الله تعالى فى مجلس زفر بن الهذيل وابو يوسف وعافية بن زيد ومحمد بن الحسن رحمهم الله تعالى فكلهم أجمعوا على انه لايحل لاحد أن يأخذ بقولنا مالم يعلم من اين قلناه . وفى روضة العلماء قيل لابى حنيفة رحمه الله تعالى اذا قلت قولا وكتاب الله يخالفه قال اتركوا قولى لكتاب الله ، قيل فاذا كان قول رسول الله ﷺ يخالفه قال اتركوا قولى لقول رسول الله ﷺ ، قيل فاذا كان قول الصحابة رضى الله تعالى عنهم يخالفه ، قال اتركوا قولى لقول الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، و بعد هذا كله جاء الكرخى وقال ان الاصل قول اصحابهم فان وافقته نصوص الكتاب والسنة فذاك والا وجب تأويلها ، وجرى العمل على هذا ، فهل العامل بهذا مقلد لابى حنيفة رحمه الله أم للكرخى ، وهكذا بعينه ثبت عن الامام مالك والشافعى وأحمد رحمهم الله تعالى

وفيه ايضاً ، ومن جملة الشرك التولات والتناجيس ، جمع تولة . ماتحمله المرأة ليحبها زوجها ، والسحر والتناجيس مايحمل للعين من الخرز والعظام التى يعلقونها على الاطفال ، والتمائم والعزائم وختمات القرآن والعدد المعلوم من سورة يس ، او بعض الاذكار ، وقد بلغ من هزؤ هؤلاء بالدين ان كان بعض المشهورين منهم يبيع سورة (يس) لقضاء الحاجات او لرحمة الاموات يقرؤها مرات عديدة ، فذا جاء طالب ابتياع القراءة واخذ منه الثمن اعطاها بعد حل عقدها ، وقد كنا نسمع عن رؤساء بعض الملل نحو هذا فى بيع العبادة التى يسمونها القداديس ، فنسخر منهم ، حتى علمنا اننا قد اتبعنا سننهم شبراً بشبر حتى دخلنا حجر الضب الذى دخلوه ولا شك ان كل أجرة يؤخذ على عبادة فهو من أكل اموال الناس بالباطل ، وقد مضى الصدر الاول ولم يكن اخذ الاجر على عبادة ما معروفا . ولا يوجد فى كلام اهل القرن الاول والثانى كلمة تشعر بذلك ، ثم لا يعقل ان تتحقق العبادة وتحصل بالاجرة ، لان تحققها انما يكون بالنية وارادة وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته ، ومتى شاب هذه النية شائبة من حظ الدنيا خرج العمل عن كونه عبادة خالصة لله ، والله تعالى لايقبل الا من كان خالصا من الحظوظ والشوائب ، وقد ورد على لسان الشارع تسمية مثل هذا العمل شركا .

وفيه ايضا فى قوله تعالى ﴿ والهكم اله واحد لا اله إلا هو الرحمن الرحيم . ان فى خلق السماوات والارض ﴾ الآية ، اى فلا تشركوا به

شيئا ، والشرك به نوعان احدهما يتعلق بالالوهية ، وهو ان يعتقد ان في الخلق من يشاركه تعالى او يعينه في افعاله او يحمله عليها او يصده عنها لاجل قربه منه كما يكون من بطانة الملوك الظالمين وحواشيهم وحجابهم واعوانهم ، وثانيهما يتعلق بالربوبية ، وهو ان يؤخذ حكم الدين في عبادة الله تعالى ، والتحليل والتحريم عن غيره ، اى غير كتابه ووحيه الذى بلغه عنه رسله بحجة أن من يؤخذ عنهم الدين من غير بيان الوحي اعلم بمراد الله ، فيترك الأخذ من الكتاب لرأيهم وقولهم وهو المراد بقوله تعالى ﴿ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله ﴾ فظاهر أن الواجب على العلماء بالدين أن يبينوا ما أنزله الله للناس ولا يكتموه ، لا أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ؛ كما زاد أهل الكتاب أحكاما كثيرة . ثم هجروا الوحي اكتفاء بها . فهو الاله الواحد الحي القيوم القادر الذى بيده ملكوت كل شيء ، وكل ما تعتمدون عليه من دونه فليس محلا للاعتماد ، بل اعتمادكم عليه من قبيل الشرك ، فيجب أن تطرحوه جانبا وتعتقدوا أن الاله الذى بيده أزمة المنافع والقادر على دفع المضار وايقاعها هو واحد لاسلطان لاحد على ارادته ، ولا مبدل لكلمته ، ولا أوسع من رحمته ، وانما اكد أمر الوحدة هذا التأكيد تحذيرا من طرق الشرك الخفية ، على أنها أساس الدين وأصله .

وفيه أيضاً : واعلم أن مخالطة المشركين ومجالستهم محظور مرهوب الشر بما يخشى منه أن يسرى شيء من عقائد الشرك بضروب الشبه والتضليل التي جري عليها المشركون ، كقولهم فيمن يتخذونهم وسطاء

بينهم وبين الخالق ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ فهذه الشبهة هي التي فتن بها أكثر البشر ، ولم يسلم منها أهل شريعة سماوية خالطوا المشركين وعاشروهم فدخلوا في الشرك من حيث لا يشعرون . لانهم لم يتخذوا معبودات المشركين أنفسها شفعاء ووسطاء ، بل اتخذوا انبياءهم ورؤساءهم وظنوا أن هذا تعظيم لهم لا ينافي التوحيد الذي أمروا به ، وجعل أصل دينهم وأساس ارتقاء أرواحهم وعقولهم ، وقد أغتروا بظواهر الالفاظ ، وجعلوا تسمية الشيء بغير اسمه اخراجا له عن حقيقته ، فهم قد عبدوا غير الله ولكنهم لم يسموا عملهم عبادة بل اطلقوا عليه لفظاً آخر كالاستشفاع والتوسل ، واتخذوا غير الله الهاً وربا . ومنهم من لم يسميه بذلك بل سموه شفيعا ووسيلة ، وتوهموا أن اتخاذه الهاً أو رباً هو تسميته بذلك أو اعتقاد أنه هو الخالق والرازق والمحيي والمميت استقلالا . ولو رجعوا إلى عقائد الذين اتبعوا سننهم من المشركين لوجدوهم كما قال الله تعالى ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ، ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ .

وفيه أيضاً في قوله تعالى ﴿ وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ أن اعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال اقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فسكت عنه فانزل الله تعالى الآية . وهذا السؤال ليس ببعيد من العرب الذين اعتادوا أن يتخذوا وسائل بينهم وبين آلهتهم يقربونهم إلى الله

خالق السموات والأرض . وهؤلاء الوسائل أما اشخاص وأما امثلة أشخاص كالتماثيل والاصنام ، ولم يهتدوا بانفسهم إلى التجرد لمعرفة ذلك الاله العظيم بأنه لا يتقيد بشيء حتى هداهم اليه القرآن بآياته البينات فكانوا أهل التوحيد الخالص ، والله تعالى قريب من عباده فلا حاجة إلى رفع الصوت ولا إلى الواسطة بينه وبين عباده فى الدعاء وطلب الحاجات كما كان عليه المشركون فى التوسل بالشفعاء والوسطاء إلى الله تعالى ﴿ أجيب دعوة الداع ﴾ منهم بنفسى من غير واسطة ﴿ إذا ﴾ هو ﴿ دعانى ﴾ وتوجه إلى وحدى فى طلب حاجته ، أى يجب أن يدعى وحده بدون واسطة ، لأنه هو الذى خلق الانسان ، ويعلم ما توسوس به نفسه ، وهو الذى يجيب دعوته وحده بدون واسطة تعينه أو تساعده ، أو تكون نائباً عنه فى الاجابة وقضاء الحاجة الخ .

وفيه أيضاً قوله تعالى ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم ﴾ الآية ، الاله هو المعبود بالحق ، والحى الدائم ، والقيوم المبالغ بالقيام بتدبير خلقه ، والعبادة استعباد الروح واخضاعها لسلطان غيبى لا تحيط به علماً ، وهذا هو معنى التأليه فى نفسه وكل ما آلهه البشر من جماد ونبات وحيوان وانسان فقد اعتقدوا فيه هذا السلطان الغيبى بالاستقلال أو بالتبع لاله آخر أقوى منه سلطاناً ، ومن ثمة تعددت الآلهة المنتحلة ، وكل تعظيم واحترام ودعاء ونداء يصدر عن هذا الاعتقاد فهو عبادة حقيقية ، وان كان المعبود غير اله حقيقة ، أى ليس له هذا السلطان الذي اعتقده العابد له لا بالذات ولا بالواسطة إلى ماهو أعظم منه ، فالاله الحق هو الذى يعبد

بحق وهو واحد . والآلهة التي تعبد بغير حق كثيرة جداً. وهي غير آلهة في الحقيقة . ولكن في الدعوى الباطلة التي يثيرها الوهم ، ذلك أن الانسان إذا رأى أوسمع أو توهم أن شيئاً غريباً صدرعن موجود بغيرعلة معروفة ولا سبب مألوف يتوهم أنه لو لم يكن له تلك السلطة العليا والقوة الغيبية لما صدر عنه ذلك ، حتى ان الذى يعتقدون النفع ببعض الشجر والجماد كشجرة الحنفي ونعل الكاشني بمصر يعدون عابدين لها حقيقة. والحاصل أن معنى لا إله إلا الله ، ليس في الوجود صاحب سلطة غيبية حقيقية إلا الله تعالى وحده ﴿ فمن يكفر بالطاغوت ﴾ من مخلوق يعبد ورئيس يقلدوهوى يتبع ﴿ ويؤمن بالله ﴾ فلا يعبد إلا إياه ، ولا يرجو غيره ولا يخشى سواه ، يرجوه ويخشاه لذاته . وبما سنه من الاسباب والسنن في عباده ﴿ فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ﴾

وقوله تعالى ﴿ إن الدين عند الله الاسلام ، ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه ﴾ فاعلم أن الله تعالى شرع الدين لأمرين أصليين : احدهما تصفية الارواح وتخليص العقول من شوائب الاعتقاد بالسلطة الغيبية للمخلوقات وقدرتها على التصرف في الكائنات، لتسلم من الخضوع والعبودية لمن هم من امثالهم ، أو لما هو دونها في استمدادها وكمالها . وثانيهما اصلاح القلب بحسن القصد في جميع الاعمال ، واخلاص النية لله وللناس، فمتى حصل هذان الأمران انطلقت الفطرة من قيودها العائقة لها عن بلوغ كمالها . وهذان الأمران هما روح المراد من كلمة الاسلام . وأما أعمال العبادات فانما شرعت لتربية هذا الروح الامرى في الروح

الخلق ، ولذلك شرط فيها النية والاخلاص ، ومتى تربى سهل على صاحبه القيام بسائر التكاليف الأدبية والمدنية . ولكن آه الف آه من غفلة الناس عن حقيقة الاسلام والدين حجبت عنها الرسوم العملية ، والتقاليد المذهبية ، والنزغات النظرية .

وقوله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله و لا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾ فهذه الآية قررت وحدانية الالوهية ووحدانية الربوبية فاما وحدانية الالوهية فهي قوله تعالى ﴿ أن لا نعبد الا الله ﴾ وأكده بقوله ﴿ ولا نشرك به شيئاً والاله هو المعبود الذى توله العقول فى معرفته وتدعوه وتصمد اليه لاعتقادها ان السلطة الغيبية له وحده ، وأما وحدانية الربوبية فهي قوله ﴿ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾ فالرب هو السيد المربى الذى يطاع فيما يأمر وينهى ، والمراد هنا من له حق التشريع والتحليل والتحريم ، كما فى حديث عدى بن حاتم وحذيفة رضى الله تعالى عنهما ﴿ فان تولوا ﴾ وأعرضوا عن هذه الدعوة وأبوا الا أن يعبدوا غير الله باتخاذ الشركاء الذين يسمونهم وسطاء وشفعاء . واتخاذ الارباب الذين يحلون لهم ويحرمون ﴿ فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ﴾ نعبد الله وحده مخلصين له الدين لا ندعوا سواه ولا نتوجه الى غيره فى طلب نفع ولا دفع ضر ، ولا نحل الا ما أحله ولا نحرم الا ما حرمه ، والآية حجة على انه لا يجوز لاحد أن يأخذ بقول احد مالم يسنده الى المعصوم يعنى فى مسائل الدين البحتة ، العبادات والحلال والحرام

وفي قوله تعالى ﴿ ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ﴾ نزلت هذه الآيات في واقعة احد وأصاب على النبي ﷺ ما أصاب ، فاى نصيب من هذا الدين للذين يجعلون امر العباد وتدبير شئون الكون لطائفة من أصحاب القبور أو الاحياء الذين يلقبون بالمشائخ والاولياء فيزعمون انهم ينصرون ويخذلون ويسعدون ويشقون ويميتون ويحيون ويغنون ويفقرون ، ويمرضون ويشفون ويفعلون كل ما يشاؤن ، هل يعد هؤلاء من أهل الاسلام ، واتباع القرآن فهل كان أهل بخارى مهتدين به عند ما كانوا يقولون ، وقد علموا بعزم روسيا على الاستيلاء على بلادهم ، ان شاه نقشبند هو حامى هذه البلاد فلن يستطيعها احد ، هل كان أهل فاس مهتدين به عند مالجأوا الى قبر (إدريس) يستغيثونه ويستفتحون به على الفرنسيس ، هل كان المسلمون على شيء من هذا الدين عندما كانوا يستنصرون بقراءة البخارى أو يستغيثون بالاولياء في بلاد كثيرة ، أيزعمون ان تلك النزعات الوثنية تعد من الدعاء المشروع . الم يعتبروا بهذه الآية ، وما جرى على سيد البشر ﷺ .

وفي قوله تعالى ﴿ لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ تزكيته اياهم هى تطهيرهم من العقائد الزائغة ووساوس الوثنية وادرانها والعقائد هى أساس الملكات، فمن لم يزك عقله ويتطهر من خرافات الوثنية وجميع العقائد الباطلة لا تزكى نفسه بالتخلى عن الاخلاق الذميمه ، والتحلى

بالملكات الفاضلة. فان الوثني من يعتقد ان وراء الاسباب الطبيعية التي ارتبطت بها المسببات منافع ترجى ومضار تخشى من بعض المخلوقات ؛ وانه يجب تعظيم هذه المخلوقات والالتجاء اليها ليؤمن ضرها . وينال خيرها ، ويتقرب بها الى خالقها ، وان من يعتقد هذا يكون دائما أسيرا الاوهام واخيذا لخرافات ؛ يخاف فى موضع الامن ، ويرجوا حيث يجب الحذر والخوف ،وتتعدى قذارة عقله الى نفسه فتفسد أخلاقها ، وتدنس آدابها . فتزكية النفس لاتتم الا بتزكية العقل ، ولا تتم تزكية العقل الا بالتوحيد الخالص

وفى قوله تعالى ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا و بالوالدين إحسانا ﴾ الآيات ؛ والشرك هو الخضوع لسلطة غيبية وراء الاسباب والسنن المعروفة فى الخلق بان يرجى صاحبها ويخشى منه . وهذه السلطة لاتكون لغيره تعالى فلا يرجى غيره ولا يخشى سواه فى أمر من الامور التى هى وراء الاسباب المقدورة للمخلوقين عادة . لان هذا خاص به تعالى فمن اعتقد ان غيره يشركه فيه كان مؤمناً مشركا ﴿ وما يؤمن اكثرهم بالله الاوهم مشركون ﴾ وأما التعطيل فهو انكار الالوهية البتة ، والاشراك قد ذكر فى القرآن بعض ضروبه عند مشركى العرب . وهو عبادة الاصنام باتخاذهم أولياء وشفعاء ووسطاء عند الله تعالى يقربون المتوسل بهم اليه ويقضون الحاجات عنده ، والآيات فى ذلك كثيرة. والشرك أنواع وضروب أدناها مايتبادر الى أذهان المسلمين انه العبادة لغير الله كالركوع والسجود له ، وأشدها وأقواها هو ماسماه الله تعالى دعاء و إستشفاعا وهو التوسل

بهم الى الله وتوسطهم بينهم و بينه تعالى . فالقرآن ناطق بهذا . وهو المشهور في كتب السير والتاريخ ، فهذا المعنى هو أشد أنواع الشرك ، وأقوى مظاهره التى يتجلى فيها معناه اتم التجلى ، وهو الذى لا ينفع معه صلاة ولا صيام ولا عبادة أخرى ، ولا يخفى ان هذا الشرك قد فشى فى المسلمين اليوم ، كالمعتقدين الغالين فى البدوى ، وشيخ العرب . والدسوقى ، وغيرهم . الا يحتمل التأويل (قلت وكالمعتقدين فى عبد القادر الجيلانى ، وبهاء الدين النقشبند ، ومعين الدين الجشتى وغيرهم) وليس هو من الشرك الخفى الذى وردت الاحاديث بالاستعاذة منه الذى لا يكاد يسلم منه الا الصديقون .

وقد قال العلامة العارف بالله تعالى الشيخ ولى الله عبد الرحيم الدهلوى رحمه الله تعالى فى كتابه (حجة الله البالغة) يجب الايمان بان العبادة حق الله تعالى على عباده ، لانه منعم عليهم مجاز لهم بالارادة ، فاعلم ان من أعظم أنواع البر ان يعتقد الانسان بجامع قلبه بحيث لا يحتمل نقيض هذا الاعتقاد عنده ان العبادة حق الله تعالى على عباده . وانهم مطالبون بالعبادة من الله تعالى ، بمنزلة سائر ما يطالبه ذووا الحقوق من حقوقهم قال النبي ﷺ يا معاذ هل تدرى ماحق الله على عباده وماحق العباد على الله قال معاذ الله ورسوله أعلم قال فان حق الله على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله تعالى ان لا يعذب من لا يشرك بالله شيئا فمن لا يعتقد هذا فهو دهري لا تقع عبادته وان باشرها بجوارحه بموقع من قلبه ولا تفتح بابا بينه وبين ربه . وكانت عادة كسائر عاداته .

بدأ الله تعالى سورة آل عمران بقوله ﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم وان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء . هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء . لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾ فالموحدون يقولون ﴿ ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ﴾ ﴿ وشهد الله انه لا إله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط . لا إله الا هو العزيز الحكيم ﴾ ﴿ ان الدين عند الله الاسلام فان حاجوك فقلت اسلمت وجهى لله ومن اتبعنى ﴾

وقال عيسى عليه السلام داعيا الى توحيد الربوبية وتوحيد العبادة ﴿ ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم . ومامن إله إلا الله . وان الله لهو العزيز الحكيم . قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا . ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله . فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ﴾

ومن علامة الشرك الايمان بالجبت والطاغوت واطاعة الرؤساء فى كل مايأمرون به . قال الله تعالى ﴿ الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا . اولئك الذين لعنهم الله ﴾ قال الراغب فى غريب القرآن الجبت الجبس الفسل الذى لا خير فيه . ويقال لكل ماعبد من دون الله جبت . وسمى الساحر والكاهن جبتا . والطاغوت عبارة عن كل متعمد . وكل معبود من دون الله ﴿ الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت

وقد أمروا ان يكفروا به . ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا ﴾ ان الانسان اذا غلبت عليه الشهوة وثورات الغضب فارتكب معصية ربما يعود ويتوب فهذا قد تناله المغفرة . واما اذا مال عن التوحيد الذى هو اساس الدين الى ضرب من ضروب الشرك فلا يغفر عنه . اكد الله للناس انه لايغفر لاحد شركه به البتة . وقد يغفر لمن يشاء من المذنبين مادون الشرك من الذنوب فلا يعذبهم عليه . والشرك يشبه فى افساده للارواح مايصيب القلب او الدماغ من سهم نافذ اورصاصة قاتلة . فلا مطمح للنجاة من العقاب عليه بخلاف ما إذا اصاب السهم فى سائر الاطراف فانه يرجى البرء ذلك بان الشرك فى نفسه هو منتهى فساد الارواح وسفاهة الانفس وضلال العقول فكل خيرا وحق يقارنه لايقوى على اضعاف شروره ومفاسده والعروج الى جوار الله تعالى بروح صاحبه فان روحه تكون في الاخرة على ما كانت فى الدنيا متعلقة بشركاء يحولون بينها وبين الخلوص اليه عزوجل ، والله لايقبل الا ما كان خالصا له ، والمذنب قد يكون فى ايمانه وسريرته خالصاً لله عبداً له وحده ، فالعبد المملوك قد يعصى وقد يأبق فلا العصيان ولا الاباق يخرجانه عن كونه عبداً لسيد واحد ، ولسيده أن يعاقبه وأن يعفو عنه ، ولا يغفر له أن يجعل نفسه عبداً لغيره لاقناً ولا مبعضاً ، ومن الناس من يسمون أنفسهم موحدين ، وهم يفعلون مثل مايفعل جميع المشركين ولكنهم يفسدون فى اللغة كما يفسدون فى الدين فلا يسمون أعمالهم هذه عبادة . وقد يسمونها توسلا وشفاعة . ولا يسمون من يدعونهم من دون الله أو مع الله شركاء . ولكن لا يأبون أن يسموهم أولياء

وشفعاء وانما الحساب والجزاء على الحقائق لا على الاسماء . ولو لم يكن منهم الا دعاء غير الله ونداؤه لقضاء الحاجات وتفريج الكربات لكفى ذلك عبادة له . وشركا بالله عز وجل فقد قال النبي ﷺ « الدعاء هو هو العبادة) رواه ابو داود والترمذى وقال حسن صحيح. وهو يفيد حصر العبادة الحقيقية فى الدعاء وهو حصر على سبيل المبالغة . كأن ماعدا الدعاء لا يعد عبادة بالنسبة اليه وهذا الحديث مثل (الحج عرفة) أى هو الركن الاعظم الذى لا يعتد بغيره عند تركه .ومن تأمل تعبير الكتاب العزيز عن العبادة بالدعاء فى أكثر الآيات الواردة فى ذلك وهى كثيرة جداً يعلم كما يعلم من اختبر أحوال البشر فى عباداتهم ان الدعاء هو العبادة الحقيقية الفطرية التى يثيرها الاعتقاد الراسخ من أعماق النفس لا سيما عند الشدة، وان ماعدا الدعاء من العبادات فى جميع الاديان فكله أو جله تعليمى تكليفى يفعل بالتكلف وبالقدوة، وقد يكون فى الغالب خالياً عن الشعور الذى به يكون القول أو العمل عبادة وهو الشعور بالسلطة الغيبية التى هى وراء الاسباب المادية، حتى ان الادعية التعليمية فى جميع الاديان قد تكون خالية عن معنى العبادة وروحها الذى ذكرناه، فان كثيراً من الادعية الراتبة فالحافظ لها يحرك بها لسانه فى الوقت المعين وقلبه مشغول بشىء آخر ، انما العبادة جد العبادة فى الدعاء الذى يفيض على اللسان من سويداء القلب وقرارة النفس عند وقوع الخطب وشدة الكرب والشعور بشدة الحاجة الى الشىء واستعصاء الوسائل اليه وتقطع الاسباب دونه ، ذلك الدعاء الذى تسمعه

من أصحاب الحاجات وذوى الكربات عند حدوث الملمات ، وفى هيا كل العبادات ، ولدى قبور الاموات . ذلك الدعاء الذى يغشاه جلال الاخلاص ويتمثل كل حرف من حروفه معنى الخشوع التام ، وناهيك بما يفجره هـذا الخشوع . من ينابيع الدموع . ذلك الدعاء الذى يستغله سدنه ولهيا كل ، ويستثمره خدمـة المقابر ، ويضن به ويدافع عنـه رؤساء الاديان ، لانه أشد أركان رياستهم على الدوام ، ، هذا أشد أنواع الشرك ﴿ ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾ فانه قد تنكب عن سبيل الرشد وبعد عن سبيل الهداية . موغلا فى مهامة الغواية ولانه ضلال يفسد العقل ، ويجعله يخضع لعبد مثله فيطيع من لا يطـاع ، ويرجو ولا موضع للرجاء ، ويخاف ولا موطن للخوف ، ويكون عبداً للاوهام اعرضة للخرافات .

وقد قال الله تعالى فى سورة المائدة ﴿ وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم ، انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة، ومأواه النار ، وما للظالمين من انصار ، لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، وما من إله إلا إله واحد ، قل أتعبدون من دون ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً ، والله هو السميع العليم ، وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ، قال سبحانك مايكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم مافى نفسك ، إنك أنت علام الغيوب ، ماقلت لهم إلا ما أمرتنى به ان اعبدوا الله ربى وربكم ﴾ الآية .

وفى سورة الانعام ﴿ قل إنى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ، قل لا اتبع أهواءكم ، قد ضللت اذاً وما أنا من المهتدين ﴾ وفيها أيضاً بعد أن عدد الله تعالى بانه فالق الحب والنوى ، ومخرج الميت من الحى ومخرج الحى من الميت وفالق الاصباح ، وجاعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ، والنجوم علامات ، ومنزل الامطار ومخرج الحبوب والنخيل والاعناب ، وبديع السموات والارض قال ﴿ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شىء فاعبدوه ، وهو على كل شىء وكيل ، ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ، وإلى عاد أخاهم هوداً ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، أفلا تتقون ، قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ، فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ؛ وإلى ثمود أخاهم صالحاً ، قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ، قد جاءتكم بينة من ربكم ﴾ الآية . وهكذا سائر الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام ، انما دعوا الناس الى توحيد الله بالعبادة .

وفى سورة الزمر ﴿ قل انى أمرت أن اعبد الله مخلصاً له الدين وأمرت لان أكون أول المسلمين ، قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم ، قل الله اعبد مخلصاً له دينى ، فاعبدوا ما شئتم من دونه . قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، الا ذلك هو الخسران المبين ، ذلك يخوف الله به عباده ، يا عباد فاتقون ؛ والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وانابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد

الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب ﴾

وفى سورة الجن ﴿ وان المساجد لله فلا تدعوا مع أحداً ، وانه لما قام عبدالله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً . قل انما أدعو ربى ولا اشرك به أحداً ، قل انى لا أملك لكم ضراً ولا رشداً ، قل انى لن يجيرنى من الله أحد ، ولن أجد من دونه ملتحداً ، الا بلاغا من الله ورسالاته ، ومن يعصى الله ورسوله فان له نارجهنم خالدين فيها أبداً ﴾ .

وقد ذكر الاستاذ العلامة السيد محمد رشيد رضا رحمه الله تعالى فى سورة التوبة من تفسيره ﴿ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح بن مريم ﴾ الاحبار جمع حبر ، وهو العالم من أهل الكتاب ، والرهبان جمع راهب ومعناه فى اللغة الخائف ، وهو عند النصارى المتبتل المنقطع للعبادة ، والرهبانية فى النصرانية بدعة ؛ كما قال الله تعالى ﴿ ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ وكانت نيتهم فيها صالحة ؛ كما قال تعالى ﴿ الا ابتغاء رضوان الله ﴾ ذلك بان لاصل فيها تأثير مواعظ المسيح عليه السلام فى الزهد والاعراض عن لذات الدنيا ، ثم صار أكثر منتحليها من الجاهلين والكسالى فكانت عبادتهم صورية اعقبتهم رياء وعجباً وغروراً بانفسهم وبتعظيم العامة لهم ولذلك قال تعالى ﴿ فما رعوها حق رعايتها ﴾ ولما صارت النصرانية ذات تقاليد منظمة فى القرن الرابع وضع رؤساؤهم نظما وقوانين للرهبانية ولمعيشتهم فى الاديار ، وصار لها عندهم فرق كثيرة يشكو بعض احرارهم من مفاسدهم فيها . فكان ذلك

مصداقا لقوله تعالى فى سلفهم الصالحين ﴿فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم﴾ وفي خلفهم المرائين ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ وهذه الآية من تحرير القرآن للحقائق فى المسائل الكبيرة بعبارة وجيزة هى الحق المفيد فيها. وقد نهى النبي ﷺ عن الرهبانية فى الاسلام .

والمعنى اتخذ كل من اليهود والنصارى رؤساء الدين فيهم اربابا فاليهود اتخذوا أحبارهم ، وهم علماء الدين فيهم اربابا بما أعطوهم من حق التشريع فيهم وأطاعوهم فيه ، والنصارى اتخذوا رهبانهم أى عبادهم الذين يخضع العوام لهم اربابا كذلك . والاظهر أن يكون المراد من الاحبار والرهبان جملة رجال الدين من الفريقين ، أى من العلماء والعباد فذكر من كل فريق ما حذف مقابله من الآخر على طريقة الاحتباك أى اتخذ اليهود احبارهم وربانيهم والنصارى قسوسهم ورهبانهم اربابا غير الله ، وبدون اذنه باعطائهم حق التشريع الدينى لهم وبغير ذلك مما هو حق الرب تعالى ، وهم يتوسلون بهم ، ويتخذون لهم الصور والتماثيل فى كنائسهم ، ولكنهم لا يسمون هذا عبادة فى الغالب. وأما اتخاذهم اربابا بالمعنى المأثور فى تفسير الآية فقد كان عاما عند الفريقين، فان اليهود لم يقتصروا فى دينهم على احكام التوراة بل لم يلتزموها بل اضافوا اليها من الشرائع اللسانية عن رؤسائهم ما كان خاصا ببعض الاحوال من قبل أن يدونوه فى المشنة والتلمود، ثم دونوه فكان هو الشرع العام وعليه العمل عندهم. وأما النصارى فقد نسخ رؤساؤهم جميع أحكام التوراة الدينية والدنيوية على إقرار المسيح لها ، واستبدلوا بها شرائع كثيرة فى العقائد والعبادات والمعاملات

جميعاً ، وزادوا على ذلك انتحالهم حق مغفرة الذنوب لمن شاؤا وحرمان من شاؤا من رحمة الله وملكوته ، وهذا حق الله تعالى وحده ﴿ ومن يغفر الذنوب إلا الله ﴾ أى لا أحد ؛ والقول بعصمة البابا رئيس الكنيسة فى تفسير الكتب الالهية ووجوب طاعته فى كل ما يأمر به من العبادات وتحريم المحرمات .

وروى الترمذى وحسنه وابن المنذر وابن أبى حاتم وابو الشيخ وابن مردويه والبيهقى فى سننه وغيرهم عن عدي بن حاتم رضى الله تعالى عنه قال أتيت النبى ﷺ وهو يقرأ ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ فقال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه ، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه ، كذا فى الدر المنثور ، وفى رواية دخل عدى على رسول الله ﷺ وهو يقرأ ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله ﴾ قال فقلت انهم لم يعبدوهم ، فقال بلى انهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم ، وقال رسول الله ﷺ ياعدى ماتقول ، أيضرك أن يقال الله أكبر ، فهل تعلم شيئاً أكبر من الله ، مايضرك ، أيضرك أن يقال لا إله إلا الله فهل تعلم إلهاً غير الله ، ثم دعاه الى الاسلام فأسلم وشهد شهادة الحق ، قال فلقد رأيت وجهه استبشر ، ثم قال ان اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون ؛ وهكذا قال حذيفة اليمان وابن عباس وغيرهما رضى الله تعالى عنهم فى تفسير هذه الآية .

ولبعض المفسرين أقوال فى الآية جديرة بان تنقل بنصها لما فيها

من العبرة لاهل هذا العصر ، قال العلامة الشيخ سليمان بن عبد القوى الطوفي الحنبلي فى تفسير هذه الآية من كتابه (الاشارات الالهية الى المباحث الاصولية) أى ما يتعلق باصول العقائد واصول الفقه في القرآن ، مانصه .

أما المسيح فاتخذوه ربا معبوداً بالحقيقة ، وأما الاحبار والرهبان فانما اتخذوهم أرباباً مجازاً ، لانهم أمروهم باشياء فطاعوهم فيه فصاروا كالارباب لهم بجامع الطاعة ، والنصارى يزعمون أن المسيح قال لتلاميذه عند صعوده عنهم : ماحللتموه فهو محلول فى السماء ، وما ربطتموه فهو مربوط فى السماء . فمن ثم اذا أذنب أحدهم ذنباً جاء بالقربان الى البطرك أو الراهب وقال يا ابونا اغفر لنا بناء على أن خلافة المسيح مستمرة فيهم وانهم أهل الحل والعقد فى السماء والارض على مانقلوه عن المسيح ، وهو من ابتداعاتهم فى الدين ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا إلها واحداً ﴾ الآية . بدليل قول المسيح ﴿ يابنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار ﴾

وقال الامام الرازى فى تفسيره مفاتيح الغيب ، الاكثرون من المفسرين قالوا ليس المراد من الارباب انهم اعتقدوا انهم آلهة العالم : بل المراد انهم أطاعوهم فى أوامرهم ونواهيهم ، نقل ان عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه كان نصرانياً فانتهى الى رسول الله ﷺ وهو يقرأ سورة براءة فوصل الى هذه الآية ، قال فقلت لسنا نعبدهم : فقال أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ، ويحلون ماحرم الله

فتستحلونه ، قلت بلى ، قال فتلك عبادتهم ، وقال الربيع قلت لابى العاليه كيف كانت تلك الربوبية فى بنى اسرائيل ، فقال انهم ربما وجدوا فى كتاب الله مايخالف أقوال الاحبار والرهبان فكانوا يأخذون بأقوالهم وما كانوا يقبلون حكم كتاب الله تعالى . ثم قال الرازى قال شيخنا ومولانا خاتمة المحققين والمجتهدين ؛ يعنى والده عمر ضياء الدين وشيخه محى السنة البغوى رحمهما الله تعالى ؛ قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله تعالى فى بعض مسائل وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا اليها و بقوا ينظرون الى كالمتعجب ، يعنى كيف يمكن العمل بظاهر هذه الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها ؛ ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الداء ساريا فى عروق الاكثرين من أهل الدنيا انتهى .

فان قيل انه تعالى كما كفرهم بسبب انهم أطاعوا الاحبار والرهبان فالفاسق يطيع الشيطان فوجب الحكم بكفره كما هو قول الخوارج ، والجواب أن الفاسق وان كان يقبل دعوة الشيطان الا انه لا يعظمه لكن يلعنه و يستخف به ، أما اولئك الاتباع كانوا يقبلون قول الاحبار والرهبان ويعظمونهم فظهر الفرق .

واعلم ان تفسير هذه الربوبية ان الجهال والحشوية اذا بالغوا فى تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى القول بالحلول والاتحاد ، وذلك الشيخ اذا كان طالباً للدنيا بعيداً عن الدين فقد يلقى اليهم أن الامر كما يقولون و يعتقدون ، وشاهدت بعض المزورين ممن كان بعيداً

عن الدين كما كان يأمر اتباعه واصحابه بان يسجدوا له ؛ وكان يقول لهم انتم عبيدى ، فكان يلقى اليهم من حديث الحلول والاتحاد اشياء ، ولو خلا ببعض الحمقى من اتباعه فربما ادعى الالوهية ، فاذا كان هذا مشاهداً فى هذه الامة فكيف يبعد ثبوته فى الامم السالفة . وحاصل الكلام ان تلك الربوبية يحتمل ان يكون المراد منها انهم اطاعوهم فيما كانوا فيه مخالفين لحكم الله ، وان يكون المراد منها انهم قبلوا منهم انواع الكفر فكفروا بالله ، فصار ذلك جاريا مجرى انهم اتخذوهم اربابا من دون الله ، ويحتمل انهم أثبتوا فى حقهم الحلول والاتحاد وكل هذه الوجوه الاربعة مشاهد وواقع فى هذه الامة ؛ انتهى كلام الرازى

يقول محمد رشيد رحمه الله تعالى ، اننا أوردنا هذا عن هذين المفسرين من اشهر مفسرى القرون الوسطى

وا كبر نظارها ليعتبر به مسلموا هذا العصر الذين يقلدون شيوخ مذاهبهم الموروثة بغير علم فى العبادات والحلال والحرام بدون نص من كتاب الله قطعى الدلالة او سنة رسوله المتبعة بالعمل المتواتر ولا من حديث صحيح ظاهر الدلالة أيضا . بل فيما يخالف النصوص وكذا اصول أئمتهم ايضا . والذين يتبعون مشائخ الطرق فى بدعهم وغلوهم وضلالهم ويوجد فيهم فى هذا الزمان من هم مثل من ذكر الرازى ومن هم شر منهم . وقد بلغنى عن معاصر من الدجالين المنتحلين للتصوف فى مصر انه قال لبعض الزائرين له ممن يظن انه لا يقول بالخرافات ان مريدى واتباعى يعتقدون انني اعلم الغيب فما ذا افعل وبلغنى عن رجلين لا يعرف احدهما

الآخران كلامنهما رأى فى المسجد الحرام احد تلاميذ هذا الدجال يقول نويت ان أصلى ركعتين لسيدى الشيخ فلان او قال لوجه الشيخ فلان.

واما المقلدون لمنتحلى الفقه المذهبى فى كل ما يقولون بآرائهم وتقاليدهم انه حلال وحرام . وان خالف السنة ونص القرآن فهذا داء عام فلما كنت تجد قبل هذه السنين الاخيرة فى البلد الكبير احدا يخالفه فيؤثر ما صح فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على قول مشائخ مذهبهم الا أفرادا غير مجاهرين ونحمد الله تعالى ان رأينا تأثيراً كبيرا لدعوتنا المسلمين الى هداية الكتاب والسنة فصار يوجد فى مصر وغيرها الوف من الناس على هذه الطريقة والهداية . ومنهم الدعاة اليها وأولوا الجمعيات التى استست للتعاون على نشرها .

وقال السيد صديق حسن فى تفسيره (فتح البيان فى مقاصد القرآن). وفى هذه الآية ما يزجر من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد عن التقليد فى دين الله . وايثار ما يقوله الاسلاف على ما فى الكتاب العزيز والسنة المطهرة . فان طاعة المتمذهب لمن يقتدى بقوله ويستن بسنته من علماء هذه الامة مع مخالفته لما جاءت به النصوص . وقامت به حجج الله وبراهينه ونطقت له كتبه وانبياؤه . هو كاتخاذ اليهود والنصارى للاحبار والرهبان اربابا من دون الله . للقطع بانهم لم يعبدوهم . بل اطاعوهم وحرموا ما حرموا . وحللوا ما حللوا . وهذا هو صنيع المقلدين من هذه الامة . وهو اشبه به من شبه البيضة بالبيضة والتمرة بالتمرة والماء بالماء. فيا عباد الله ويا اتباع محمد بن عبد الله (رسول الله) ما بالكم تركتم الكتاب

والسنة جانبا وعمدتم الى رجالهم مثلكم فى تعبد الله لهم بهما وطلبه للعمل منهم بما دلى عليه وافاداه فعملتم بما جاؤا به من الآراء التى لم تمد بمداد الحق ولم تعضد بعضد الدين ونصوص الكتاب والسنة بل تنادى بابلغ نداء وتصوت باعلى صوت بما يخالف ذلك ويباينه · فاعرتموها آذان صما وقلوبا غلفاً وافهام مريضة وعقولا مهيضة · واذهاناً كليلة . وخواطر عليلة فدعوا ارشدكم الله واياى كتبا كتبها لكم الاموات من اسلافكم : واستبدلوابها كتاب الله خالقكم وخالقهم ومتعبدهم ومتعبدكم . ومعبودهم ومعبودكم . واستبدلوا باقوال من تدعونهم بأئمتكم ، وما جاؤكم به من الرأى اقوال امامهم وامامكم ؛ وقدوتهم وقدوتكم وهو الامام الاول محمد بن عبد الله رسول الله المعصوم) ﷺ .

« دعوا كل قول عند قول محمد » فما آمن فى دينه كمخاطر

اللهم هادى الضال . مرشد التائه . موضح السبيل . اهدنا الى الحق . وارشدنا الى الصواب . وأوضح لنا منهج الهداية انتهى .

والتحقيق ان اتخاذ الارب غير اتخاذ الآلهة . وانهما يجتمعان ويفترقان . فان رب العالمين هو خالقهم ومربيهم بنعمه ومدبر أمورهم بسننه الحكمية . وشارع الدين لهم . واما الاله فهو المعبود بالفعل . اى الذي تتوجه اليه قلوب العباد . بالاعمال النفسية والبدنية والتروك للقربة ورجاء الثواب ومنع العقاب عن اعتقاد انه صاحب السلطان الاعلى والقدرة على النفع والضر بالاسباب المعروفة وغير المعروفة اذهو مسخرها و بغيرها ان شاء ، والحقيق بالعبادة هو الرب الخالق

المدبر وحده . ولكن من البشر من يترك عبادته . ومنهم من يعبد غيره معه اومن دونه . وكانت العرب تتخذ اصناما تعبدها ولكنهم لم يتخذوها اربابا . بل شهد القرآن بانهم كانوا يعتقدون و يصرحون بان الله الخالق لكل شئ هو رب كل شيء ومليكه ومدبر أمره .وهو يحتج عليهم بان الرب هو الحقيق بالعبادة وحده دون غيره فلا ينبغي لهم ان يعبدوا احداً من دونه لا بشراً ولا ملكا ولا شيئاً سفلياً ولا علوياً . فمن اعتقد ان انسانا اوملكا اوغيرهما من الموجودات يخلق كما يخلق الله او يقدر على تدبير شيء من امر الخلق والتصرف فيها بقدرته الذاتية غير مقيد بسنن الله تعالى العامة فى الاسباب والمسببات كامثاله من ابناء جنسه فقد اتخذه ربا . وكذلك من اعطى اى انسان حق التشريع الديني بوضع العبادات كالاوراد المبتدعة التى تتخذ شعائر موقوتة كالفرائض. و بالتحريم الديني الذى يتبع خوفاً من سخط الله ورجائه فى ثوابه . فقد اتخذه ربا . واما اذا دعاه فيما لا يقدر عليه المخلوقون امثالهم من الكسب فى دائرة السنن الكونية والاسباب الدنيوية او سجد له او ذبح القرابين له وذكر عليها اسمه اوطاف بقبره وتمسح وقبله تقربا اليه وابتغاء مرضاته وعطفه وارضائه الله عنه وتقريبه اليه زلفى كما يطوف بالكعبة و يستلم الحجر الاسود و يقبله.ولم يعتقد مع هذا انه يخلق و يرزق و يدبر امور العباد فقد اتخذه الها لا ربا . فان جمع بين الامرين فهو المشرك فى الربوبية والالوهية معاً كما بيناه هذا مرارا كثيرة .

وقد ثبت فى الآيات المحكمة القطعية الدلالة ان الله تعالى هو شارع الدين وان رسوله ﷺ هو المبلغ عنه (ان عليك الا البلاغ . ما على الرسول الا البلاغ . فانما عليك البلاغ) فهذه أنواع الحصر التى هى اقوى الدلالات وأركان الدين التى لا تثبت الا بنص كتاب الله تعالى أو بيان رسوله ﷺ لمراده منه ثلاث (١) العقائد و (٢) (العبادات المطلقة والمقيدة بالزمان أو المكان او الصفة أو العدد لكلمات الأذان والاقامة المعدودة المشروطة فيها رفع الصوت و(٣) التحريم الدينى . وما عداذلك من أحكام الشرع فيثبت باجتهاد الرأى فيما ليس فيه نص . ومداره على إقامة المصالح ودفع المفاسد ، ونصوص الكتاب وهدى السنة وعمل السلف الصالح وكلامهم كثير فى هذا الباب. ولا سيما التحريم الدينى الذي هو موضوعنا هنا ، وكونه لا يثبت الا بدليل قطعى الدلالة والرواية :

ونقل ابن مفلح عن شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية ان السلف الصالح لم يطلقوا الحرام الا على ماعلم تحريمه قطعاً ،وروى الامام الشافعى فى الام عن القاضى أبى يوسف رحمهما الله تعالى انه قال أدركت مشائخنا من أهل العلم يكرهون فى الفتيا أن يقولوا هذا حلال وهذا حرام .الا ما كان فى كتاب الله عز وجل بينا بلا تفسير ،قلت ان كثيراً من المؤلفين المقلدين ومن بعدهم وتبعهم العوام قالوا بحرمة كثير من الأمور حتى عسروا مايسره الله من دينه ، وأوقعوا أنفسهم والناس فى أشد الحرج الذى نفى الله تعالى قليله وكثيره بقوله ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من

حرج ، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ وما نقل الامام ابو يوسف وابن تيمية رحمها الله تعالى عن السلف هو الثابت عن النبي ﷺ وأصحابه وكبار علماء التابعين وائمة الامصار ، فاما السنة وعمل الصحابة فاقوى الحجج فيهماما علم نصاً وعملا من عدم تحريم الخمر والميسر تحريماً عاماً تشريعياً بآية البقرة التى تدل عليه دلالة ظنية بقوله تعالى ﴿ واثمهما أكبر من نفعهما ﴾ بل ترك الامر فيهما لاجتهاد الافراد ، فمن فهم من الآية التحريم تركهما ، ومن لم يفهم ذلك ظل على الاخذ بالاباحة إعتقاداً وعملا أو إعتقاداً فقط كعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الذى ظل يراجع النبي ﷺ فى ذلك ويدعوا الله تعالى (أن يبين لهم فى الخمر بياناً شافيا) الى أن نزلت آيات المائدة القطعية الدلالة وهذا هو الاصل فان كان الامر هكذا لا تثبت الحرمة بالدليل الظنى . فما بال الذين يقولون ان قول الامام الفلانى أكره او لا يعجبنى او لا أحبه أو لا استحسنه يدل على الكراهة التحريمية مع العلم بان إجتهاد العالم حجة عليه لا على غيره . وجملة القول ان الله تعالى انكر فى كتابه على من يقول برأيه وفهمه هذا حلال وهذا حرام . وسماه كذاباً وسمى اتباعه شركا . واعلم ان التحريم على العباد انما هو حق ربهم عليهم ، وكونه تشريعاً دينيا . وانما شارع الدين هو الله تعالى . فاذا انيط التشريع الدينى بغيره تعالى كان ذلك اشراكا بنص قوله تعالى ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾ .

فليتق الله تعالى من يظنون بجهلهم أن جرأتهم على تحريم ما لم يحرمه الله تعالى على عباده من كمال الدين ، وقوة اليقين ، سواء حرموا ماحرموا بآرائهم واهوائهم ، او بقياس فى غير محله ، مع كونهم من غير أهله او بالنقل عن بعض مؤلفى الكتب الميتين ، وان كبرت ألقابهم ، وكذا ان كان أخذاً من نص شرعى لايدل عليه دلالة قطعية ، على ماتقدم بيانه فى الخمر والميسر ، وليتق الله من يضعون للناس الاوراد والاحزاب الكثيرة ، و يجعلون لهم شعاراً كشعائر الدين المنصوصة بحملهم عليها فى الاجتماعات ، واشتراكهم فيها برفع الاصوات ، اوتوقيتها لهم كالصلوات ، فكل ذلك حق لله وحده ، ولم يكن عند أكمل البشر فى الدين من أهل القرون الاولى شئ من ذلك ، ووالله ان المأثور فى كتاب الله وسنة رسوله من الاذكار والدعوات ، خير من حزب فلان وورد فلان ، وأمثال دلائل الخيرات ، فليراجعوا فى كتاب الاذكار للمحدثين ، كاذكار النووى والحصن الحصين للجزرى ، ففيهما مايكفيهم من الاذكار والادعية المطلقة والمقيدة بالعبادات المختلفة ، وبالازمنة والامكنة وحدوث الحوادث .

وقد يقول نصير للبدعة ، خذول للسنة ، ان هذه الاوراد والاحزاب والصلوات التى وضعها شيوخ الطريقة العارفين وكبار العلماء العاملين ، من البدع الحسنة التى جربت فائدتها ، وثبتت منفعتها بمواظبة الالوف من المسلمين عليها وخشوعهم بتلاوتها ، دون غيرها من الصلوات والاذكار والادعية المأثورة . فكيف يصح لاحد أن

يأفكم عنه ، والجواب ان كاتب هذا ممن جربوها باخلاص وحسن اعتقاد ، وكان يبكي لقراءة ورد السحر ولا يبكي لتلاوة القرآن ؛ ثم رفعه الله تعالى بعلم الكتاب والسنة ، فعلم ان ذلك كان من الجهل وضعف الايمان ؛ وانه عين ماوقع لمن قبلنا من العباد والرهبان ، وانما نكشف الغطاء عن هذه الشبهة القوية التي قد تعد عذراً لجاهل ماذكرنا من الآيات القرآنية وسيرة السلف الصالح المرضية ؛ دون من تقوم عليه حجة العلم ونكتفي في ذلك ببيان الحقائق الآتية .

(١) ان الله تعالى ورسوله أعلم بما يرضيه عز وجل من عبادته ، وما يتزكى به عابدوه منها ، ولا يبيح الايمان لاحد من أهله أن يقول أو يعتقد أن أحداً من شيوخ الطريق والاولياء يساوى علمه علم الله تعالى أو علم رسوله ﷺ بذلك ، دع الظن بانهم يعلمون مالا يعلم الله ورسوله أو فوق مايعلمان من ذلك فانه أصرح في الكفر بقدر ماتدل عليه صيغة افعل في الموضوع .

(٢) انه تعالى يقول ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فكل من يزيد في الاسلام عبادة أو شعاراً من شعائر الدين فهو منكر لكماله مدع لاتمامه ، وانه أكمل في الدين من محمد ﷺ وآله وصحبه رضي الله تعالى عنهم ولله در الامام مالك رحمه الله تعالى القائل من زعم أنه يأتي في هذا الدين بما لم يأت به رسول الله ﷺ فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، والقائل لايصلح آخر هذه الامة إلا بما صلح به أولها .

(٣) أنه تعالى يقول ﴿ اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم، ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ وكان رسول الله ﷺ يقول على المنبر وغير المنبر « وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة » وقد بين العلماء المحققون أن هذه القضية الكلية عامة فى الامور الدينية المحضة كالعبادات كما مر مراراً، وان البدعة التى تنقسم الى حسنة وسيئة هى البدعة اللغوية التى موضوعها المصالح العامة من دينية ودنيوية كوسائل الجهاد وتأليف الكتب وبناء المدارس والمستشفيات وتنوير المساجد .

ان قيل أن هـذه الزيادة التى اتى بها الصالحون هى من المشروع باطلاقات الكتاب والسنة العامة، كقوله تعالى ﴿ اذكروا الله ذكراً كثيراً، وصلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ فلا تنافى ماتقدم، قلنا فى الجواب .

(٤) أن حقيقة الاتباع المأمور به أن يلتزم اطلاق ما اطلقته النصوص من الكتاب والسنة وتقييد ماقيدته ؛ ولذلك قال الفقهاء : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . كما فى المنهاج (قال المعصومى وكذا فى رد المحتار لابن عابدين الشـامى) وما ذلك الا أنهما قيدتا بعدد معين وكيفية مخصوصة وزمن مخصوص . وهذا حق الشارع لا المكلف. والا فهما من الصلاة التي هى أفضل العبادات . وقد فصل هذا الموضوع الامام الشاطبى فى كتابه الاعتصام .

(٥) أن الزيادة على المشروع فى العبادة كالنقص منه، وان التكلف والمبالغة فى المشروع منها غلو فى الدين، وهو مذموم شرعا بالاجماع ؛ وصح عن النبى ﷺ النهى عنه، والامر بالمستطاع منه .

(٦) أن الزيادة لا تتحقق كونها زيادة الا مع الاتيان بالاصل ، فمن ترك شيئاً من المأثور المشروع واتى بشئ من هذه العبادات المبتدعة فهو مفضل له على ماشرعه الله تعالى أو سنه رسول الله ﷺ . وكفى بذلك ضلالا واتباعا للهوى ، ولا يمكن لأحد أن يدعى أنه يأتى بشئ منها الا بعد اتيانه بجميع ما صح فى الكتاب والسنة فى ذلك وأكثر المتعبدين بهذه الاوراد والاحزاب لا يعنون بحفظ المأثور ولا يعلمونه الا قليلا من المشهور بين العامة كالوارد عقب الصلوات ، وهم يبتدعون فيه بالاجتماع له ورفع الصوت به. كما بينه الشاطبي وسماه البدعة الاضافية. ورد بحق على من تساهل فيه من المتفقهة .

(٧) أن هذه الاوراد والاحزاب لايخلو شئ منها فيما أطلعنا عليه من أمور منكرة فى الشرع ، وأمور لا يجوز فعلها إلا بتوقيف منه كوصف الله تعالى بما لم يصف به نفسه ولا وصفه به رسول الله ﷺ ، أو القسم عليه بخلقه أو بحقوقهم عليه بدون اذنه ، أو القسم بغيره ، وقد سماه الرسول ﷺ شركا . وكذا وصف رسوله ﷺ بما لا يصح وصفه به ، واسناد افعال اليه لم تصح بها رواية وكذا الغلو فيه ﷺ بمالا يليق الا بربه وخالقه وخالق كل شيء ، ومنها ماهو كفر صريح ، ولبعض الدجالين صلوات واوراد فيها من هذه المنكرات مالا يوجد فى غيرها من امثالها والذين يعرفون سيرة هؤلاء الدجالين يعلمون انهم وضعوها للتجارة بالدين واكتساب المال والجاه عند العوام ؛ ﴿ ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ﴾ زعم بعض هؤلاء الجاهلين ان الممنوع من اطرائه ﷺ

هو ادعاء الالوهية له كما فعلت النصارى ، وكل ماعدا هذا جائز . ومن هذا الجائز عندهم ماهو مخالف للقرآن كقولهم انه كان يعلم الغيب مطلقاً ومتى تقوم الساعة . ويزعمون ان الآيات الصريحة فى خلاف ذلك نزلت قبل اعلام الله له به ، جاهلين ان الآيات الخاصة بالعقائد لاتنسخ . وان النسخ فيما يصح نسخه لايكون الا بنص متأخر فى التاريخ عن المنسوخ يبطل الاول ؛ ومنهم من يحتج ببعض الاحاديث الموضوعة والمنكرة لترويج هذا الغلو الذى يفتن العوام ، كحديث جابر المنسوب الى عبد الرزاق فى خلق النبي ﷺ قبل كل شيء من نور الله تعالى ؛ وهو ان الملائكة وغيرهم خلقوا من ذلك النور . بل خلق منه كل شيء وانه ﷺ أصل هذا الوجود ؛ ومنه خلق كل موجود ؛ وقد يقال فيه من جهة المعقول ان كان ذلك النور الذى خلق منه هو ذات الله تعالى فهو كما يقول النصارى أو أفظع ؛ وان كان نورا مخلوقا واضافته الى الله تعالى للتشريف فهو المخلوق الاول والمخلوق منه هو الثانى . وقد بينا بطلان هذا الحديث رواية ودراية وكذا مافى معناه فى المجلد الثامن من المنار .

(٨) اذا بحث العالم البصير عن سبب عناية كثير من العوام بهذه الاوراد والاحزاب والصلوات المبتدعة وايثارها على التعبد بالقرآن المجيد وبالاذكار والادعية المأثورة عن النبي ﷺ مع ايمانهم بان تلاوة القرآن واذكاره وادعيته أفضل من كل شيء ، وان ماثبت فى السنة هو الذى يليها فى الفضيلة ، وفى كون كل منهما حقا فى درجته . لانجد بعد دقة البحث الا ما ارشدت اليه الآية الكريمة من شرك أهل الكتاب

باتخاذ رؤسائهم أربابا من دون الله باعطائهم حق التشريع للعبادات والتحليل والتحريم غلواً فى تعظيمهم . ومضاهاة مبتدعة المسلمين لهم فى ذلك كما ضاهوا من قبلهم من الوثنيين كما أنبأنا عن ذلك رسول الله ﷺ بقوله المروى فى الصحيحين وغيرهما «لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال فمن . وما قص الله علينا ماقص من كفرهم الا تحذيراً لنامن مثله ، فانت اذا بحثت عن عبادات هؤلاء النصارى من جميع الفرق تجد فى أيديهم اوراداً واحزابا كثيرة ، منظومة ومنثوره كلها من وضع رؤسائهم ، ولكنها ممزوجة بشىء من كتب انبيائهم كصيغة «الصلاة الربانية» وبعض عبارات زامير عند النصارى وأنى لاهل الكتاب بسور كسور القرآن أو بادعية وأذكار نبوية كالاذكار والادعية المحمدية فى وصف جلال الله وعظمته وأسمائه الحسنى ؟ وطلب أفضل مايطلب منه تعالى من خير الآخرة والدنيا ، وهل كان أهل العصر الاول من المسلمين سادة للامم كلها فى فتوحهم وأحكامهم الا بهداية الكتاب والسنة ، وهل صارت الشعوب تدخل فى دين الله أفواجا إلا اهتداء بهم ثم هل صارت الشعوب الاسلامية بعد ذلك الى ماصارت اليه من الذل والصغار ، وتنفير الامم عن الاسلام إلا بترك هدايتهما الى البدع والالحاد «ومن يضلل الله فما له من هاد»

والغلاة المبتدعون لهذه الاوراد والصلوات يخدعون العوام بها :

يحرجونه فيها من الآيات مع تحريفهم لها عن مواضعها التي نزلت فيها أو لاجلها ، ومن الاحاديث وكلام الائمة والصالحين ؛ ومنها ما هو كذب صراح ؛ وما ليس له سند يعتد به ؛ ويردون على دعاة الكتاب والسنة بانهم لا يعظمون النبي ﷺ ، أو يكرهون تعظيمه ﷺ لانهم يقفون فيه عند الحد الشرعي ، وبانهم يكرهون الاولياء ، وينكرون مكاشفاتهم وكراماتهم ، والعوام يقبلون هذا منهم لجهلهم بعقيدة الاسلام ؛ وباجماع المسلمين على انه لا يحتج بقول أحد معين ولا بفعله في دين الله تعالى الا رسول الله ﷺ إلا الشيعة الامامية فانهم يقولون بعصمة (١٢) رجلا من آل البيت رضي الله عنهم أيضاً .

ان فى بعض كتب الصوفية كثيراً من المعارف والفوائد والمواعظ المؤثرة ولكن أكثرها قد أفسدت فى دين هذه الامة ما لم تبلغ إلى مثله شبهات الفلاسفة وآراء مبتدعة المتكلمين ، لان هذين النوعين لاينظر فيهما الا بعض المشتغلين بالعلم العقلي ، وأما كتب الصوفية فينظر فيها جميع طبقات الناس وان كانت أدق عبارة وأخفى إشارة من كتب الفلاسفة ، ولا شك ان خير صوفية هذه الامة السابقون الذين كانوا لا يتصوفون إلا بعد تحصيل علم الكتاب والسنة والفقه والاعتصام بالعمل على طريقة السلف كالامام الجنيد وطبقته ، ثم ظهر فيهم الغلاة ؛ ومن يسمون صوفية الحقائق فابتدعوا ما أنكره عليهم الائمة حتى قال الامام الشافعي رحمه الله تعالى ، من تصوف أول النهار لا يأتي آخره إلا وهو مجنون .

وأنت ترى ان الحارث المحاسبي من أجل علماء الصوفية ، وقد روى عنه الجنيد ، وكان من التمسك بالسنة بحيث لم يأخذ مما خلفه والده من المال الكثير دانقاً واحداً على شدة فقره ، وعلل ذلك بانه لا توارث مع اختلاف الدين ، وما كان والده إلا واقفياً ، أى لايقول أن القرآن غير مخلوق كما انه لا يقول هو مخلوق ، وقد ألف الحارث فى أصول الديانات والزهد على طريق الصوفية ، فسئل الامام ابو زرعة عنه وعن كتبه ؛ فقال للسائل ، إياك وهذه الكتب بدع وضلالات ، عليك بالاثر فانك تجد فيه مايغنيك عن هذه الكتب ؛ قيل له فى هذه الكتب عبرة ، فقال من لم يكن له فى كتاب الله عبرة فليس له فى هذه عبرة ، هل بلغكم ان مالكا أوالثورى أو الاوزاعى أو ابوحنيفة أو الائمة صنفوا كتباً فى الخطرات والوساوس وهذه الاشياء ، هؤلاء قوم قد خالفوا أهل العلم ؛ يأتوننا مرة بالمحاسبي ، ومرة بعبد الرحيم الدبيلي ، ومرة بحاتم الاصم ، ما أسرع الناس إلى البدع ، وطريقة الصوفية مبتدعة فى الدين ، يشغل الناظر فيه عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

فجاء بعدهم هؤلاء القائلون بوحدة الوجود وغير ذلك من البدع المصادمة للنصوص كمحى الدين ابن عربى يقول فى خطبة فتوحاته .

الرب حق والعبد حق ياليت شعرى من المكلف

إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب انى يكلف

وغيرهذا مما ينقض أساس التكليف ، ويصرح بان الخالق والمخلوق

واحد فى الحقيقة ، وانما الاختلاف فى الصورة ، ومن شعره فى ديوانه .

« وما الكلب والخنزير إلا إلهنا »

فهل يجوز لمسلم أن يجعل كلامه وكلام أمثاله حجة ، و يتخذه قدوة فى عقيدته وعبادته و يدعوا العامة الى ذلك ، ونحن نرى المفتونين به من المتصوفة والمتفقهين يقولون انه لايجوز النظر فى أمثال هذه الكتب إلا لاهلها من العارفين برموز الصوفية واشاراتهم الخفية مع العلم بالكتاب والسنة ، قلت ومن كان من أهل العلم والفهم وأحب أن يستفيد من كلام خيار الصوفية فى الحقائق مع التزام السنة وسيرة السلف فى العبادة فعليه بكتاب (مدارج السالكين) للمحقق ابن القيم شرح (منازل السائرين) لشيخ الاسلام الهروى الانصارى ، فان فيه خلاصة معارف الصوفية التى لاتخالف الكتاب والسنة مع الرد على ماخالفهما .

وفى هذا الزمان لاتجد فى علماء مصر حافظاً ، ولا من يصح أن يسمى محدثا ، دع متصوفته الذين يستحوذ على اكثرهم الجهل ، ويوجد فيهم المنافقون الذين يتخذهم الاجانب جواسيس ودعاة للاستعمار محتجين بشبهة الرضا بالاقدار ، وهم اكبر مصائب الاسلام فى المستعمرات الفرنسية الافريقية ، ومن شيوخهم من يأخذ الرواتب المالية من حكامها ، ومن نال بعض أوسمتها الشرفية ، قلت كبعض علماء بخارى والتركستان ومشائخها ، وكذا بلاد الصين والهند وغيرها ؛ فانهم هم الذين أفسدوا الملوك والرعية وصاروا سبباً لاستيلاء الاوروبيين هناك ؛ وانا كنت أعرف أنفاراً منهم ، نعوذ بالله من علم لاينفع وقلب لايخشع

فهذا نموذج من كلام ائمة الاسلام ندعم به ماذكرناه من الحجج والنصوص في دعوة المسلمين الى فهم القرآن والاهتداء به . وبما ورد في السنة من بيانه . والاكتفاء بعباداتهما وأذكارهما ، والاستغناء بهما عن كل ما عداهما من غير غلو ولا تعصب ولا تكلف لما لا يسهل المواظبة عليه . والتفرغ بعد ذلك الى القيام بفروض الكفايات من الدفاع عن الاسلام وتعزيزه .ودفع الاذى والاستعباد والظلم عن أهله ، وإعزاز الامة بالقوة والثروة بالطرق المشروعة المبنية على الفنون الصحيحة والنظام . وانفاقها في سبيل الله ، فهذا أفضل من تلك الاوراد التي لم تبلغ أن تكون من نوافل العبادات على مافيها من البدع والضلالات ، ولا حول ولاقوة الا بالله العلي العظيم

قوله تعالى ﴿ وماامروا الاليعبدوا الهاواحداً ﴾ دون اتخاذ الرؤساء أربابا من دون الله تعالى ، والربوبية تستلزم الالوهية بالذات . اذ الرب هو الذي يجب أن يعبدوحده . واتخذ النصارى المسيح رباً وإلها .والحال انهم ماأمروا على لسان موسى وعيسى عليهما السلام فيما جاءآ به عن الله تعالى الا أن يعبدوا ويطيعوا في الدين الهاً واحداً بما شرعه هو لهم وهو ربهم ورب كل شيء ومليكه (لا إله إلا هو) هي تعليل للامر بالعبادة له وحده بانه لاوجود لغيره في حكم الشرع ، ولافي نظر العقل ، وانما اتخذ المشركون آلهة من دونه بمحض الهوى والجهل ، اذ ظن هؤلاء الجاهلون ان لبعض المخلوقات من السلطان الغيبي والقدرة على النفع والضرمن طريق الاسباب المسخرة للخلق مثل مالله أمابالذات أو بالواسطة عنده

تعالى والشفاعة لديه ، وهى الشفاعة الشركيـة المنفية بنصوص القرآن ﴿ سبحانه عما يشركون ﴾ أى تنزيهاله عن شركهم فى الوهيته بدعاء غيره معه أو من دونه ؛ وفى ربوبيته بطاعة الرؤساء فى التشريع الدينى بدون اذنه انتهى .

قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومى الخجندى المكى وفقه الله تعالى لمافيه رضاه ، وانما اكثرت النقل وطولت الكلام فى هـذه المسألة لـكونهـا مهمـة جداً ، ولابتلاء اكثر الناس بهـذه الورطة ، فاوضحت وشرحت وبينت مااستطعت وماتوفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ، وهو حسبى ونعم الوكيل والنصير .

تكملة . نذكر هنا ماخص ماذكره العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى فى مدارج السالـكين فى منازل إياك نعبد وإياك نستعين قال ان فاتحة الـكتاب تتضمن المطالب العالية . والرد على جميع طوائف أهل الضلال والبدع ، وبنيت هذه السورة على الالهية . والربوبية والرحمة ، فاياك نعبد مبنى على الهية وإياك نستعين على الربوبية وطلب الهداية الى صراط مستقيم بصفة الرحمة ، ومايعبد به تعالى لايكون الا على مايحبـه ويرضاه وعبادته هي شكره وحبه وخشيته . فطرى ومعقول للعقول السليمة لـكن طريق التعبد وما يعبد به لاسبيل الى معرفته الا برسله ؛ وفى هذا بيان ان ارسال الرسل أمر مستقر فى العقول ؛ يستحيل تعطيل العالم عنه كما يستحيل تعطيله عن الصانع ، فمن أنـكر الرسول فقـد انكر المرسل ولم يؤمن به ولهذا جعل سبحانه الـكفر برسله كفراً به .

ونحن محتاجون إلى الهداية التامة ، وهى الموصلة إلى طريق الجنة . فمن هدى فى هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذى أرسل به رسله وأنزل به كتبه هدى هناك إلى الصرط المستقيم الموصل إلى جنته ودار ثوابه ، وعلى قدر ثبوت العبد على هذا الصراط الذى نصبه الله تعالى لعباده فى هذه الدار . يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم . وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط . فمنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالطرف ومنهم من يمر كالريح ؛ ومنهم من يمر كاشد الركاب ، ومنهم من يسعى سعياً ؛ ومنهم من يمشى مشياً ،ومنهم من يحبوا حبواً ، ومنهم المخدوش المسلم ، ومنهم المكدوس فى النار . فلينظر العبد سيره على ذلك الصراط من سيره على هذا حذو القذة بالقذة جزاءاً وفاقا ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ ولينظر الشبهات والشهوات التى تعوقه عن سيره على هذا الصراط المستقيم فانها الكلاليب التى بجنبتى ذاك الصراط ، تخطفه وتعوقه عن المرور عليه . فان كثرت هنا وقويت فكذلك هى هناك ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾ فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير والسلامة من كل شر .

والله تعالى ذكر الصراط المستقيم منفرداً معرفاً تعريفين تعريفاً باللام وتعريفاً بالاضافة، وذلك يفيد تعيينه واختصاصه وانه صراط واحد. وأما طرق أهل الغضب والضلال : فانه سبحانه يجمعها ويفردها كقوله ﴿وان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ فوحد لفظ الصراط وسبيله ، وجمع السبل المخالفة له . وقال ابن

مسعود رضى الله تعالى عنه خط لنا رسول الله ﷺ خطاً وقال « هذا سبيل الله » ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره وقال « هذه سبل وعلى كل سبيل شيطان يدعو اليه » ثم قرأ قوله تعالى ﴿ وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد . وهو مابعث به رسله وأنزل به كتبه . لا يصل اليه أحد الا من هذه الطريقة . ولو أتى الناس من كل طريق واستفتحوا من كل باب . فالطرق عليهم مسدودة والابواب عليهم مغلقة إلا من هذا الطريق الواحد . فانه متصل بالله موصل إلى الله . قال الله تعالى ﴿ هذا صراط عليَّ مستقيم ﴾ أى صراط موصل إلىَّ .

ولما كان طالب الصراط المستقيم طالب أمر أكثر الناس ناكبون عنه ، مريد لسلوك طريق مرافقه فيها فى غاية العزة ، والنفوس مجبولة على وحشة التفرد وعلى الانس بالرفيق . نبه الله سبحانه على الرفيق فى هذه الطريق . وانهم هم الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، فاضاف الصراط إلى الرفقاء السالكين له ، وهم الذين انعم الله عليهم ليزول عن الطالب للهداية وسلوك الصراط وحشته تفرده عن أهل زمانه وبنى جنسه . وليعلم أن رفيقه فى هذا الصراط هم الذين انعم الله عليهم ، فلا يكترث بمخالفة الناكبين عنه له . فانهم هم الاقلون قدراً ، وان كانوا الاكثرين عدداً . كما قال بعض السلف عليك بطريق الحق ولا تستوحش لقلة السالكين ، واياك وطريق الباطل ولا تغتر بكثرة الهالكين وكلما استوحشت فى تفردك فانظر

إلى الرفيق السابق واحرص على اللحاق بهم، وغض الطرف عمن سواهم فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا . واذا صاحوا بك فى طريق سيرك فلا تلتفت اليهم ، فانك متى التفت اليهم أخذوك وعاقوك .

وقد ضربت لك مثلين فليكونا منك على بال . المثل الاول : رجل خرج من بيته إلى الصلاة لا يريد غيرها فعرض له في طريقه شيطان من شياطين الانس فالقى عليه كلاماً يؤذيه فوقف فرد عليه وتماسكا فربما كان شيطان الانس أقوى منه فقهر ومنعه عن الوصول إلى المسجد حتى فاتته الصلاة. وربما كان الرجل أقوى من ذلك الشيطان ولكن اشتغل بمهاوشته عن الصف الاول وكمال ادراك الجماعة . فان التفت اليه اطمعه فى نفسه وربما فترت عزيمته . فان كان له معرفة وعلم زاد في السعى والجمز بقدر التفاته أو أكثر . فان اعرض عنه واشتغل بما هو بصدده وخاف فوت الصلاة أو الوقت لم يبلغ عدوه منه ما يشاء . (الثانى) الظبى أشد سعياً من الكلب ولكنه إذا أحس به التفت اليه فيضعف سعيه فيدركه الكلب فيأخذه . والقصد أن فى ذكر هذا الرفيق ما يزيل وحشة التفرد. ويحث على السير والتشمير للحاق بهم .

وهذه احدى الفوائد فى دعاء القنوت ﴿ اللهم اهدنى فيمن هديت ﴾ أى ادخلني فى هذه الزمرة واجعلنى رفيقاً لهم ومعهم . والفائدة الثانية : أنه توسل إلى الله بنعمه واحسانه إلى من انعم عليه بالهداية . أى قد أنعمت بالهداية على من هديت . وكان ذلك نعمة منك ، فاجعل لى نصيباً من هذه النعمة ، واجعلنى واحداً من هؤلاء المنعم عليهم ، فهو توسل إلى الله

باحسانه . والفائدة الثالثة : كما يقول السائل للكريم ، تصدق عليّ فى جملة من تصدقت عليه وعلمنى فى جملة من علمته ؛ واحسن إلى فى جملة من شملته باحسانك .

ولما كان سؤال الهداية الى الصراط المستقيم اجل المطالب ،ونيله أشرف المواهب ، علم الله عباده كيفية سؤاله وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده . ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم . فهاتان وسيلتان الى مطلوبهم توسل اليه بأسمائه وصفاته ، وتوسل اليه بعبوديته . وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء.ويؤيدهما الوسيلتان المذكورتان فى حديثى الاسم الاعظم اللذين رواهما ابن حبان فى صحيحه والامام احمد والترمذى — احدهما — حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله عنه قال سمع النبى ﷺ رجلا يدعو ويقول « اللهم انى أسألك بانى أشهد أنك الله الذى لا اله الا أنت الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » فقال والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الاعظم الذى إذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى » قال الترمذى حديث صحيح .

فهذا توسل الى الله بتوحيده وشهادة الداعى له بالوحدانية وثبوت صفاته المدلول عليها باسم الصمد . وهو كما قال بن عباس رضى الله تعالى عنهما العالم الذى كمل علمه ؛ القادر الذى كملت قدرته ، والسيد الذى قد كمل فيه جميع أنواع السودد وقال سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه هو الكامل فى جميع صفاته وأفعاله وأعماله . وينفى التمثيل والتشبيه عنه بقوله ﴿ ولم يكن له كفوا احد ﴾ وهذه ترجمة عقيدة أهل السنة ، والتوسل

بالايمان بذلك والشهادة به هو الاسم الاعظم . والثانى حديث أنس رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو « اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض ذا الجلال والاكرام ياحى ياقيوم » . فقال لقد سأل الله باسمه الاعظم ، فهذا توسل اليه بأسمائه وصفاته ، وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين وهما التوسل بالحمد والثناء عليه وتمجيده ، والتوسل اليه بعبوديته وتوحيده ؛ ثم جاء سؤال أهم المطالب وانجح الرغائب وهو الهداية بعد الوسيلتين ؛ فالداعى به حقيق بالاجابة .

ونظير هذا دعاء النبى ﷺ الذى كان يدعوا به اذا قام يصلى من الليل ، رواه البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما ؛ اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن . ولك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق والساعة حق ومحمد حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ماقدمت وماأخرت وماأسررت وما أعلنت . أنت الهى لا إله إلا أنت . فذكر التوسل اليه بحمده والثناء عليه وبعبوديته له ثم سأله المغفرة

والفاتحة مشتملة على شفائين . شفاء القلوب وشفاء الابدان فاما اشتمالها على شفاء القلوب فانها اشتملت عليه أتم اشتمال ، فان مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين ؛ فساد العلم وفساد القصد . ويترتب عليها داآن

قاتلان ،وهما الضلال والغضب فالضلال نتيجة فساد العلم والغضب نتيجة فساد القصد وهذان المرضان هما ملاك امراض القلوب جميعها ، فهداية الصراط المستقيم تتضمن الشفاء من مرض الضلال ، ولهذا كان سؤال هذه الهداية افرض دعاء على كل عبد وأوجبه عليه كل يوم وليلة فى كل صلاة لشدة ضرورته وفاقته الى الهداية المطلوبة ، ولا يقوم غير هـذا السؤال مقامه،والتحقيق باياك نعبد واياك نستعين علما ومعرفة وعملا وحالا يتضمن الشفاء من مرض فساد القلب والقصد فان فساد القصد ، يتعلق بالغايات والوسائل فمن طلب غاية منقطعة مضمحلة فانية وتوسل اليها بأنواع الوسائل الموصل اليهـا كان كلا نوعى قصده فاسداً ،وهذا شأن كل من كان غاية مطلوبه غير الله وعبوديته من المشركين ومتبعى الشهوات الذين لا غاية لهم وراءها وأصحاب الرياسات الذين متبعين لاقامة رياستهم باي طريق كان من حق أو باطل ، فاذا جاء الحق معارضاً فى طريق رياستهم طحنوه وداسوه بارجلهم ، فان عجزوا عن ذلك دفعوه دفع الصائل؛ فان عجزوا عن ذلك حبسوه فى الطريق وحادوا عنه إلى طريق اخرى ، وهم مستعدون لدفعه حسب الامكان ، فيالهم من خسارة .

وكذلك من طلب الغاية العليا والمطلب الأعلى ؛ ولكن لم يتوسل اليه بالوسيلة الموصلة اليه ، بل توسل اليه بوسيلة ظنهـا موصلة اليه ، وهى من أعظم القواطع عنه ، فحاله أيضاً كحال هذا وكلاهما فاسد القصد ، ولا شفاء من هذا المرض إلا بدواء ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فان هذا الداء مركب من ستة اجزاء (١) عبودية الله لا

لغيره (٢) بأمره وشرعه (٣) لا بالهوى (٤) ولا بآراء الرجال وأوضاعهم ورسومهم وأفكارهم (٥) والاستعانة على عبوديته به (٦) لا بنفس العبد وقوته وحوله ولا بغيره، فهذه هي أجزاء ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فاذا ركبها الطبيب اللطيف العالم بالمرض واستعملها المريض حصل بها الشفاء التام ؛ وما نقص من الشفاء فهو لفوات جزء من اجزائها .

ثم ان القلب يعرض له مرضان عظيمان إن لم يداركهما تراميا به إلى التلف ولا بد ؛ وهما الرياء والكبر ، فدواء الرياء بإياك نعبد ، ودواء الكبر بإياك نستعين ، فاذا عوفى من مرض الرياء بإياك نعبد ، ومن مرض الكبر والعجب بإياك نستعين ، ومن مرض الضلال والجهل باهدنا الصراط المستقيم ، عوفى من امراضه وأسقامه ، ورفل في أثواب العافية وتمت عليه النعمة ، وكان من المنعم عليهم ، غير المغضوب عليهم ؛ وهم أهل فساد القصد الذين عرفوا الحق وعدلوا عنه ، والضالين وهم أهل فساد العلم الذين جهلوا الحق ولم يعرفوه ، وحق لسورة تشتمل على هذين الدوائين والشفائين أن يستشفى بها من كل مرض ، ولهذا لما اشتملت على هذا الشفاء الذى هو أعظم الشفائين كان حصول الشفاء الادنى بها أولى ؛ كما سنبينه ، فلا شيء أشفى منها للقلوب التى عقلت عن الله وكلامه وفهمت عنه فهما خاصاً ، وهذه السورة تبين الرد على جميع أهل البدع والضلال باوضح البيان وأحسن الطرق .

وأما تضمنها لشفاء الابدان فنذكر منه ماجاءت به السنة وما شهدت به قواعد الطب ودلت عليه التجربة ، وأما مادلت عليه السنة في الصحيح

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن ناساً من أصحاب النبى ﷺ مروا بحى من العرب فلم يقروهم ولم يضيفوهم فلدغ سيد الحى فأتوهم فقالوا هل عندكم من رقية ، أو هل فيكم من راق ، فقالوا نعم ، ولكنكم لم تقرونا فلا نفعل حتى تجعلوا لنا جعلا ، فصالحوا على قطيع من الغنم ، فجعل رجل منا يقرأ عليه بفاتحة الكتاب ، فقام كأن لم يكن به قَلَبَهُ ، فقلنا لا تعجلوا حتى نأتى النبى ﷺ فأتيناه فذكرنا له ذلك ، فقال مايدريك انها رقية ، كلوا واضربوا لى بسهم ، فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه فاغنته عن الدواء ، وربما بلغت من شفائه مالم يبلغه الدواء ، مع كون هذا المحل غير قابل اما لكون هذا الحى غير مسلمين ، أو اهل بخل ولؤم ، فكيف إذا كان المحل قابلا .

وأما شهادة قواعد الطب بذلك فاعلم ان اللدغة تكون من ذوات الحمات والسموم ، وهى ذوات الانفس الخبيثة التى تتكيف بكيفية غضبية تثير فيها سمية نارية يحصل بها اللدغ ، وهى متفاوتة بحسب تفاوت خبث تلك النفوس وقوتها وكيفيتها فهذه النفوس الغضبية الخبيثة إذا اتصلت بالمحل القابل أثرت فيه ، ومنها ما يؤثر فى المحل بمجرد مقابلته له وان لم يمسه ، فمنها مايطمس البصر ويسقط الحبل ، ومن هذا نظر العائن ، فانه إذا وقع بصره على المعين حدثت فى نفسه كيفية سمية أثرت فى المعين بحسب عدم استعداده ، وكونه أعزل من السلاح فاذا قابلت النفس الزاكية العلوية الشريفة التى فيها غضب

وحمية للحق هذه النفوس الخبيثة السمية ، وتكيفت بحقائق الفاتحة واسرارها ومعانيها وما تضمنته من التوحيد والتوكل والثناء على الله وذكر أصول اسمائه الحسنى دفعت هذه النفس بما تكيفت به من ذلك أثر تلك النفس الخبيثة الشيطانية فحصل البرء ، فان مبنى الشفاء والبرء على دفع الضد بضده ، وحفظ الشيء بمثله ، فالصحة تحفظ بالمثل ، والمرض يدفع بالضد ، أسباب ربطها بمسبباتها الحكيم العليم خلقاً وأمراً ، ولا يتم هذا إلا بقوة من النفس الفاعلة وقبول من الطبيعة المنفعلة فلو لم تنفعل نفس الملدوغ لقبول الرقية ولم تقو نفس الراقى على التأثير لم يحصل البرء ، فههنا أمور ثلاثة : موافقة الدواء للداء ، وبذل الطبيب له وقبول طبيعة العليل ، فتى تخلف واحد منها لم يحصل الشفاء ، وإذا اجتمعت حصل ولا بد باذن الله ؛ ومن عرف هذا كما ينبغى تبين له أسباب الرقى ، وميز بين النافع منها وغيره ، ورقى الداء بما يناسبه من الرقى ، وتبين له أن الرقية براقيها وقبول المحل ، كما أن السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع والله تعالى أعلم .

وأما شهادة التجربة بذلك فهى أكثر من أن تذكر ، وذلك فى كل زمان ، وقد جربت أنا من ذلك فى نفسى وفى غيرى أموراً عجيبة ، والامر أعظم من ذلك ، ولكن بحسب قوة الايمان وصحة اليقين والله المستعان .

قال الجامع المعصومى عفى الله تعالى عنه كما جربت انا حينما حبستنى البلاشفة اللادينية ، وحكمت على بالاعدام فنجانى الله تعالى بفضله ،

كما ذكرت نبذة منه فى مختصر ترجمة حالى الذى كنت كتبته مقدمة لتفسير أم القرآن هذا ؛ فليراجع الطالب فانه فيه الكفاية مع عبر كثيرة ، وقد طبع فى مصر عام (١٣٥٦) .

وأما اشتمال الفاتحة على الرد على جميع المبطلين من أهل الملل والنحل والرد على أهل البدع والضلال من هذه الامة ، وهذا يعلم بطريقين مجمل ومفصل ، أما المجمل فهو أن الصراط المستقيم متضمن معرفة الحق وإيثاره وتقديمه على غيره ومحبته والانقياد له والدعوة إليه وجهاد أعدائه بحسب الامكان ، والحق هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه رضى الله تعالى عنهم ، وما جاء به علما وعملا فى باب صفات الرب سبحانه وأسمائه وتوحيده وأمره ونهيه ووعده ووعيده . وفى حقائق الايمان التى هى منازل السائرين الى الله تعالى . وكل ذلك مسلم الى رسول الله ﷺ دون آراء الرجال وأوضاعهم وأفكارهم وإصطلاحاتهم . فكل علم أو عمل أو حقيقة أو حال أو مقام خرج من مشكاة نبوته وعليه السكة المحمدية بحيث يكون من ضرب المدينة فهو من الصراط المستقيم ؛ ومالم يكن كذلك فهو من صراط أهل الغضب والضلال .

واما المفصل فمعرفة المذاهب الباطلة ، وإشتمال كلمات الفاتحة على إبطالها فنقول الناس قسمان مقر بالحق تعالى وجاحد له . فتضمن الفاتحة لاثبات الخالق تعالى والرد على من جحده باثبات ربوبيته تعالى للعالمين وتأمل حال العالم كله علوية وسفلية بجميع أجزائه تجده شاهداً باثبات صانعه وفاطره ومليكه ، فانكار صانعه وجحده في العقول والفطر بمنزلة إنكار العلم بوجود نفسه وجحده لافرق بينهما .

والمثبتون للخالق تعالى نوعان، أهل توحيد وأهل اشراك، وأهل الاشراك نوعان أحدهما أهل الاشراك فى ربوبيته وآلهيته كالمجوس ومن ضاهاهم من القدرية، فانهم يثبتون مع الله خالقاً آخر وإن لم يقولوا انه مكافىء له، فربوبيته العالم كله تبطل أقوال هؤلاء كلهم. لانها تقتضى ربوبيته لجميع مافيه من الذوات والصفات والحركات والافعال. وقد قال تعالى ﴿ وما تشاؤن الا أن يشاء الله ﴾ وفى قوله ﴿ وإياك نستعين ﴾ رد ظاهر عليهم اذ استعانتهم به انما تكون عن شىء هو بيده وتحت قدرته ومشيئته و﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ أيضاً رد عليهم فان الهداية هى المستلزمة لحصول الاهتداء. ولولا انها بيده تعالى دونهم لما سألوه إياها. وهى المتضمنة للارشاد والبيان والتوفيق والاقدار وجعلهم مهتدين. وليس مطلوبهم مجرد البيان والدلالة كما ظنته القدرية. لان هذا القدر وحده لايوجب الهدى، ولا ينجى من الردى، وهو حاصل لغيرهم من الكفار الذين أستحبوا العمى على الهدى وأشتروا الضلالة بالهدى.

والنوع الثانى أهل الاشراك به فى آلهيته، وهم المقرون بانه وحده رب كل شىء ومليكه وخالقه، وأنه ربهم ورب آبائهم الاولين، ورب السموات السبع ورب العرش العظيم، وهم مع هذا يعبدون غيره ويعدلون به سواه فى المحبة والطاعة والتعظيم، وهم الذين اتخذوا من دون الله انداداً فهؤلاء لم يوفوا ﴿ إياك نعبد ﴾ حقه. وان كان لهم نصيب من نعبدك، ولكن ليس لهم نصيب من ﴿ اياك نعبد ﴾ المتضمن معنى لانعبد الا اياك حباً

وخوفاً ورجاء وطاعة وتعظيما. فاياك نعبد تحقيق لهذا التوحيد، وابطال للشرك فى الالهية . كما أن اياك نستعين تحقيق لتوحيد الربوبية وابطال للشرك به . وكذلك قوله ﴿ اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ فانهم أهل التوحيد ، وهم أهل تحقيق ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ واهل الاشراك هم أهل الغضب والضلال .

واعلم أن الله تعالى قسم الناس الى ثلاثة أقسام : منعم عليهم وهم أهل الصراط المستقيم الذين عرفوا الحق واتبعوه ، ومغضوب عليهم وهم الذين عرفوا الحق ورفضوه ، وضالون وهم الذين اخطاؤه وجهلوه . فكل من كان اعرف للحق واتبع له كان أولى بالصراط المستقيم . ولا ريب أن أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم أولى بهذه الصفة من ارواقض ومن شا كلهم من أهل البدع . فانه من المحال أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم جهلوا الحق وعرفه الروافض ونحوهم . ثم انا رأينا آثار الفريقين تدل على أهل الحق منهما فرأينا اصحاب رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الكفر وقلبوها بلاد الاسلام ، وفتحوا القلوب بالقرآن والعلم والهدى . فآثارهم تدل على انهم أهل الصراط المستقيم ورأينا الرافضة والمبتدعة بالعكس فى كل زمان ومكان . فانه قط ماقام للمسلمين عدو من غيرهم الا كانوا اعوانهم على الاسلام . وكم جروا على الاسلام وأهله من بلية ، فاى الفريقين احق بالصراط المستقيم ، وأيهم احق بالغضب والضلال ان كنتم تعلمون . ولهذا فسر السلف الصراط المستقيم وأهله بابى بكر وعمر وأصحاب رسول الله ﷺ ورضى الله عنهم . وهو كما

فسروه فانه صراطهم الذى كانوا عليه . وهو عين صراط نبيهم، وهم الذين أنعم الله عليهم ، وغضب على اعدائهم وحكم لهم بالضلال .

وسر الخلق والامر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى الى هاتين الكلمتين ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ وعليهما مدار العبودية والتوحيد ، والعبادة تجمع أصلين غاية الحب بغاية الذل والخضوع . قلت وانما العبادة عبارة عن الاعتقاد والشعور بان للمعبود سلطة غيبية فوق الاسباب، يقدر بها على النفع والضر فكل دعاء وثناء أو تعظيم يصاحبه هذا الاعتقاد والشعور فهو عبادة . ومشركوا العرب كانوا يقرون بكونه تعالى رباً للعالمين وخالقاً لهم . وهذا هو غاية توحيدهم وهو توحيد الربوبية . ولم يخرجوا به عن الشرك كما قال الله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ الآيات . ولهذا يحتج عليهم به على توحيد آلهيته . وانه لا ينبغي أن يعبد غيره كما أنه لا خالق غيره ولا رب سواه .

والاستعانة تجمع أصلين . الثقة بالله والاعتماد عليه، والتوكل معنى يلتئم من اصلين، من الثقة والاعتماد وهو حقيقة ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ وهذان الاصلان وهو التوكل والعبادة قد ذكرا في القرآن في عدة مواضع قرن بينهما فيها هذا احدها (الثاني) قول شعيب ﷺ ﴿ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب ﴾ (الثالث) قوله تعالى ﴿ ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه ﴾ الرابع قوله تعالى حكاية عن المؤمنين ﴿ ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ﴾ الخامس قوله تعالى ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق

والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴾ السادس قوله تعالى ﴿ قل هو ربى لا إله الا هو عليه توكلت واليه انيب ﴾

وتقديم العبادة على الاستعانة فى الفاتحة من باب تقديم الغايات على الوسائل اذ العبادة غاية العباد التى خلقوا لها والاستعانة وسيلة اليها ولان إياك نعبد متعلق بالوهيته واسمه الله ، وإياك نستعين متعلق بربوبيته واسمه الرب . فقدم إياك نعبد على إياك نستعين كما تقدم اسم الله على الرب فى أول السورة .

اذا عرف هذا فالناس فى هذين الاصلين وهما العبادة والاستعانة اربعة اقسام أجلها وأفضلها اهل العبادة والاستعانة بالله عليها . فعبادة الله غاية مرادهم وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها ولهذا كان من أفضل ما يسأل الرب تعالى الاعانة على مرضاته ، وهو الذى علمه النبى ﷺ لحبه معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه فقال يامعاذ انى لاحبك فلا تنس أن تقول فى دبر كل صلاة اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . فانفع الدعاء طلب العون على مرضاته وافضل المواهب اسعافه بهذا المطلوب وجميع الادعية المأثورة مدارها على هذا وعلى دفع ما يضاده . وعلى تكميله وتيسير أسبابه فتأملها فى ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾ ومقابل هؤلاء القسم الثانى وهم المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة ولا استعانة بل ان سأله احدهم واستعاز به فعلى حظوظه وشهواته لا على مرضات ربه وحقوقه فانه سبحانه يسأله من فى السموات والارض ، يسأله أولياؤه وأعداؤه ويمد هؤلاء وهؤلاء ، وأبغض خلقه

عدوه ابليس ومع هذا فسأله حاجة فاعطاه إياها ومتعه بها ولكن لما لم يكن عونًا له على مرضاته كانت زيادة له فى شقوته وبعده عن الله وطرده عنه ، وهكذا كل من استعان به على أمر وسأله اياه ولم يكن عونا على طاعته كان مبعداً له عن مرضاته قاطعاً له عنه ولا بد وليتأمل العاقل هذا فى نفسه وفى غيره ، وليعلم أن اجابة الله لسائليه ليست لكرامة كل سائل عليه ، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وهى فيها هلاكه وشقوته ويكون قضاؤها له من هوانه عليه وسقوطه من عينه ويكون منعه منها لكرامته عليه ومحبته له فيمنعه حماية وصيانة وحفظاً لا بخلا وهذا انما يفعله بعبده الذى يريد كرامته ومحبته ويعامله بلطفه فيظن بجهله أن الله لا يحبه ولا يكرمه ويراه يقضى حوائج غيره فيسىء ظنه بربه وهذا حشو قلبه ولا يشعر به والمعصوم من عصمه الله ولا يظن أن عطاءه كل ما أعطى لكرامة عبده عليه . ولا منعه كل ما يمنعه لهوان عبده عليه ، ولكن عطاءه ومنعه ابتلاء وامتحان يمتحن بهما عباده ، قال الله تعالى ﴿ فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربى اكرمن ، واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن كلا ﴾ أى ليس كل من أعطيته ونعمته وخولته فقد اكرمته ، وما ذاك لكرامته على ؛ ولكنه ابتلاء منى وامتحان له ، أيشكرنى فاعطيه فوق ذلك . أم يكفرنى فاسلبه اياه واخول فيه غيره ، وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذلك من هوانه على ، ولكنه ابتلاء ومحنة وامتحان منى له أيصبر فاعطيه اضعاف أضعاف ما فاته من سعة الرزق

أم يتسخط فيكون حظه السخط ، فرد الله سبحانه على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة ؛ فقال لم ابتل عبدى بالغنى لكرامته على ، ولم ابتليه بالفقر لهوانه على ، فاخبر ان الاكرام والاهانة لايدوران على المال وسعة الرزق وتقديره ، فانه يوسع على الكافر لا لكرامته ، ويقتر على المؤمن لالاهانته له ، وانما يكرم من يكرمه بمعرفته ومحبته وطاعته ، ويهين من يهينه بالاعراض عنه ومعصيته ، فله الحمد على هذا وهذا وهو الغنى الحميد ، فعادت سعادة الدنيا والآخرة الى ﴿ اياك نعبد واياك نستعين ﴾

والعبد لايكون متحققا باياك نعبد الا باصلين عظيمين ، أحدهما متابعة الرسول ﷺ والثانى الاخلاص للمعبود ، فهذا تحقيق اياك نعبد والناس منقسمون بحسب هذين الاصلين أيضا الى أربعة اقسام أحدها أهل الاخلاص للمعبود والمتابعة وهم أهل اياك نعبد حقيقة ، فاعمالهم كلها لله واقوالهم لله وعطاؤهم لله ومنعهم لله وحبهم لله وبغضهم لله فمعاملتهم ظاهراً وباطنا لوجه الله وحده ، لا يريدون بذلك جزاء من الناس ولا شكوراً ولا ابتغاء الجاه عندهم ، ولا طلب المحمدة والمنزلة فى قلوبهم ؛ ولا هربا من ذمهم . بل قد عدوا الناس بمنزلة اصحاب القبور ، لايملكون لهم نفعا ولا ضراً ولاموتا ولا حياة ولانشورا ؛ فالعمل لاجل هؤلاء وابتغاء الجاه والمنزلة عندهم ورجاؤهم للنفع والضر منهم . لايكون من عارف بهم البتته ، بل من جاهل بشأنهم وجاهل بربه فمن عرف الناس انزلهم منازلهم ومن عرف الله اخلص له اعماله واقواله وعطاءه ومنعه وحبه وبغضه ؛

ولا يعامل أحد الخلق دون الله الا لجهله بالله وجهله بالخلق ، والا فاذا عرف الله وعرف الناس آثر معاملة الله على معاملتهم ؛ ويكون اعمالهم كلها وعباداتهم موافقة لامر الله ولما يحبه ويرضاه . وهذا هو العمل الذى لايقبل الله من عامل سواه ؛ وهو الذى بلى عباده بالموت والحياة لاجله . قال الله تعالى ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا ﴾

قال الفضيل ابن عياض رحمه الله تعالى هو اخلصه واصوبه . قالوا ياأبا على ماأخلصه واصوبه . قال ان العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل ؛ واذا كان صوابا ولم يكن خالصاً لم يقبل . حتى يكون صوابا خالصا والخالص ما كان لله والصواب ما كان على السنة ، وهذا هو المذكور فى قوله تعالى ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ ﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن ﴾ فلا يقبل الله من العمل الا ما كان خالصاً لوجهه على متابعة أمره ؛ وما عدا ذلك فهو مردود على عامله ، وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم « كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد » وكل عمل بلا إقتداء فانه لا يزيد عامله من الله الا بعداً ، فان الله تعالى انما يعبد بامره لا بالآراء والاهواء

والثانى من لا اخلاص له ولا متابعة فليس عمله موافقاً للشرع ولا هو خالصاً للمعبود ، كاعمال المتزينين للناس المرائين لهم بما لم يشرعه الله ورسوله ، وهؤلاء هم شرار الخلق وأمقتهم الى الله عزوجل ؛ ولهم أوفر نصيب من قوله تعالى ﴿ لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم ﴾

يفرحون بما أوتوا من البدعة والضلالة والشرك ، ويحبون أن يحمدوا باتباع السنة والاخلاص ، وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف من المنتسبين الى العلم والفقر والعبادة عن الصراط المستقيم ؛ فانهم يرتكبون البدع والضلالات والرياء والسمعة ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوه من الاتباع والاخلاص والعلم ، فهم أهل الضلال والغضب ،

والثالث من هو مخلص فى أعماله لكنها على غير متابعة الامر كجهال العباد والمنتسبين الى طريق الزهد والفقر ، وكل من عبد الله بغير أمره واعتقده قربة الى الله فهذه حاله ، كمن يظن ان سماع المكاء والتصدية قربة ، وان الخلوة التى يترك فيها الجمعة والجماعة قربة ؛ وان مواصلة صوم النهارين قربة ، وأمثال ذلك

والرابع من أعماله على متابعة الامر لكنها لغير الله كطاعات المرائين ، وكالرجل يقاتل حمية ورياء وشجاعة و يحج ليقال ويقرأ القرآن ليقال ، فهؤلاء أعمالهم أعمال صالحة مأمور بها لكنها غير خالصة فلا تقبل ﴿ وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ﴾ فكل احد لم يؤمر الا بعبادة الله بما أمر ، والاخلاص له فى العبادة ، وهم أهل ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾

واعلم ان الكفر الاكبر خمسة أقسام ، كفر تكذيب وكفر إباء وإستكبار مع التصديق . وكفر إعراض وكفر شك ، وكفر نفاق ، فاما كفر التكذيب فهو باعتقاد كذب الرسل ، وهذا القسم قليل فى الكفار فان الله أيد رسله وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم

ما أقام به الحجة وأزال بها المعذرة قال الله تعالى عن قوم فرعون ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾ وقال لرسوله ﷺ ﴿ فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ وان سمى هذا كفر تكذيب أيضا فصحيح اذ هو تكذيب باللسان

وأما كفر الأباء والاستكبار فنحو كفر ابليس فانه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالانكار ، وانما تلقاه بالاباء والاستكبار . ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول وانه جاء بالحق من عند الله ، ولم ينقل له اباء واستكباراً . وهو الغالب على كفر اعداء الرسل . كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه ﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾ وقول الامم لرسلهم ﴿ ان أنتم الا بشر مثلنا ﴾ وقوله ﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾ وهو كفر اليهود ﴿ فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به ، ويعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴾ وهو كفر أبي طالب أيضاً فانه صدقه ولم يشك فى صدقه ولكن أخذته الحمية وتعظيم آبائه ان يرغب عن ملتهم ويشهد عليهم بالكفر .

وأما كفر الاعراض فان يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغى الى ما جاء به البتة . كما قال أحد بنى ياليل للنبي ﷺ : والله أقول لك كلمة ، ان كنت صادقاً فانت أجل في عيني من ان أرد عليك ، وان كنت كاذباً فانت أحقر من أن اكلمك .

وأما كفر الشك فان لا يجزم بصدقه ولا بكذبه ، بل يشك فى أمره . وهذا لا يستمر شكه الا اذا لزم نفسه الاعراض عن النظر فى

آيات صدقه ﷺ جملة فلا يسمعها ولا يلتفت اليها . وأما مع التفاته اليها ونظره فيها فانه لا يبقى معه شك ؛ لانها مستلزمة للصدق ولا سيما بمجموعها فان دلالتها على الصدق كدلالة الشمس على النهار .

وأما كفر النفاق فهو ان يظهر بلسانه الايمان وينطوى بقلبه على التكذيب ، نعوذ بالله منه ومن جميع انواع الشرك والكفر والضلال .

وكفر الجحود نوعان : كفر مطلق عام، ومقيد خاص ، فالمطلق ان يجحد جملة ما انزل الله وارساله الرسل ، والخاص المقيد ان يجحد فرضاً من فروض الاسلام ، أو محرما من محرماته ، أو صفة وصف الله تعالى بها نفسه ، اوخبراً أخبرالله به ، عمداً أو تقديماً لقول من خالفه عليه بغرض من الأغراض . وأما جحد ذلك جهلا أو تأويلا يعذر فيه صاحبه ، فلا يكفر صاحبه كحديث الذى جحد قدرة الله عليه وأمر أهله ان يحرقوه ويذروه فى الريح ؛ ومع هذا فما تلافاه ان غفر الله له ورحمه بجهله ؛ اذ كان ذلك الذى فعله مبلغ علمه لم يجحد قدرة الله على اعادته عناداً أو تكذيباً .

وأما الشرك فنوعان : اكبر واصغر ، فالاكبر لا يغفره الله الا بالتوبة منه ، وهو ان يتخذ من دون الله نداً يحبه كما يحب الله ، وهو الشرك الذى تضمن تسوية آلهة المشركين برب العالمين ولهذا قالوا لآلهتهم في النار ﴿تالله ان كنا لفى ضلال مبين ، اذ نسويكم برب العالمين﴾ مع اقرارهم بان الله وحده هو خالق كل شيء وربه ومليكه . وان آلهتهم لا تخلق ولا ترزق ولا تحيي ولا تميت ، وانما كانت هذه التسوية فى المحبة والتعظيم والعبادة كما هو حال أكثر مشركى العالم بل كلهم يحبون

معبوديهم ويعظمونها ويوالونها من دون الله ، وكثير منهم بل أكثرهم يحبون آلهتهم أعظم من محبة الله ؛ ويستبشرون بذكرهم أعظم من محبة استبشارهم اذا ذكر الله وحده ، ويغضبون لمنتقص معبوديهم وآلهتهم من المشائخ اعظم مما يغضبون اذا انتقص أحد رب العالمين ؛ واذا انتهكت حرمة من حرمات آلهتهم ومعبوديهم غضبوا غضب الليث اذا حرد . واذا انتهكت حرمات الله لم يغضبوا لها ؛ وقد شاهدنا غير مرة جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر الهه ومعبوده من دون الله على لسانه ان قام وان قعد وان عثر وان مرض وان استوحش فذكر معبوده والهه من دون الله هو الغالب على قلبه ولسانه ؛ وهو لاينكر ذلك ، ويزعم انه باب حاجته الى الله وشفيعه عنده ووسيلته اليه ؛ وهكذا كان عباد الاصنام سواء ، وهذا هو القدر الذى قام بقلوبهم ؛ وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم فأولئك كانت آلهتهم من الحجر . وغيرهم اتخذوها من البشر قال الله تعالى حاكيا عن اسلاف هؤلاء المشركين ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء . مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفي . ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ﴾ والذى فى قلوب هؤلاء المشركين وسلفهم ان آلهتهم تشفع لهم عند الله وهذا عين الشرك ، وقد انكر الله عليهم ذلك فى كتابه وابطله ؛ واخبر ان الشفاعة كلها له ، وانه لايشفع عنده أحد الا لمن اذن الله أن يشفع فيه ورضى قوله وعمله ، وهم أهل التوحيد الذين لم يتخذوا من دون الله شفعاء ؛ والشفاعة التى أثبتها الله ورسوله هى الشفاعة الصادرة عن اذنه لمن وحده

والتي نفاها الله الشفاعة الشركية التي فى قلوب المشركين المتخذين من دون الله شفعاء فيعاملون بنقيض قصدهم من شفاعتهم ويفوز بها الموحدون ، فتأمل قول النبي ﷺ لابى هريرة رضى الله تعالى عنه وقد سأله ، من أسعد الناس بشفاعتك يارسول الله . قال أسعد الناس بشفاعتى من قال لااله الا الله خالصا من قلبه كيف جعل أعظم الاسباب التى تنال بها شفاعته تجريد التوحيد عكس ماعند المشركين ان الشفاعة تنال باتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم من دون الله ، فقلب النبي ﷺ مافى زعمهم الكاذب ، واخبر ان سبب الشفاعة تجريد التوحيد ، فحينئذ يأذن الله للشافع أن يشفع .

ومن جهل المشرك اعتقاده ان من اتخذه ولياً أوشفيعا انه يشفع له وينفعه عند الله كما يكون خواص الملوك والولاة تنفع شفاعتهم من والاهم ، ولم يعلموا ان الله لايشفع عنده أحد الا باذنه ، ولا يأذن فى الشفاعة الالمن رضى قوله وعمله ، كما قال الله تعالى فى الفصل الاول ﴿ من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ﴾ وفى الفصل الثانى ﴿ ولايشفعون الا لمن ارتضى ﴾ وبقى فصل ثالث وهو انه لا يرضى من القول والعمل الا التوحيد واتباع الرسول ، وعن هاتين الكلمتين يسأل الاولين والآخرين كما قال أبو العالية رحمه الله تعالى كلمتان يسأل عنهما الاولون والآخرون . ماذا كنتم تعملون وماذا أجبتم المرسلين فهذه ثلاثة أصول تقطع شجرة الشرك من قلب من وعاها وعقلها .

وترى المشرك يكذب حاله وعمله لقوله فانه يقول لا نحبهم كحب

الله ولا نسويهم بالله ثم يغضب لهم ولحرماتهم اذا انتهكت اعظم مما يغضبه لله ويستبشر بذكرهم ويتبشبش به لاسيما اذا ذكر عنهم ماليس فيهم من اغاثة اللهفات وكشف الكربات وقضاء الحاجات وانهم باب بين الله وبين عباده . ترى المشرك يفرح ويسر ويحن قلبه ويهيج منه لواعج التعظيم والخضوع لهم والموالاة . واذا ذكرت الله وحده وجردت توحيده لحقته وحشة وضيق وحرج قلت كما أخبر الله تعالى عن شأنهم فى سورة الزمر ﴿ واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ﴾ فرماك بانك تنتقص الآلهة التى له وربما عاداك رأينا والله منهم هذا عياناً ، ورمونا بعداوتهم وبغوا لنا الغوائل (قال المعصومى محمد الله ان كان فى المصنف وأمثاله من الدعاة الى توحيد الله لنا اسوة . فقد رأينا ما رأينا من الابتلى) وهؤلاء يقولون تنقصتم مشائخنا وابواب حوائجنا الى الله وقالت النصارى للنبى ﷺ لما قال لهم . ان المسيح عبد الله قالوا تنقصت المسيح وعبته وهكذا قال أشباه المشركين لمن منع اتخاذ القبور أوثانا تعبد وتسجد وامر بزيارتها على الوجه المشروع قالوا تنقصت اصحابها فانظر الى هذا التشابه بين قلوبهم

وقد قطع الله تعالى الاسباب التى تعلق بها المشركون جميعها قطعاً يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله أولياء أو شفيعاً فهو ﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت ﴾ فقال تعالى ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير .

ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له﴾ فالمشرك انما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع والنفع لا يكون الا ممن فيه خصلة من هذه الاربعة اما مالك لما يريده عابده منه . فان لم يكن مالكا لكان شريكا للمالك فان لم يكن شريكا له كان معيناً له وظهيراً فان لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده فنفى سبحانه المراتب الاربع نفيا مترتبا متنقلا من الاعلى الى ما دونه . فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التى يظنها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة باذنه فكفى بهذه الآية نوراً وبرهانا ونجاة وتجريداً للتوحيد وقطعاً لاصول الشرك ومواده لمن عقلها والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ولكن اكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته وتضمنه له ويظنه فى نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذى يحول بين القلب وبين فهم القرآن ولعمر الله ان كان اولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم او دونهم ، وتناول القرآن لهم كتناوله لاولئك ، ولكن الامر كما قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا نشأ فى الاسلام من لا يعرف الجاهلية ، وهذا لانه لم يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن وذمه ، وقع فيه وأقره ؛ ودعا اليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف انه هو الذى كان عليه اهل الجاهلية او نظيره او شر منه او دونه فينقض بذلك عرى الاسلام ، ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفا والبدعة سنة والسنة بدعة ؛ ويكفر الرجل بمحض الايمان وتجريد التوحيد ويبدع بتجريد

متابعة الرسول ومفارقة الاهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا ، والله المستعان .

واما الشرك الاصغر فكثير ، كيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول الرجل للرجل ، ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وانا بالله وبك ، ومالي إلا الله وانت ، وانا متوكل على الله وعليك ، ولولا انت لم يكن كذا ، وقد يكون هذا شركا اكبر بحسب حال قائله ومقصده ، ومن انواع الشرك سجود المريد للشيخ فانه شرك من الساجد والمسجود له ؛ ومن انواعه ركوع المتعممين بعضهم لبعض عند الملاقاة ؛ وهذا سجود في اللغة وبه فسر قوله تعالى ﴿ أدخلوا الباب سجداً ﴾ اى منحنين وإلا فلا يمكن الدخول بالجبهة على الارض ، ومن انواعه حلق الرأس للشيخ فانه تعبد لغير الله ؛ ولا يتعبد بحلق الرأس إلا في النسك لله خاصة ، ومن انواعه التوبة للشيخ فانها شرك عظيم فان التوبة لاتكون إلا لله كالصلاة والصيام والحج والنسك فهي خالص حق الله ، وفي المسند ان النبي ﷺ أتى بأسير فقال اللهم انى اتوب اليك ولا اتوب إلى محمد . فقال النبي ﷺ عرف الحق لاهله ، فالتوبة عبادة لا تنبغي إلا لله كالسجود والصيام ، ومن انواعه النذر لغير الله فانه شرك ؛ وهو أعظم من الحلف بغير الله ؛ ومن انواعه الخوف من غير الله والتوكل على غير الله والعمل لغير الله والانابة والخضوع والذل لغير الله ؛ وابتغاء الرزق من عند غيره .

ومن انواعه طلب الحوائج من الموتى والاستعانة بهم والتوجه

اليهم ، وهذا اصل شرك العالم فان الميت قد انقطع عمله ، وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، فضلا لمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله ان يشفع له إلى الله فيها ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع له عنده ، فانه لا يقدر ان يشفع له عند الله إلا باذنه ، والله لم يجعل استعانته سؤاله سبباً لاذنه ، إنما السبب لاذنه كمال التوحيد ، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الاذن . وهو بمنزلة من استعان فى حاجة بما يمنع حصولها ، وهذه حالة كل مشرك ، والميت محتاج الى من يدعو له ويترحم عليه ويستغفر له ، كما أوصانا النبي ﷺ اذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ونسأل العافية والمغفرة فعكس المشركون هذا وزاروهم زيارة عبادة واستقضاء الحوائج والاستعانة بهم ، وجعلوا قبورهم أوثاناً تعبد وسموا قصدها حجاً ، وهؤلاء هم أعداء الرسل والتوحيد فى كل زمان ومكان وما اكثر المستجيبين لهم .

وأما النفاق فالداء العضال الباطنى الذى يكون الرجل ممتلئا منه وهو لا يشعر ، فانه أمر خفى على الناس . وكثيراً ما يخفى على من تلبس به فيزعم انه مصلح وهو مفسد . وهو نوعان أكبر وأصغر فالاكبر يوجب الخلود فى النار فى دركها الاسفل ، وهو أن يظهر للمسلمين ايمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وهو فى الباطن منسلخ من ذلك مكذب به ، وقد هتك الله تعالى أستار المنافقين وكشف أسرارهم فى القرآن ، وجلى لعباده أمورهم ليكونوا منها وعن أهلها على حذر . وذكر

طوائف العالم الثلاثة فى أول سورة البقرة المؤمنين والكفار والمنافقين فذكر فى المؤمنين أربع آيات ، وفى الكفار آيتين ، وفى المنافقين ثلاث عشرة آية لكثرتهم وعموم الابتلاء بهم . وشدة فتنتهم على الاسلام وأهله . فان بلية الاسلام بهم شديدة جداً . فانهم منسوبون اليه ، الى نصرته وموالاته وهم أعداؤه فى الحقيقة يخرجون عداوته فى كل قالب يظن الجاهل انه علم واصلاح ، وهو غاية الجهل والافساد انتهى ملخصاً ماذكره ابن القيم فى منازل السائرين .

قال الجامع المعصومى حفظه الله تعالى ورزقه حسن الخاتمة ، انما أكثرنا الكلام فى شأن ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ لانه أهم مابعث به المرسلون عموما . وسيدنا محمد ﷺ خصوصاً . وفيه قد زلت الافكار واشتبه على الاكثر حقيقته ، لهذا زاغوا وطاغوا فضلوا وأضلوا ولذا أتينا بما استطعنا من البيان والتوفيق والهداية من الله الوهاب . فيا ربنا أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ؛ وأرنا الباطل باطلا وارزقنا إجتنابه ، فلذلك أردف الله تعالى ذلك بالامر بطلب الهداية فها نحن نطلب من الله تعالى الهداية الى الصراط المستقيم ﴿ صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

قال الله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ أى انه تعالى قد وضع لنا صراطاً سيبينه ويوضحه ويحدده ، وتكون السعادة في الاستقامة عليه ، والشقاء فى الانحراف عنه . وهذه

الاستقامة عليه هي روح العبادة . ويشبه هذا قوله تعالى ﴿ والعصر ان الانسان لفي خسر ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ فالتواصي بالحق وبالصبر هو كمال العبادة بعد التوحيد.

والهداية لغة الدلالة بلفظ على ما يوصل الى المطلوب وقد منح الله تعالى الانسان أربع هدايات يتوسل بها إلى سعادته . أولها : هداية الوجدان الطبيعي والالهام الفطري ، وتكون الاطفال منذ ولادتهم ، فان الطفل بعد ما يولد يشعر بألم الحاجة إلى الغذاء فيصرخ طالباً بفطرته وعندما يصل إلى الثدي فيه يلهم امتصاصه، الثانية هداية الحواس والمشاعر وهي متممة للهداية الاولى في الحياة الحيوانية ، ويشارك الانسان فيها الحيوان الاعجم ، بل هو فيها اكمل من الانسان ، فان حواس الحيوان والهامه يكملان له بعد ولادته بقليل ، بخلاف الانسان فان ذلك يكمل فيه بالتدريج في زمن غير قصير . الا تراه عقب الولادة لا تظهر عليه علامات إدراك الاصوات والمرئيات . ثم بعد مدة يبصر ، ولكنه لقصر نظره يجهل تحديد المسافات فيحسب البعيد قريباً فيمد يديه اليه ليتناوله ، وان كان قمر السماء ، ولا يزال يغلط حسه حتى في طور الكمال . الثالثة هداية العقل ، خلق الانسان ليعيش مجتمعاً ولم يعط من الالهام والوجدان ما يكفي مع الحس الظاهر لهذه الحياة الاجتماعية كما أعطى النحل والنمل فان الله قد منحها من الالهام ما يكفيها لان تعيش مجتمعة يؤدي كل واحد منها وظيفة العمل لجميعها ، ويؤدي الجميع وظيفة العمل الواحد وبذلك قامت حياة انواعها كما هو مشاهد . أما الانسان فلم يكن من خاصة نوعه

أن يتوفر له مثل ذلك الالهام . فحباه الله تعالى هداية هى أعلى من هداية الحس والالهام ، وهى العقل الذى يصحح غلط الحواس والمشاعر ويبين اسبابه . وذلك ان البصر يرى الكبير على البعيد صغيراً . ويرى العود المستقيم فى الماء معوجا . والصفراوي يذوق الحلو مراً ، والعقل هو الذى يحكم بفساد هذه الادراك .

الرابعة هداية الدين ، قد يغلط العقل فى ادراكه كما تغلط الحواس وقد يهمل الانسان استخدام حواسه وعقله فيما فيه سعادته الشخصية والنوعية ، ويسلك بهذه الهدايات مسالك الضلال فيجعلها مسخرة لشهواته ولذاته حتى توردهه موارد الهلكة ، فاذا وقعت المشاعر فى مزالق الزلل واسترقت الحظوظ والاهواء العقل فصار يستنبط لها ضروب الحيل ، فكيف الانسان مع ذلك أن يعيش سعيداً ، وهذه الحظوظ والاهواء ليس لها حد يقف الانسان عنده ، وما هو بعائش وحده ، وكثيراً ما تتطاول به إلى ما فى يد غيره ، فهى لهذا تقتضى أن يعدو بعض أفراده على بعض فيتنازعون ويتدافعون ويتجادلون ويتجالدون ويتواثبون ويتناهبون حتى يفنى بعضهم بعضا . ولا تغنى عنهم تلك الهدايات شيئا فاحتاجوا الى هداية ترشدهم فى ظلمات اهوائهم اذا هى غلبت على عقولهم . وتبين لهم حدوداً أعمالهم ليقفوا عندها . ويكفوا ايديهم عما وراءها . ثم ان مما أودع فى غرائز الانسان الشعور بسلطة غيبية متسلطة على الاكوان ينسب اليها كل ما لا يعرف له سبب لانها هي الواهبة كل

موجود مابه‌قوام وجوده . وبان له حياة وراء هذه الحياة المحدودة . فهل يستطيع أن يصل بتلك الهدايات الثلاث الى تحديد مايجب عليه لصاحب تلك السلطة الذى خلقه وسواه ووهبه هذه الهدايات وغيرها . ومافيه سعادته فى تلك الحياة الثانية . كلا انه فى أشد الحاجة الى هـذه الهداية الرابعة . الدين . وقد منحه الله تعالى إياه .

أشار القرآن الى انواع الهداية التى وهبها الله تعالى للانسان فى آيات كثيرة . منهـا قوله تعالى ﴿ وهديناه النجدين ﴾ اى طريق السعادة والشقاوة والخير والشر . وهذه تشتمل هداية الحواس الظاهرة والباطنة وهداية العقل وهداية الدين . ومنها قوله تعالى ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ اى دللناهم على طريق الخير والشر فسلكوا سبيل الشر المعبر عنه بالعمى ، وهنا هداية أخرى وهى المعبر عنها بقوله تعالى ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ ليس المراد من هذه الهداية ماسبق ذكره فالهداية فى الآيات السابقة بمعنى الدلالة وهى بمنزلة إيقاف الانسان على رؤس الطريقين : المهلك والمنجى مع بيان مايؤذى كل منهما . وهى ما تفضل الله به على جميع أفراد البشر . وأما هـذه الهداية فهى أخص من تلك . والمراد بها إعانتهم وتوفيقهم للسير فى طريق الخير والنجاة مـع الدلالة : وهى لم تكن ممنوحة لكل احد كالحواس والعقل وشرع الدين :

ولما كان الانسان عرضة للخطأ والضلال فى فهم الدين . وفى إستعمال الحواس والعقل كما قدمنا كان محتاجاً الى المعونة الخاصة . فامرنا الله تعالى

بطلبها منه تعالى فى قوله ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ فمعنى إهدنا الصراط المستقيم دلنا دلالة تصحبها معونة غيبية من لدنك تحفظنا بها من الضلال والخطأ . وما كان هذا أول دعاء علمنا الله تعالى إياه الا لان حاجتنا اليه اشد من حاجتنا الى كل شيء سواه

ويجاب عن التناقض الظاهرى فى قوله تعالى ﴿ وانك لتهدى الى صراط مستقيم ﴾ وقوله تعالى ﴿ انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاه ﴾ فالهداية التى أثبتها للنبى ﷺ هى الدلالة على الخير والحق . والتى نفاها عنه هى الثانية بمعنى الاعانة والتوفيق .

والصراط هو الطريق . والمستقيم هو ضد المعوج . وقد قالوا ان المراد بالصراط المستقيم الدين او الحق أو العدل والحدود ، ونحن نقول انه جملة ما يوصلنا الى سعادتى الدنيا والآخرة من عقائد وآداب وأحكام وتعاليم . ولكن الشهوات تتلاعب ، فلهذا صرنا محتاجا أشد الاحتياج إلى العناية الالهية الخاصة لاجل الاستقامة ، ولهذا نبهنا الله عز وجل أن نلجأ اليه ونسأله الهداية ليكون عونا لنا بنصرنا على أهوائنا وشهواتنا ، وأن تكون استعانتنا به فى ذلك لا بسواه ، بعد أن نبذل ما نستطيع من الفكر والجهاد فى معرفة ما أنزل الينا من الشريعة والاحكام وأخذ أنفسنا بما نعلم من ذلك . كما فى تفسير الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى .

ولما طلب العبد الاستعانة بالله كأنه قيل له ما أهم ما تستعين به ؛ فقال العبد ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ والهداية الدلاله بلطف ؛

والصراط المستقيم يراد به هنا الطريق الوسط ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وهم عظماء كل ملة أى سماوية واشرافها ، أو الذين أنعمت عليهم من الامم وهم المسلمون ، وعمدته علوم الاخلاق ؛ العفة التى هى وسط بين الوقوع فى الشهوات والفسق والفجور ؛ و بين الجمود والبخل والامساك والشح ، والشجاعة التى هى الوسط بين التهور والطيش والظلم و بين الجبن والخوف والحزن والجزع ، والحكمة وهى الوسط بين الجهل والغباوة والبلادة ؛ و بين المكر والخداع والاحتيال والطيش فى الآراء ، والعدل وهو المساواة بين هذه الامور ، وفرع العلماء على هذه الامور فروعاً شتى تربو على المائة ، وكلها داخلة فى الصراط المستقيم وهو الوسط ، وما جاوز الوسط فاما إلى زيادة فهو التهور والطيش والتبذير وما أشبهها ، وأما إلى النقص كالجبن والبخل والخوف وما أشبهها ، والاسلام وسط فى كل ذلك ، أفاده الجوهرى الطنطاوي عافاه الله .

قال العلامة ابن كثير فى تفسيره الشهير ، لما تقدم الثناء على المسئول تبارك وتعالى ناسب أن يعقب بالسؤال كما قال « فنصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ماسأل » وهذا أكمل احوال السائل ان يمدح مسئوله ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المسلمين بقوله ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ لانه انجح للحاجة وانجع للاجابة ، ولهذا أرشد الله اليه لانه الاكمل ، والهداية ههنا الارشاد والتوفيق ، وقد تعدى الهداية بنفسها كما هنا ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ فتضمن معنى الهمنا او وفقنا او

ارزقنا او اعطنا ﴿وهديناه النجدين﴾ أي بينا له الخير والشر ، وقد تعدى بالى كقوله تعالى ﴿ اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم ﴾ ﴿ فاهدوهم إلى صراط الجحيم ﴾ وذلك بمعنى الارشاد والدلالة ؛ وكذلك قوله تعالى ﴿ انك لتهدى إلى صراط مستقيم ﴾ وقد تعدى باللام كقول اهل الجنة ﴿ الحمد لله الذى هدانا لهذا ﴾ اى وفقنا لهذا واجعلناله اهلا .

واما الصراط المستقيم فقد قال الامام ابوجعفر بن جرير رحمه الله تعالى اجمعت الامة من اهل التأويل جميعاً على ان الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذى لااعوجاج فيه ؛ وذلك فى لغة جميع العرب ، واختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف فى تفسير الصراط ، وان كان يرجع حاصلها الى شىء واحد ، وهو المتابعة لله ولرسوله ، فروى انه كتاب الله ، قال ابن ابى حاتم بسنده عن على ابن ابى طالب رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ الصراط المستقيم كتاب الله ، وكذلك رواه ابن جرير ، وروى أحمد والترمذى عن على رضى الله تعالى عنه مرفوعا ﴿ وهو حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم ؛ وهو الصراط المستقيم ﴾ وقيل هو الاسلام ، قال الضحاك عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال جبريل لمحمد عليهما السلام . قل يامحمد اهدنا الصراط المستقيم . يقول الهمنا الطريق الهادي وهو دين الله الذى لااعوجاج فيه وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال ذاك الاسلام ؛ وعن ابن مسعود وعن اناس من أصحاب الرسول ﷺ ﴿ اهدنا الصراط المستقيم قالوا هو الاسلام ، وقال جابر رضى الله تعالى عنه ﴿ اهدنا الصراط

المستقيم ﴾ قال هو الاسلام أوسع مما بين السماء والارض وقال محمد بن الحنفية رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال هو دين الله الذى لا يقبل من العباد غيره ، وروى الامام احمد فى مسنده بسنده عن النواس بن سمعان رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ؛ وعلى جنبى الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة ، وعلى الابواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا ، وداع يدعو من فوق الصراط ، فاذا أراد الانسان ان يفتح شيئا من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه ؛ فانك ان تفتحه تلجه ، فالصراط الاسلام والسوران حدود الله والابواب المفتحة محارم الله ، وذاك الداعى على رأس الصراط كتاب الله ، والداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم وهكذا رواه ابن ابى حاتم والترمذى وابن جرير والنسائى جميعاً باسناد حسن صحيح والله اعلم .

وقال مجاهد رحمه الله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال الحق وهذا أشمل ، وعن ابى العالية ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ قال هو النبى ﷺ وصاحباه من بعده وقال عاصم فذكرت ذلك للحسن فقال صدق ابو العالية ونصح وكل هذه الاقوال صحيحة ، وهى متلازمة . فان من اتبع النبى ﷺ واقتدى باللذين من بعده أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما فقد اتبع الحق ومن اتبع الحق فقد اتبع الاسلام ، ومن اتبع الاسلام فقد اتبع القرآن وهو كتاب الله وحبله المتين ، وصراطه المستقيم ، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضا . ولله الحمد .

وقال الامام الطبراني بسنده عن عبدالله رضى الله تعالى عنه قال الصراط المستقيم الذى تركنا عليه رسول الله ﷺ ولهذا قال الامام أبو جعفر بن جرير: والذى هو أولى بتأويل هذه الآية عندى اعنى اهدنا الصراط المستقيم أن يكون معنياً به وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له من أنعمت عليه من عبادك من قول وعمل ، وذلك هو الصراط المستقيم لأن من وفق لما وفق له من انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فقد وفق للاسلام وتصديق الرسل والتمسك بالكتاب والعمل بما أمره الله به والانزجار عما زجره عنه ، واتباع منهاج النبي ﷺ ومنهاج الخلفاء الاربعة وكل عبد صالح ، وكل ذلك من الصراط المستقيم .

فان قيل كيف يسأل المؤمن الهداية فى كل وقت من صلاة وغيرها ، وهو متصف بذلك . فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا ؟ فالجواب ان لا ؛ ولولا احتياجه ليلا ونهاراً إلى سؤال الهداية لما أرشده الله تعالى إلى ذلك ، فان العبد مفتقر فى كل ساعة وحالة إلى الله تعالى فى تثبيته على الهداية ورسوخه فيها وتبصره وازدياره منها واستمراره عليها ، فان العبد لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، فارشده الله تعالى إلى أن يسأله فى كل وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق ، فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله ،فانه تعالى قد تكفل باجابة الداعى إذا دعاه ،ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر اليه آناء الليل واطراف النهار . وقد قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله ، والكتاب الذى انزل من قبل ﴾ الآية. فقد أمر الذين آمنوا بالايمان

وليس ذلك من باب تحصيل الحاصل لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الاعمال المعينة على ذلك . وقال تعالى آمراً لعباده المؤمنين أن يقولوا ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ وقد كان الصديق رضى الله تعالى عنه يقرأ بهذه الآية فى الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سراً . فمعنى قوله تعالى ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ أى استمر بنا عليه ولا تعدل بنا إلى غيره .

قال الامام البغوى فى تفسيره ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ اهدنا أرشدنا . وقال علىّ وأبىّ بن كعب رضى الله تعالى عنهما ثبتنا ، كما يقال للقائم قم حتى أعود اليك . أى دم على ما أنت عليه . وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت ، وبمعنى طلب مزيد الهداية لأن الالطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى . الخ .

وقال العلامة ناصر الدين البيضاوى فى تفسيره : والهداية دلالة بلطف ، وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا لا يحصيها عد ، ولكنها تنحصر فى اجناس مترتبة ، الأول افاضة القوى التى بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثانى نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه اشار حيث قال ﴿وهديناه النجدين﴾ ﴿واما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله ﴿وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا .وان هذا القرآن

يهدى للتى هى اقوم ﴾ الرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هى بالوحى والالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله ﴿ اولئك الذين هدى الله فبداهم اقتده ﴾ ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾

وان قالوا ان المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى ولـكن المتجه ان يقال المغضوب عليهم العصاة والضالون الجاهلون بالله لان المنعم عليه من جمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به وكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى فى القاتل عمداً ﴿ وغضب الله عليه ﴾ والمخل بالعقل جاهل ضال لقوله تعالى ﴿ فماذا بعد الحق الا الضلال ﴾

وقال العلامة الراغب الاصفهانى فى كتابه مفردات غريب القرآن هداية الله تعالى للانسان على اربعة اوجه . الاول الهداية التى عم بجنسها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية التى اعم منها كل شيء بقدر فيه حسب احتماله كما قال ﴿ ربنا الذى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ الثانى الهداية التي جعل للناس بدعائه اياهم على السنة الانبياء وانزال القرآن ونحو ذلك وهو المقصود بقوله تعالى ﴿ وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا ﴾ الثالث التوفيق الذى يختص به من اهتدى وهو المعنى بقوله تعالى ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى ﴾ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾ وان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم . والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى فهدى الله

الذين امنوا . والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ الرابع الهداية في الاخرة الى الجنة المعنى بقوله تعالى ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا ﴾ وهذه الهدايات الاربع مرتبة . فان من لم تحصل له الاولى لا تحصل له الثانية بل لا يصح تكليفه ومن لم تحصل له الثانية لا تحصل له الثالثة والرابعة . ومن حصل له الربع فقد حصل له الثلاث التى قبلها . ومن حصل له الثالث فقد حصل له اللذان قبله . ثم ينعكس فقد تحصل الاولى ولا يحصل له الثانى ولا الثالث . والانسان لا يقدر ان يهدى احداً الا بالدعاء وتعريف الطرق دون سائر انواع الهدايات والى الاولى اشار بقوله تعالى ﴿ وانك لتهدى الى صراط مستقيم يهدون بامرنا . ولكل قوم هاد ﴾ اى داع والى سائر الهدايات اشار بقوله تعالى ﴿ انك لا تهدى من احببت ﴾ وكل هداية ذكر الله تعالى انه منع الظالمين والكافرين فهى الهداية الثالثة . وهي التوفيق الذى يختص به المهتدون . والرابعة التى هى الثواب فى الآخرة وإدخال الجنة نحو قوله تعالى ﴿ كيف يهدى الله قوماً الى قوله : والله لا يهدى القوم الظالمين ﴾ وكل هداية نفاها الله تعالى عن النبي ﷺ وعن البشر وذكر انهم غير قادرين عليها فهى ماعدا المختص من الدعاء وتعريف الطريق ، وذلك كاعطاء العقل والتوفيق وادخال الجنة كقوله عز وجل ﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى . وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل ومن يضلل الله فماله من هاد . ومن يهد الله فماله من مضل ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار ﴾

الكاذب الكفار هو الذى لايقبل هدايته ، فمن لم يقبل هدايته لم يهده كقولك ، من لم يقبل هديتى لم اهدله ومن لم يقبل عطيتى لم أعطه ، ومن رغب عنى لم ارغب فيه ، وعلى هذا النحو ﴿ والله لا يهدى القوم الظالمين

ولما كانت الهداية والتعليم يقتضى شيئين تعريفاً من المعرف وتعرفا من المعرف وبهما تم الهداية والتعلم ، فانه متى حصل البذل من الهادى والمعلم ولم يحصل القبول صح ان يقال لم يهد ولم يعلم إعتباراً بعدم القبول . وصح ان يقال هدى وعلم إعتباراً ببذله ، فاذا كان كذلك صح ان يقال ان الله لم يهدى الكافرين والفاسقين من حيث لم يحصل القبول الذى هو تمام الهداية والتعليم ؛ وصح أن يقال هداهم وعلمهم من حيث أنه حصل البذل الذى هو مبدأ الهداية ، فعلى الاعتبار الاول صح أن يحمل قوله تعالى ﴿ والله لا يهدى القوم الظالمين والكافرين ﴾ وعلى الثانى قوله عز وجل ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ وقوله تعالى ﴿ إهدنا الصراط المستقيم ﴾ فقد قيل عنى به الهداية العامة التى هى العقل وسنة الانبياء . وأمرنا أن نقول ذلك بالسنتنا ، وان كان قد فعل ليعطينا بذلك ثواباً كما أمرنا أن نقول: اللهم صل على محمد ، وان كان قد صلى عليه بقوله ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبى ﴾ وقيل ان ذلك دعاء بحفظنا عن استغواء الغواة واستهواء الشهوات ، وقيل هو سؤال التوفيق وقيل سؤال للهداية إلى الجنة فى الآخرة . وقوله تعالى ﴿ وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل عملا صالحاً ثم اهتدى ﴾ ومعناه ثم أدام طلب الهداية ولم يفر عن تحريه ولم يرجع إلى المعصية . الخ .

وقد قال الله تعالى ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً ، فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا وكذبو بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ قال أبو العالية الهدى الانبياء والرسل والبينات والبيان . قال مقاتل بن حيان الهدى محمد ﷺ . وقال الحسن الهدى القرآن . وهذان القولان صحيحان . وقول أبى العالية اعم . كما افاده العلامة ابن كثير فى تفسيره .

وفي المجلد الرابع من مجموعة التوحيد النجدية : صراط الذين انعمت عليهم ، وهم أصحاب رسول الله ﷺ وهم السابقون الأولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله تعالى عنهم ورضوا عنه وهم الذين بايهم اقتديتم اهتديتم .

وقال العلامة ابن تيمية فى رسالة المعجزات ، قال ابو على الجوزجانى رحمه الله تعالى ، كن طالباً للاستقامة لا طالباً للكرامة ، فان نفسك منجبلة على طلب الكرامة ، وربك يطلب منك الاستقامة ، قال الشيخ السهروردى فى عوارفه ، وهذا اصل عظيم كبير فى الباب ، وسر غفل عن حقيقته كثير من اهل السلوك والطلاب .

وقال الحافظ زين الدين ابو الفرج ابن رجب الحنبلى فى كتابه ، المحجة فى سير الدلجة ، قال ذوالنون (وهو من اكابر الزاهدين) السفلة من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه ، والطريق إلى الله هو سلوك صراطه المستقيم الذي بعث الله به محمداً ﷺ وانزل به كتابه وامر الخلق كلهم بسلوكه والسير فيه ؛ وقال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه

الصراط المستقيم ، ما تركنا عليه محمد ﷺ فيه طرفه فى الجنة ؛ وعن يمينه طرق وعن يساره طرق فمن سلك فى أحد منهـا انتهت به إلى النار ، ثم قرأ ﴿ وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ خرجه بن جرير وغيره ؛ فالطريق الموصل إلى الله واحد وهو صراطه المستقيم ؛ و بقية السبل كلها سبل الشيطان .

وقد نبه الله تعالى فى أول سورة البقرة أن الكتاب الحق الذى ﴿ لاريب فيه ﴾ وهو ﴿ هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ قال العلامة الامام الفخر الرازى فى مفاتيح الغيب ﴿ الصراط المستقيم وهو الحق وهو التوسط والاقتصاد فى الاعتقادات وفى الاعمال ، لان من توغل فى التنزيه وقع فى التعطيل ونفى الصفات ، ومن توغل فى الاثبات وقع فى التشبيه وإثبات الجسمية والمكان ، فهما طرفان معوجان ؛ والصراط المستقيم الاقرار الخالى عن التعطيل والتشبيه ، ولان من قال أن فعل العبد كله منه فقد وقع فى القدر ، ومن قال لا فعل للعبد فقد وقع فى الجبر ، وهما طرفان معوجان والصراط المستقيم إثبات الفعل للعبد مع الاقرار بان الكل بقضاء الله ، وأما فى الاعمال فمن وقع وبالغ فى الاعمال الشهوانية وقع فى الفجور ومن بالغ فى تركها وقع فى الجمود ، والصراط المستقيم هو الوسط وهو العفة ، وأيضاً من بالغ فى الاعمال الغضبية وقع فى التهور ، ومن بالغ تركها وقع فى الجبن ، والصراط المستقيم وهو الوسط وهو الشجاعة

والله عز وجل وصف الصراط المستقيم بصفتين ايجابية وسلبية اما الايجابية فكون ذلك الصراط صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . وأما السلبية فهي ان تكون بخلاف صراط الذين فسدت قواهم العملية بارتكاب الشهوات حتى استوجبوا غضب الله عليهم ، وبخلاف صراط الذين فسدت قواهم النظرية حتى ضللوا عن العقائد الحقة والمعارف اليقينية ، قال المعصومى كغالب من يعتقد أن الارواح متصرفة أو إنها عالمة للغيب ، وكمن ينذر الى المشائخ أو ضرائحهم ويستمد منهم فى قضاء حوائجه كأكثر من يبتدع فى الدين بدعة كمن يجهر مجتمعا بالاذكار الغنائية ، أو اداء فرض صلاة الظهر بعد اداء صلاة الجمعة احتياطا ، أو منع المريد من النفي والاثبات (لا إله إلا الله) وتلاوة القرآن وطلب العلم والتفسير والحديث فى أوائل حاله ، وأمره بتكرار كلمة الجلالة مفردة (الله الله) وأمره بتصور صورة الشيخ عند الذكر والمراقبة ويسمونه مرابطة ، وأمثال ذلك .

قال بعضهم انه لما قال ﴿ اهدنا الصراط المستقيم لم يقتصر عليه بل قال ﴿ صراط الذين انعمت عليهم ﴾ وهذا يدل على ان المريد لاسبيل له الى الوصول إلى مقامات الهداية والمكاشفة الا اذا أقتدى بشيخ يهديه الى سواء السبيل ويعلمه ويجنبه عن مواقع الاغاليط والاضاليل وذلك لان النقص غالب على اكثر الخلق ، وعقولهم غير وافية بادراك الحق وتمييز الصواب عن الغلط ، فلا بد من كامل يقتدي به الناقص حتى يتقوى عقل ذلك الناقص بنور عقل ذلك الكامل فحينئذ يصل الي

مدارج السعادات ومعارج الكمالات .

واعلم ان أهل الدنيا فريقان ، أحدهما الذين لايعبدون الا الله ولا يستعينون الا بالله ، ولا يطلبون الاغراض والمقاصد الا من الله ؛ والفرقة الثانية : الذين يخدمون الخلق ويستعينون بهم ويطلبون الخير منهم ، فلا جرم يقول العبد إلهى اجعلنى فى زمرة الفرقة الأولى وهم الذين انعمت عليهم بهذه الانوار الربانية ، ولا تجعلنى من زمرة الفرقة الثانية وهم المغضوب عليهم والضالون ، وهم الفساق والكفرة فان متابعة هذه الفرقة لا تفيد الا الخسار والهلاك . كما قال ابراهيم عليه السلام ﴿ لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئاً ﴾

وقد بين العلماء والحكماء ان فى كل خلق من الاخلاق طرفى افراط وتفريط وهما مذمومان ، والحق هو الوسط ، ويتأكد ذلك بقوله تعالى ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ وذلك الوسط هو العدل والصواب فالمؤمن بعد ان عرف الله بالدليل صار مؤمناً مهتدياً . أما بعد حصول هذه الحالة فلابد من معرفة العدل الذى هو الحد بين طرفى الافراط والتفريط فى الاعمال الشهوانية والغضبية وفى كيفية انفاق المال فالمؤمن يطلب من الله تعالى أن يهديه إلى الصراط المستقيم الذى هو الوسط . والله تعالى يقول ﴿ وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم، صراط الله الذى له مافى السموات وما فى الارض ﴾ وقال أيضاً ﴿ وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ﴾ وذلك الصراط المستقيم هو أن يكون الانسان معرضاً عما سوى الله عزوجل مقبلا بكلية قلبه وفكره وذكره إلى الله فأمرنا الله تعالى أن نطلبه قائلا

﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ وللانسان يكون أعداء وأحباب والشيطان في طرف فيتحير فيطلب عند ذلك من الله الهداية إلى الصراط المستقيم. وهو الذى لا غلط فيه ، بل هو بين التعطيل والتشبيه والجبر والقدر والارجاء والوعيد والرفض والخروج ، والصراط المستقيم هو الاسلام ودليله القرآن ، وانما قال الصراط ولم يقل الطريق أو السبيل وان كان معنى الكل واحداً ليكون لفظ الصراط مذكراً لصراط جهنم ، فيكون الانسان على مزيد خوف وخشية ، واهدنا أى ثبتنا على الهداية التى وهبتها منا . ونظيره قوله تعالى ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ﴾ أى ثبتنا على الهداية . فكم من عالم وقعت له شبهة ضعيفة فى خاطره فزاغ وضل وانحرف عن الدين القويم والمنهج المستقيم .

انا نرى أهل العالم مختلفين فى النفى والاثبات فى جميع المسائل الآلهية . وفى جميع مسائل النبوات وفى جميع مسائل المعاد ، والشبهات غالبة والظلمات مستولية . ولم يصل إلى كنه الحق الا الاقل القليل وقد حصلت هذه الحالة مع استواء الكل فى العقول والأفكار والبحث الكثير والتأمل الشديد . فلو لا هداية الله تعالى وعنايته واعانته ، وانه يزين الحق فى عين عقل الطالب ويقبح الباطل فى عينه كما قال ﴿ ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم ، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ﴾ فاهدنا الصراط المستقيم اشارة إلى هذه الحالة ، ويدل أيضاً أن المبطل لا يرضى بالباطل . وانما طلب الحق والدين المتين والقول الصحيح . فلو كان الامر باختياره (ومقتضى عقله) لوجب أن لا يقع أحد فى الخطأ . ولما

رأينا الاكثرين غرقوا فى بحر الضلالات ؛ علمنا أن الوصول إلى الحق ليس إلا بهداية الله تعالى . ومما يقوى ذلك ان كل الملائكة والانبياء اطبقوا على ذلك . كما قال ابراهيم عليه السلام ﴿ لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين ﴾

قال العلامة ولى الله الدهلوى فى كتابه حجة الله البالغة : ان من أسباب الزيغ والخروج عن الصراط المستقيم التشدد ، وحقيقته اختيار عبادات شاقة لم يأمر بها الشارع كدوام الصيام والقيام والتبتل وترك التزوج . وان يلتزم السنن والآداب كالتزام الواجبات . وهو حديث نهى النبى ﷺ عبد الله بن عمر وعثمان بن مظعون رضى الله تعالى عنهما عما قصدا من العبادات الشاقة وهو قوله ﷺ « لن يشاد الدين أحد إلا غلبه » فاذا صار هذا المتشدد أو المتعمق معلم قوم ورئيسهم ظنوا أن هذا أمر الشرع ورضاه . وهذا داء رهبان اليهود والنصارى . ومنها تقليد غير المعصوم ، اعنى غير النبى الذى ثبتت عصمته واعتقاد أنه على الاصابة قطعاً أو غالباً فيردوا به حديثاً صحيحاً . وهذا التقليد غير ما اتفق عليه الأئمة المرحومة ؛ فانهم اتفقوا على جواز التقليد للمجتهدين مع العلم بان المجتهد يخطئ ويصيب . فاذا ظهر حديث صحيح خلاف ما قلد فيه ترك التقليد واتبع الحديث . ومنها خلط ملة بملة حتى لا تتميز واحدة من الاخرى ، وذلك أن يكون الانسان في دين من الاديان تعلق بقلبه علوم تلك الاديان ، ثم يدخل فى الملة الاسلامية فيبقى ميل قلبه إلى ما تعلق به من قبل ، فيطلب لاجله وجهاً فى هذه الملة ولو ضعيفاً أو موضوعاً ، وربما

جوّز الوضع رواية الموضوع لذلك وهو قوله ﷺ « لم يزل أمر بنى إسرائيل معتدلا حتى نشأ فيهم المولّدون وابناء سبايا الأمم فقالوا بالرأى فضلوا وأضلوا » ومما دخل فى ديننا علوم بنى اسرائيل وتذكير خطباء الجاهلية وحكمة اليونان ودعوة البابليين وتاريخ الفارسيين والنجوم والكلام والرمل . وهو سر غضب رسول الله ﷺ حين قرئ بين يديه نسخة من التوراة ؛ وضرب عمر رضى الله تعالى عنه من كان يطلب كتب دانيال . والله أعلم .

قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومى الخجندى ثم المكى حفظه الله تعالى . ومن هذا الباب دخلت خرافات الصوفية فى الاسلام . مثل رابطة صورة الشيخ والتزام الطريقة الفلانيه والاستمداد من الارواح والتوجه إلى القبور وبناء القبب عليها والقاء الستور والسراج السرج لديها والنذر لها والاذكار والغنائية بضرب المزامير والطبول والناىٔ وامثالها . فانها لا شك من رسوم الوثنيين والمشركين والبوديين كما هو غير خفى على البصير المتأمل . وانى قد شاهدت بعينى رأسى فى بلاد الروس والصين والهند والتبت ان من يينت حالهم من الكفرة يفعلون ذلك . فالحذر الحذر .

والحاصل أن التبرى من الشرك وعن المشركين وعن مايخصهم من الاعمال والعبادات شرط صحة الاسلام الصحيح . وان تخصيص الله تعالى بالعبادة اية عبادة كانت من فرائض الايمان . فهذا هو الصراط المستقيم كما قال الله تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام أن توحيدى الربوبية والالوهية

والعبادة هو الصراط المستقيم ﴿ إن الله ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم ﴾ سورة آل عمران .

وفيها أيضاً ، ان كل من تمسك بكتاب الله وعمل به فهو قد سلك على الصراط المستقيم ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم ﴾ ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ وفى سورة الانعام ﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه . ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون . وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم . ديناً قيماً ملة ابراهيم حنيفاً . وما كان من المشركين . قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لاشريك له . وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين . قل أغير الله أبغى رباً وهو رب كل شيء . ولا تكسب كل نفس إلا عليها ﴾

وفى سورة الاعراف ﴿ اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء . قليلا ماتذكرون ﴾ ﴿ وقل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعاً . الذي له ملك السماوات والارض . لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ فحاصل ماتقرر من هذه الآيات أن الصراط المستقيم الذى نطلب من الله تعالى أن يهدينا اليه إنما هو دين الاسلام ، ودستوره

وقانونه القرآن وإمامه سيدنا محمد ﷺ . فمن اتبعه فقد هدى إلى صراط مستقيم ، ونال السعادة فى الدنيا والدين ، فنسئلك اللهم اهدنا الصراط المستقيم آمين .

ثم بين الله تعالى ذلك الصراط وقال ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ وهذا الصراط المستقيم هو الموصل إلى الحق ، وقد أنعم الله ذلك على عباده الصالحين وأوليائه الفالحين فهداهم به إلى أعلى عليين ، وقد فسر بعضهم المنعم عليهم بالمسلمين كما فسر المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى ، ونحن نقول أن المراد من الذين أمرنا الله أن نهتدى بهداهم كما قال تعالى ﴿ فبهداهم اقتده ﴾ وهم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من الامم السالفة ، فقد أحال الله تعالى على معلوم اجمله فى الفاتحة وفصله فى سائر القرآن بقدر الحاجة ، فثلاثة أرباع القرآن تقريباً قصص وتوجيه للانظار إلى الاعتبار باحوال الامم فى كفرهم وإيمانهم وشقاوتهم وسعادتهم ، ولا شيء يهدى للانسان كالامثلة والوقائع ، فاذا امتثلنا الامر والارشاد ، ونظرنا فى أحوال الامم السالفة وأسباب علمهم وجهلهم وقوتهم وضعفهم وعزهم وذلهم وغير ذلك مما يعرض للامم كان لهذا النظر اثر في انفسنا يحملنا على حسن الاسوة والاقتداء باخيار تلك الامم فيما كان سبب السعادة والتمكن فى الارض ، واجتناب ما كان سبب الشقاوة أو الهلاك أو الدمار ، ومن هنا ينجلى للعاقل شأن علم التاريخ وما فيه من الفوائد والثمرات . وتأخذه الدهشة والحيرة اذا سمع ان كثيراً من رجال الدين من امة هذا كتابها

يعادون التاريخ باسم الدين ويرغبون عنه. ويقولون انه لاحاجة اليه ولافائدة له

وههنا سؤال وهو كيف يأمرنا الله تعالى باتباع صراط من تقدمنا وعندنا أحكام وإرشادات لم تكن عندهم. وبذلك كانت شريعتنا أكمل من شرائعهم وأصلح لزماننا وما بعده. والقرآن يبين لنا الجواب وهو انه يصرح بان دين الله فى جميع الامم واحد. وانما تختلف الاحكام بالفروع التى تختلف باختلاف الزمان. وأما الاصول فلاخلاف فيها أصلا قال الله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ﴾ الآية ﴿ وأنا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ﴾ الآية. فالاعتقاد بالله وبالنبوة و بترك الشر و بعمل البر والتخلق بالاخلاق الفاضلة مستوفى الجميع. وقد أمرنا الله تعالى بالنظر فيما كانوا عليه والاعتبار بما صاروا اليه فنقتدى بهم فى القيام على وصول الخير وهى ثلاثة. وهى الاعتقاد الصحيح ولو بالتسليم. وعبادة الله تعالى وحده وحسن المعاملة مع الناس فهى لاخلاف فيها. كما قرره الاستاذ الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى فى تفسيره.

وقال العلامة الجوهرى الطنطاوى فى تفسيره. واعلم ان المنعم عليهم هم الانبياء وورثتهم والمخلصون من بنى آدم. وهم الذين نصبوا أنفسهم لهداية الناس وإرشادهم. وكانهم آباء والناس أبناؤهم. ويتشبهون بالله فى أعمالهم وأقوالهم. ويقودون الامم الى سبيل الرشاد. و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر، ويقال ان غاية الحكمة التشبه بالله فيعرفون نظام العالم وحكمة الخالق ويتركون آثاراً فى البرايا. ويتحملون ما ينالهم

من الآلام ، فى سبيل اسعاد الامم فينالون أجرهم مرتين ، فهم فى الآخرة مكرمون . وفى الدنيا مذكورون بالثناء الجميل والاكرام ، وتشتاق اليهم النفوس وتذكرهم الاجيال ، الخ .

وقال العلامة الامام ابن كثير فى تفسيره ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ مفسر للصراط المستقيم ، وهو بدل منه عند النحاة والذين أنعم الله عليهم هم المذكورون فى سورة النساء حيث قال ﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ﴾ وقال ابو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس رحمه الله تعالى ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ قال هم النبيون ، وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هم المؤمنون . وقال وكيع هم المسلمون وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم رضى الله تعالى عنهم هم النبي ﷺ ومن معه ، وقول ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أعم وأشمل ، والله أعلم

وقال العلامة ابن القيم فى زاد المعاد « المنعم عليهم هم الذين شرح الله صدرهم للاسلام ، ومن أعظم أسباب شرح الصدر التوحيد على حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه قال الله تعالى ﴿ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقاً حرجا كأنما يصعد فى السماء ﴾ فالهدى والتوحيد من اعظم اسباب شرح الصدر والشرك والضلال من اكبر اسباب ضيق الصدر وانحراجه فالمهتدى المنشرح الصدر يكون اعلم بالله ويرزق احسن الاخلاق والانابة

الى الله ومحبته بكل القلب والاقبــال عليه والتنعم بعبادته رزقنا الله تعالى ذلك .

فان قيل ان كثيراً من المشركين واهل الضلال متنعمون بنعمة الدنيا فهل يعد هؤلاء ممن انعم الله عليهم ام لا فالجوب قال العلامة ابن تيمية فى كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ان ماينعم به الكفار والفساق من الرياسات والاموال فى الدنيا فانما تصير نعمة حقيقية اذا لم تضر صاحبها فى الاخرة ولهذا اختلف الاصحاب من العلماء هل ما ينعم به الـكفار نعمة ام ليس بنعمة قال الله تعالى ﴿ يحسبون ان ما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون . فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شىء .الى مبلسون ﴾ وفى الحديث اذا رأيت الله ينعم على العبد مع اقامته على معصيته فانما هو استدراج يستدرجه فكذا ما يصدر من بعض الجهال ماصورته الكرامة وليس فى الحقيقة كرامة وانما يشبه الـكرامة من جهة كونها دعوة نافذة وسلطاناً قاهراً وانما الكرامة فى الحقيقة ما نفعت فى الاخرة او نفعت فى الدنيا ولم تضر بالاخرة .

والمنعم عليهم فى الحقيقة على الاطلاق هم الانبياء عليهم الصلوات والســلام . ومن جملتهم ابراهيم ويعقوب عليهـما السلام فوصيتهما لاولادهما ﴿ اذ قال له ﴾ اى لابراهيم ﴿ ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب

الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الهاً واحداً ونحن له مسلمون ﴾ ومن يطع الله والرسول فاؤلئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً . ومن احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ﴾ وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم . ووهبناله اسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين . وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين . واسمعيل واليسع ويونس ولوطا . وكلا فضلنا على العالمين . ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ، ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ، أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً ، ان هو الا ذكرى للعالمين ﴾ وفى سورة مريم بعد أن ذكر الله تعالى زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم واسحاق ويعقوب وموسى وإسماعيل وإدريس عليهم السلام قال ﴿ أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ، وممن حملنا مع نوح ، ومن ذرية ابراهيم وإسرائيل ، وممن هدينا واجتبينا اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ، فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات ،

فسوق يلقون غيا . وقد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون .
والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم
حافظون ، إلا على أزواجهم أوما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون ، والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
والذين هم على صلواتهم يحافظون . أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
هم فيها خالدون ﴾ وفى سورة الشورى ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به
نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبر على المشركين ماتدعوهم اليه . الله يجتبى اليه
من يشاء ويهدى اليه من ينيب . فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا
تتبع أهواءهم ﴾ وفى الباب آيات كثيرة بينت صفات المهتدين ورغبت
الناس اليها ؛ وشرحت صفات من يستحق الغضب وأهل الضلال
وحذرت عنها فيجب علينا أن نلتزم إعتقاداً وعملا ما أمر به القرآن ،
ونقتدى بمن مدحهم من الانبياء والصديقين ، طالباً من الله الرحمن الرحيم
أن يهدينا الى ذلك ويوفقنا لما هنالك فاللهم اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين أنعمت عليهم من الانبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين
آمين يارب العالمين .

فصل

فى صفات المهتدين وعلاماتهم

فمن صفاتهم الايمان بالله تعالى وبجميع ما جاء به النبي ﷺ من عند الله تعالى . وإقامة الصلاة فى أوقاتها مع شرائطها وآدابها . وإيتاء الزكاة وبذل الاموال فى سبيل الله وترويج الدين وتقوية الملة وإعانة الطلبة والايتام والمساكين ﴿ الم ذلك الكتاب لاريب فيه ، هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . اولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾ فالمهتدون وأهل التقوى والفلاح والسعادة فى الدارين هم الذين آمنوا بالله إيمانا كاملا ، وزينوا إيمانهم بأداء الصلوات وأداء الزكوات والنفقة فى سبيل الله ، ويصدقون بيوم القيامة والجزاء ويخافون منه ، الخ . وأما الذين لم يتصفوا بهذه الصفات فاولئك هم الكافرون والمنافقون .

ومن صفاتهم أنهم يتصفون بالشكر على النعماء والصبر على المصيبة ، ولا يجزعون جزعا ؛ وإن تراكمت عليهم المصائب والآلام ، كما قال الله تعالى ﴿ الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إن لله وإنا اليه راجعون . اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون ﴾

ومن صفات المهتدين الابرار والمتقين الصادقين الاخيار ؛ الايمان بالله إيمانا كاملا ، وتصديق ما جاء به النبي ﷺ والايمان باليوم الآخر يوم الجزاء ، وكذا الملائكة ومنهم الكرام الكاتبين الذين يكونون مع

العبد دائماً ويكتبون كل ماصدرعنه من فعل أو قول ؛ وكذا بالكتب والنبيين الذين أولهم آدم وآخرهم سيدنا محمد ﷺ ، ويؤتون أموالهم المحبوبة حباً لله وطلباً لرضاه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويوفون بعهودهم ووعودهم إذا عاهدوا او وعدوا ، ويصبرون على الضراء ويشكرون على السراء ، وفى حال الملاقات عند قتال العدو فى الجهاد والدفاع الشرعى ؛ لا العصبي ؛ فهذه الاوصاف هي من صفات الصادقين فى إيمانهم ، وليست منها توجيه الوجوه إلى المشرق أو المغرب والدخول فى طريقة الشيوخ الطرقية ، واستعمال السبح ذوات العدد من الجواهر والصدف ؛ فليست داخلة فى صفات المهتدين المتقين مايفعله صوفية الزمان ومشائخه من الاذكار الغنائية والاوراد المبتدعة وجمع المريدين حولهم ، وهم لا ينفقون فى سبيل الله للمحتاجين والايتام والعاجزين ، بل يبغضون طلبة علوم الدين . فقد أخبر الله تعالى عن حال أمثال هؤلاء الضالين حيث قال كما فى سورة البقرة ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين . وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاه والموفون بعهدهم إذا عاهدوا . والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا . وأولئك هم المتقون ﴾

ومن صفات للمهتدين الايمان بجميع الأنبياء بلا تفريق بين أحد منهم والتسليم لهم ولما جاؤا به، واتباع الحق والاحتراز من الاشراك بالله في شيء من صفات الربوبية والألوهية. كما قال الله تعالى فى سورة البقرة ﴿ آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لانفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ﴾ وفى سورة آل عمران ﴿ قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم. لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين. قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا. وما كان من المشركين ﴾ قال العبد الضعيف المعصومى حفظه الله تعالى ورزقه حسن الخاتمة فان كان من صفات المؤمنين المهتدين الايمان بجميع الانبياء والمرسلين واحترامهم واكرامهم بالصلوات والتسليمات عليهم فكذا يجب اكرام ورثتهم من الصحابة والتابعين والعلماء المجتهدين كالائمة الاربعة واضرابهم وائمة أهل الحديث رضى الله تعالى عنهم أجمعين. فالاخذ بقول البعض وترك من سواه كما يفعله غالب مقلدة المذاهب الجامدين. فانه ليس من هدى المهتدين ولا من صفات المتقين. فمن هذا نشأت العداوات بين منتسبي المذاهب حتى صاروا لا يقتدون فى الصلوات خلف من ليس على مذهبهم. كما شاهدنا أن الحنفى لا يقتدى خلف الامام الشافعى أو الحنبلى. وخصوصا فى صلاة الوتر فى رمضان. وصنيعهم هذا كأنه انكار على رسول الله ﷺ لكون ذلك ثابتا عن الرسول ﷺ.

ولكن غلبة التعصب أعمت القلوب والابصار. فانتبهوا يا أولى الالباب والابصار

ومن صفات المهتدين انفاق أنفس الاموال فى سبيل الله. فى الخيرات من بناء المدارس وتربية طلبة العلوم والايتام ونشر لواء الاسلام وحفظ الشرع وصيانة حدود دار الاسلام. قال الله تعالى ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون. وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم ﴾.

ومن صفات المهتدين الدعوة الى التوحيد والاعمال الخيرية والامر بالمعروف والنهى عن المنكر. وتعليم العلوم النافعة ونشرها وتسهيل سبلها قال الله تعالى ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير و يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون. كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله. يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات. وأولئك من الصالحين ﴾ فمن ترك هذه الامور لا يكون من الصالحين ولا من الفالحين ولا من المهتدين. كاكثر من نشاهده ممن فى أيديهم السبح الطويلة واصحاب العمائم والجبب الواسعة الاكمام ممن يدعون التصوف أو أنهم اصحاب الطرق يتأكلون بدينهم فى التكايا والزوايا وضرائح الاولياء. عصمنا الله تعالى من شرورهم ووساوسهم ...

ومن صفات المهتدين العدل والانصاف والمعاملة مع الناس بلا خيانة ولا اعتساف واداء الشهادات على وجهها بالقسط والخوف من الله والتقوى بقدر المستطاع كما قال الله تعالى فى سورة المائدة ﴿ يا ايها الذين

آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لاتعدلوا . اعدلواهو اقرب للتقوى .واتقوا الله ان الله خبير بماتعملون ﴾

ومن صفات المهتدين بعد الايمان بالله والتقوى ابتغاء الوسيلة والتشبث بكل وسائل الدفاع لاعلاء كلمة الله وحفظ الاسلام والمسلمين وديارهم كما قال الله تعالى فى سورة المائدة ﴿ يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون ﴾﴿ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون ﴾ فالظاهر من هذه الآيات التشبث لاستعداد ما امكن من الآلات على مقتضى الحال والزمان فمن ترك ذلك وجلس فى الزوايا واشتغل بالاوراد والقصائد وتوجه الى القبور والارواح فلا يكون من المهتدين بل يكون من الخاسرين والخاذلين عصمنا الله تعالى من شرورهم وشؤمهم .

ومن صفات المهتدين تقوى الله تعالى فى كل الحالات . واصلاح ذات البين والسعى الى توحيدكلمة المسلمين وتأليفهم وجمعهم ورفع النزاع بقدر المستطاع وعند ذلك يحصل الدولة ويسعد اهل الملة كما قال الله تعالى فى سورة الانفال ﴿فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين . انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون · اولئك هم المؤمنون حقاً . لهم

درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا . ان الله مع الصابرين ﴾

ومن صفات المهتدين الايمان بالله والتقوى عن الشرك والكفر والمحرمات واولئك هم اولياء الله المهتدون الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون كما قال الله تعالى فى سورة يونس ﴿ الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون ﴾

ومن صفات المهتدين العدل والانصاف والاحسان الى عباد الله واعانة ذى القربى والفقراء والوفاء بالعهد والوعد والاحتراز عن الفحشاء والمنكر والبغى والكذب والخيانة كما قال الله تعالى فى سورة النحل ﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها . ﴾ الآية .

ومن أجمع صفات المهتدين الذين يستحقون أن يكونوا عبداً لله فينالون رضاه ويسعدون فى الدنيا والآخرة مابينه الله تعالى فى سورة الفرقان ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً . والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما . انها ساءت مستقراً ومقاماً . والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً . والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون . ومن يفعل ذلك يلق أثاماً . يضاعف له

العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا . إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات . وكان الله غفوراً رحيما . ومن تاب وعمل صالحاً فانه يتوب إلى الله متاباً . والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراماً . والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا . والذين يقولون ربنا هب انا من ازواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً . اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً . خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً ﴾ .

ومن صفات المهتدين تدبر آيات الله والتأمل والتفكر فى مخلوقات الله والتذكر لمعانى القرآن وماخلقه الله تعالى من المخلوقات ، وكذا صرف القوة الى الخيرات ومصالح العبادة مع التعقل والاستبصار والنظر فى أحوال العالم وأهله ؛ كما قال الله تعالى فى سورة ص ﴿ كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب . واذكر عبادنا إبراهيم واسحاق ويعقوب أولى الايدى والابصار ﴾

ومن صفات المهتدين وأهل الفلاح فى الدنيا والآخرة بعد الايمان بالله ورسوله إيماناً صحيحاً ، الجهاد فى سبيل الله لاعلاء كلمة الله بالسنان واللسان والقلم وبذل النفس والنفيس لذلك ، كما قال الله تعالى فى سورة الصف ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وأنفسكم . ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ فمن ترك الجهاد فى سبيل

الله بالسيف واللسان والقلم مع القدرة عليه فهو ليس من المهتدين فيكون محروماً من فضل رب العالمين ، فياخسارة من ترك ذلك وتجبن ، أو خدم الكفرة والمستبدين وتجسس لهم ككثير من العلماء الدجالين ومشائخ الطرق الضالين ، فبهذا تسلطت الكفرة على كثير من بلاد المسلمين فانا لله وانا اليه راجعون .

ومن صفات المهتدين الوفاء بالنذر المشروع ، والخوف من الله ومن عذاب يوم القيامة ، وإطعام الطعام للمساكين والايتام والغرباء لوجه الله تعالى ، كما قال الله تعالى فى سورة الدهر ﴿ إن الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً ، يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ، ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيراً انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ فجملة القول ان المهتدين حقيقة والمتصفين بالاسلام والايمان الحقيقى هم الذين يخلصون إرادتهم وأعمالهم لله تعالى وحده دون من سواه . فلا يدعون ولا يرجون ولا يستغيثون ولا يتوكلون ولا يتقربون بنوع من أنواع العبادة الا الى ربهم ومليكهم وخالقهم والقائم عليهم والمتصرف فيهم بمشيئته وإرادته ويعملون بما شرعه لهم فى كتابه وسنه لهم نبيهم سيدنا محمد ﷺ من شريعته . معتصمون بحبل الله متعاونون على طاعة الله تعالى ، كذا فى المجموعة النجدية .

فاهل الهداية لا يتحاسدون ولا يتباغضون ولا يتدبرون ولا يتكابرون ولا يتقاتلون الا لله تعالى وفى الله عز وجل . ويصلحون ما أفسده الناس .

أولئك هم أهل الفلاح فى الدارين . فنسألك اللهم أن تجعلنا منهم آمين يارب العالمين .

وقوله تعالى ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فالمغضوب عليهم هم الذين خرجوا عن الحق بعد علمهم به والذين بلغهم شرع الله ودينه فرفضوه ولم يتقبلوه انصرافا عن الدليل . ورضي بما ورثوه من القيل ووقوفاً عند التقليد وعكوفاً على هوى غير رشيد . وغضب الله عقوبته وإنتقامه . وهذه الآية تفيد ان الطوائف ثلاث . المنعم عليهم . والمغضوب عليهم والضالون . ولاشك ان المغضوب عليهم ضالون أيضاً . لانهم بنبذهم الحق وراء ظهورهم قد استدبروا الغاية واستقبلوا غير وجهتها فلا يصلون الى مطلوب ، ولا يهتدون الى مرغوب ، ولكن فرقاً بين من عرف الحق فاعرض عنه على علم ، وبين من لم يظهر له الحق فهو تائه بين الطرق لا يهتدى الى الجادة فيها وهم من لم تبلغهم الرسالة ، او بلغتهم على وجه لم يتبين لهم فيه الحق فهؤلاء هم أحق باسم الضالين ، فان الضال حقيقة هو التائه الواقع فى عماية لا يهتدى معها الى المطلوب . والعماية فى الدين هى الشبهات التى تلبس الحق بالباطل وتشبه الصواب بالخطأ .

والضالون أقسام . منهم من بلغتهم الرسالة وصدقوا بها بدون نظر فى أدلتها ولا وقوف على أصولها . فاتبعوا أهواءهم فى فهم ماجاءت الرسالة به فى أصول العقائد . وهؤلاء هم المبتدعة في كل دين . ومنهم المبتدعون فى دين الاسلام . وهم المنحرفون فى إعتقادهم عما تدل عليه جملة القرآن وما كان عليه السلف الصالح وأهل الصدر الاول . ففرقوا الامة الى

مشارب ومذاهب وطرق . فمن جملة آثارهم فى الناس أن يأتى الرجل الى دوائر القضاء فيستحلف بالله العظيم . أو بالمصحف الكريم وهو كلام الله القديم انه ما فعل كذا . فيحلف وعلامة الكذب بادية على وجهه فيأتيه المستحلف من طريق آخر . و يحمله على الحلف بشيخ من المشايخ الذين يعتقد بهم الولاية فيتغير لونه وتضطرب اركانه. ثم يرجع فى اليمين ويقول الحق ويقر بأنه فعل ما حلف عليه او لأنه لم يفعله تكريما لاسم ذلك الشيخ وخوفا منه ان يسلب عنه نعمة أو يحل به نقمة اذا حلف باسمه كاذبا. فهذا ضلال فى أصول العقيدة يرجع الى الضلال فى الاعتقاد بالله . وما يجب له من الوحدانية فى الافعال . ولو أردنا ان نسرد ما وقع فيه المسلمون من الضلال فى العقيدة الاصلية بسبب البدع التى عرضت على دين الاسلام لطال المقال واحتيج الى مجلدات فى وجوه الضلال . ومن أشنعها أثرا وأشدها ضررا خوض رؤساء الدين والفرق منهم فى مسائل القضاء والقدر والاختيار والجبر . وتحقيق الوعد والوعيد . وتهوين مخالفة الله تعالى على نفوس العبيد

ومن جملة الضلال جعل المذاهب أصلا . والقرآن هو الذى يحمل عليها ويرجع بالتأويل والتحريف اليها كما جرى عليه المخذولون وتاه فيه الضالون. والحق الواجب ان يكون القرآن أصلا تحمل عليه المذاهب والآراء فى الدين فما وافق فمقبول وما خالفه فمردود .

ومن جملة الضلال الضلال فى الاعمال وتحريف للاحكام عما وضعت له كالخطأ فى فهم معنى الصلاة والصيام وجميع العبادات . والخطأ في فهم الاحكام التى جاءت فى المعاملات . ولنضرب لذلك مثلا الاحتيال فى الزكاة

بتحويل المال الى ملك الغير قبل حلول الحول . ثم استرداده بعد مضى قليل من الحول الثانى حتى لا تجب الزكاة فيه . وظن المحتال أنه بحيلته قد خاص من اداء الفريضة ونجا من غضب من لا تخفى عليه خافية ولا يعلم أنه بذلك قد هدم ركنا من أركان دينه وجاء بعمل من يعتقد ان الله تعالى قد فرض فرضا وشرع بجانب ذلك الفرض ما يذهب به ويمحو أثره . وهو محال عليه جل شأنه

وكل قسم من هذه الضلالات يظهر أثرها فى الامم فتختل قوى الادراك فيها وتفسد الاخلاق وتطرب الاعمال . ويحل بها الشقاء عقوبة من الله عز وجل لا بد من نزولها بهم . سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا . وبعد حلول الضعف ونزول البلاء بأمة من الامم من العلامات والدلائل على غضب الله تعالى عليها لما أحدثتها فى عقائدها واعمالها مما يخالف سننه ولا يتبع فيه سننه ولهذا علمنا الله تعالى كيف ندعوه بان يهدينا طريق الذين ظهرت نعمته تعالى عليهم بالوقوف عند حدوده . وتقويم العقول والاعمال بفهم ما هدانا اليه وان يجنبنا طرق أولئك الذين ظهرت فيهم آثار نقمته بالانحراف عن شرائعه . سواء كان ذلك عمدا وعنادا أو غواية وجهلا

اذا ضلت الامة سبيل الحق ولعب الباطل باهوائها ففسدت اخلاقها واعتلت أعمالها وقعت فى الشقاء لا محالة ، وسلط الله عليها من يستذلها ويستأثر بشئونها ، ولا يؤخر لها العذاب الى يوم الحساب كأهل بلغار وقوقاز وتوركستان الروسى والصينى وبخارا والاندلس والجزائر والمغرب وغيرها ، وان كانت ستلاقى نصيبها منه ايضا ، واذا تمادى بها الغى وصل بها الى الهلاك ومحى اثرها

من الوجود ، ولهذا علمنا الله تعالى النظر والاعتبار في احوال من سبقنا ، واما فى الافراد فلم تجر سنة الله بلزوم العقوبة لكل ضال فى هذه الحياة الدنيا ، فقد يستدرج الضال من حيث لايعلم ، ويدركه الموت قبل أن تزول النعمة عنه وانما يلقى جزآءه ﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً . والامر يومئذ لله ﴾ كما أفاده الاستاذ العلامة المجدد الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى .

قال الامام الحافظ العلامة العماد ابن كثير فى تفسيره الشهير ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ قرأ الجمهور بالجر على النعت ، قال الزمخشرى وقرىء بالنصب على الحال ، وهى قراءة النبى ﷺ وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ، ورويت عن ابن كثير ، والمعنى ﴿ إهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ ممن تقدم وصفهم ونعتهم وهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسله وامتثال أوامره وترك نواهيه وزواجره ، غير صراط المغضوب عليهم ، وهم الذين فسدت إرادتهم فعلموا الحق وعدلوا عنه ، ولا صراط الضالين وهم الذين فقدوا العلم فهم هائمون فى الضلالة لايهتدون الى الحق ، وأكد الكلام بلا ليدل على أن ثم مسلكين فاسدين وهما طريقة اليهود والنصارى .

وروى ابو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب فضائل القرآن عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه كان يقرأ غير المغضوب عليهم وغير الضالين ، وهذا اسناد صحيح ، وكذلك حكى عن ابى بن كعب

رضى الله تعالى عنه أنه قرأ كذلك ، وهو محمول على انه صدر منهما على وجه التفسير ، فيدل ما قلنا من انه انما جيء بلا لتأكيد النفي لئلا يتوهم انه معطوف على الذين أنعمت عليهم ، وللفرق بين الطريقين ليجتنب كل واحد منهما ، فان طريقة أهل الايمان مشتملة على العلم بالحق والعمل به ؛ واليهود فقدوا العمل ، والنصارى فقدوا العلم ، ولهذا كان الغضب لليهود والضلال للنصارى ؛ لان من علم وترك العمل استحق الغضب بخلاف من لم يعلم ، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئا لكنهم لا يهتدون الى طريقه لانهم لم يأتوا الامر من بابه ؛ وهو اتباع الحق ضلوا ؛ وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليهم ، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال الله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ، واخص أوصاف النصاري الضلال ؛ كما قال الله تعالى اخباراً عنهم ﴿قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل﴾ وبهذا جاءت الاحاديث والآثار وذلك واضح بين .

قال الامام محي السنة البغوى ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ وقال سهل بن عبدالله رحمه الله تعالى غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة .

قال الخازن في تفسيره ﴿غير المغضوب عليهم﴾ يعني صراط الذين غضبت عليهم (ولا الضالين) أي وغير الضالين عن الهدى ، وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى . وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة . والله أعلم .

وقال العلامة الراغب الاصفهانى فى مفردات القرآن ، والضلال ضربان ، ضلال فى العلوم النظرية كالضلال فى معرفة الله ووحدانيته ومعرفة النبوة ونحوهما المشار اليهما بقوله تعالى ﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً ﴾ وضلال فى العلوم العملية كمعرفة الاحكام الشرعية التى هي العبادات الخ

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى رسالة فوائد الفاتحة : ان فى سورة الفاتحة محبة الله لان الله منعم والمنعم يحب على قدر انعامه وفيها توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية ، واهدنا الصراط المستقيم فيها الرد على المبتدعين وفيها أن الناس ثلاثة أقسام ، منعم عليه ، مغضوب عليه وضال ، فالمغضوب عليهم أهل علم ليس معهم عمل ، والضالون أهل عبادة ليس معهم علم وان كان سبب النزول في اليهود والنصارى فهى لكل من اتصف بذلك الثالث من اتصف بالعلم والعمل وهم المنعم عليهم ، وفيها معرفة الله تعالى على التمام .

وفيها أيضاً ، ان للشيطان لاضلال الناس سنة فى ترك القرآن والسنة واتباع الهوى ، والاهواء والآراء المتفرقة المختلفة ؛ وهى ان القرآن والسنة لا يعرفهما الا المجتهد المطلق والمجتهد هو الموصوف بكذا وكذا أوصافا لعلها لا توجد تامة فى أبى بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما ، فان لم يكن الانسان كذلك فليعرض عنهما حتماً ، ومن طلب الهدى منهما فهو أما زنديق وأما مجنون لاجل صعوبتهما ، الخ سبحانك هذا بهتان عظيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون

قال العلامـة الامام ابن تيمية رحمه الله تعالى فى إقتضاء الصراط المستقيم ، وسبب كون اليهود مغضوباً عليهم عدم العمل بعلمهم فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه ، وأما سبب ضلال النصارى فمن جهة عملهم بلا علم فهم يجتهدون فى أصناف العبادات بلا شريعة من الله ، ويقولون على الله مالا يعلمون ، ولهذا كان السلف كسفيان بن عيينة وغيره يقولون من فسـد من العلماء ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى فمن وصف المغضوب عليهم انهم يكتمون العلم تارة بخلابه وتارة اعتياضا عن اظهاره بالدنيا وتارة خوفا ان يحتج عليهم بما اظهروه منه وقد ابتلى به كثير من علمائنا

ومن وصف المغضوب عليهم انهم لا يقبلون الحق الا من الطائفة التى هم منتسبون اليها مع انهم لا يتبعون ما لزمهم فى اعتقادهم كما هو شأن كثير من المنتسبين الى طائفة معينة فى العلم او الدين من المتفقهة او المتصوفة وغيرهم او رئيس معظم فى الدين غير النبى ﷺ فانهم لا يقبلون من الدين رأيا ولا رواية الا ماجاءت به طائفتهم ثم انهم لا يعلمون ما توجبه طائفتهم .مع ان دين الاسلام يوجب اتباع الحق مطلقاً رواية ورأيا من غير تعيين شخص غير الرسول ﷺ

ومن صفات الضالين الغلو فى الدين وفى الانبيـاء والصالحين وقد وقع هذا فى طوائف من ضلال المتعبدة والمتصوفة حتى خالط كثيرا منهم من مذاهب الحلول والاتحاد ماهو اقبح من قول النصارى ومن جملة بدع الضالين ابتداع الرهبانية وقد ابتلى طوائف من المسلمين من الرهبانية

بما الله اعلم به . وكان الضالون والمغضوب عليهم يبنون المساجد على قبور الانبياء والصالحين وقد نهى النبي ﷺ امته عن ذلك .

ومن صفة الضالين انهم يعبدون بالاصوات المطربة والصور الجميلة فلا يهتمون بامر دينهم باكثر من تلحين الاصوات قال الله تعالى ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء﴾ وانت تجد كثيراً من المتفقهة اذا رأى المتصوفة والمتعبدة لايراهم شيئاً ولا يعدهم الا جهالا ضلالا ولا يعتقد فى طريقهم من العلم والهدى شيئاً وترى كثيراً من المتصوفة والمتفقرة لا يرى الشريعة والعلم شيئاً بل يرى ان المتمسك بهما منقطع عن الله وانه ليس عند اهلها مما ينفع عند الله شىء واذا الصواب ان ما جاء الكتاب والسنة من هذا وهذا حق وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل .

وقد قال الامام العلامة فخر الدين الرازى رحمه الله تعالى فى تفسيره الكبير ان المشهور ان المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى وقيل هذا ضعيف لان منكرى الصانع والمشركين اخبث ديناً من اليهود والنصارى فكان الاحتراز عن دينهم اولى بل الاولى ان يحمل المغضوب عليهم على كل من اخطاء فى الاعمال الظاهرة وهم الفساق ويحمل الضالون على كل من اخطاء فى الاعتقاد كاهل البدع والكفرة لان اللفظ عام والتقييد خلاف الاصل ويحتمل ان يقال المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون وهذه الآية دلت على ان المكلفين ثلاث فرق . اهل الطاعة واليهم الاشارة بقوله تعالى : ﴿ انعمت

عليهم ﴾ واهل المعصية واليهم الاشارة بقوله تعالى ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ وأهل الجهل فى دين الله والكفر واليهم الاشارة بقوله تعالى ﴿ ولا الضالين ﴾ فان قيل لم قدم ذكر العصاة على ذكر الكفرة قلنا لان كل واحد يحترز عن الكفر. وأما عن الفسق فقد لا يحترز فكان أهم

فان قيل ما الحكمة فى انه تعالى جعل المقبولين طائفة واحدة وهم الذين الذين انعم الله عليهم. والمردودين فريقين المغضوب عليهم والضالين الجواب ان الذين كملت نعم الله عليهم هم الذين جمعوا بين معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به. فهؤلاء هم المرادون بقوله أنعمت عليهم. فان اختل قيد العمل فهم الفسقة وهم المغضوب عليهم. كما قال الله تعالى ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه ﴾ وان اختل قيد العلم فهم الضالون لقوله تعالى ﴿ وماذا بعد الحق الا الضلال ﴾

ومن الضالين المغضوب عليهم الذين لا يوافق اعمالهم اقوالهم. ويفسدون فى الناس تحت ستار الاسلام والزهد والتقوى والاصلاح. كميرزا أحمد القاديانى فى بلاد الهند. وموسى بيكى جار الله فى بلاد التتار قال الله تعالى ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين ﴾ الى ان قال ﴿ اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ الايات فالدجال الهندى القاديانى باع دينه لمبشرى الانكليز واما الدجال التتارى موسى بيكى جار الله فقد باع دينه وأهل ملته لمبشرى الروس وملاحدة البلاشفة الشيوعية اللادينية فالحذر كل الحذر. ويا خسارة من اغتر بهما

ومن علامات المغضوب عليهم الاختلاف والتفرق فى الدين. وتأويل الكتاب والسنة على غير ما جاء به سيد المرسلين. والاخذ ببعضه وانكار بعضه على مقتضى الاهواء والمذاهب. قال الله تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم

ومن صفات المغضوب عليهم الاشراك بالله فى صفة من صفات الالوهية والربوبية فمن نتائجه الخوف من الاعداء ومما لا يخاف منه. كما هو صفة جمهور القبوريين ممن يدعون أنهم مسلمون اومتصوفون قال الله تعالى فى سورة آل عمران ﴿ سنلقي فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا ومأواهم النار. وبئس مثوى الظالمين ﴾ والمسلمون لما كانوا مسلمين كاملين موحدين خالصين كالصحابة والتابعين لهم باحسان رضى الله تعالى عنهم القى الله تعالى الرعب فى قلوب اعدائهم المشركين فانتصروا عليهم نصرا مبينا. وفتحوا البلدان شرقا وغربا. واما الخلف فلما خالفوا السلف وضعف اسلامهم ورق توحيدهم. واشركوا بالله الارواح والاولياء وأصحاب القبور. واستعانوا بمن لا يستعان به ؛ ألقى الرعب فى قلوبهم فخافوا من الاعداء وخافوا من القبور، فادخلهم الاعداء فى القبور وهم أحياء ؛ فلا شك ان هذا من آثار الغضب، وآية على ضلال اهله ؛ فانتبهوا يا أيها الغافلون.

ومن صفات المغضوب عليهم والضالين، القول فى الدين والاحكام بالتخمين بلا علم، كما قال الله تعالى فى سورة الانعام ﴿ وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم اليه. وان كثيراً ليضلون باهوائهم بغير علم.

ان ربك هو أعلم بالمعتدين . وحرموا مارزقهم الله افتراء على الله . قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾ ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب . إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون ﴾ سورة النحل فيدخل فى هذا الضلال كل من قال شيئاً بلا دليل ؛ اوأوجب شيئاً اوحظر شيئاً بلا برهان ، كمن حرم إشارة السبابة فى تشهد الصلاة ، او أوجب ظهر الاحتياط بعد أداء فرض الجمعة ، او جوز تقلد القضاء بالرشوة ، او أوجب تقليد مذهب عالم بعينه او ألزم البيعة لشيخ طريقة ، أو نحو ذلك .

والحاصل أن كل مالم يثبت بالكتاب والسنة والاجماع الصحيح من العقائد والعبادات فهو من الضلال فالبدعة في الدين لا تكون إلا ضلالة ؛ والعامل بها لايكون إلا من الضالين ، والاصل فيه مارواه ابو داود والترمذى ؛ قال حديث حسن صحيح ، ورواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه عن العرباض بن سارية رضى الله تعالى عنه قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فاوصنا « قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وانه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة » الحديث .

ومن صفة أهل الضلال النفاق والمكر والخداع ، كما قال الله تعالى ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا . وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم

إنما نحن مستهزؤن . اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . وما يضل به إلا الفاسقين . الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون ﴾ (الفاسقين) الخارجين عن الطاعة (عهدالله) ماعهده اليهم في الكتاب من الايمان بمحمد ﷺ ﴿ ويفسدون فى الارض ﴾ بالمعاصى والتعويق عن الايمان ، فأهل الضلال هم الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، واختاروا الكفر والشرك على الايمان والتوحيد ، واتبعوا التقاليد بالمبتدعين فاخذوا الضلالة وتركوا الهدى ؛ نخرجوا من الهدى إلى الضلالة ومن الجماعة الى الفرقة ، ومن الامن الى الخوف ، ومن السنة الى البدعة ، وهكذا رواه ابن أبى حاتم ، كما نقله ابن كثير فى تفسيره .

ومن صفات أهل الضلال إنكار ما فى القرآن من الامثال وعدم التصديق بها أو الاستهزاء بها ؛ ومن صفاتهم الفسق والخروج عن حدود ماحدده الله ، كما بين الله تعالى ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا مابعوضة فما فوقها . فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم ، واما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً . وما يضل به الا الفاسقين ﴾ الآية .

وقد قال الامام العلامة ابن تيمية رحمه الله تعالى فى كتاب الرد على الاخنائى ، والمبتدعون هم الضالون ؛ وقد قال سفيان الثورى رحمه

الله تعالى ؛ البدعة أحب الى ابليس من المعصية ، لان المعصية قد يتاب عنها والبدعة لايتاب منها ، فتكون أضر واهلك من المعصية

وفى رسالة الحج له ، ومن الضلالة مذهب الاتحادية والحلولية الذين يزعمون ان المخلوق عين الخالق وانه يحل فيه كما تقول به ابن عربى صاحب الفتوحات المكية والفصوص وأمثاله ، ومن الضلالة قولهم ان الولى افضل من النبى ، لان الولى يأخذ عن الله بلا واسطة ، وان النبى يأخذ بواسطة الملك .

وفى اقتضاء الصراط المستقيم له ايضا ، ومن صفة اهل الضلال تخصيص زمان او مكان بعيد او فضيلة او زيارة فيما لم يرد به الشرع المحمدى واعتقاد الفضل فيه مع كونه لا فضل له فى الشريعة اصلا ، ولا فيه موجب تفضيله ، بل هو كسائر الامكنة او دونها ، فقصد ذلك المكان او قصد الاجتماع فيه لصلاة اودعاء او ذكر او غير ذلك ضلال بين .

قال الجامع محمد سلطان المعصومى الخجندى ثم المكى حفظه الله عز وجل ، كاجتماع اهل كاشغر فى آفاق خواجة ، واهل فرغانه فى اوش وجلاد آباد بزعم ان الاول مقر كرسى سليمان النبى عليه السلام والثانى فيه قبر ايوب النبى عليه السلام والعين التى اغتسل فيها ، وكاجتماعهم فى شاه مردان فى مرغينان ؛ وفى يسى اى تركستان فى انصاف الشتاء ، ويسمونه خلوت ، وفى ضريح بهاؤالدين فى بخارى فى كل وقت وخصوصا فى ليلة الاربعاء ، وفى بلخ فى الربيع فى مزار سخى ، وفى موسم معين.

الدين الجشتي في اجمير الهند . ويسمونه اجمير شريف ، وكذا حوالى قبر عبد القادر الجيلاني في بغداد، وتسميتهم أنه غوث أعظم ، وكذا في كربلاء ؛ ومشهد وطوس ، وكذا في البلاد المصرية في احمد رفاعى وسيدنا حسين وست زينب وهكذا امثاله كثير في انحاء الدنيا ، قال ابن تيمية فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم تستحب الشريعة ذلك فهو من المنكرات و بعضها أشد من بعض ، سواء كانت البقعة شجرة او غيرها او قناة جارية او جبلا أو مغارة ؛ وسواء قصدها ليصلى عندها أو ليدعو عندها أو ليقرأ عندها أو ليذكر الله سبحانه عندها أو لينسك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عيناً ولا نوعاً، واقبح من ذلك ان ينذر لتلك البقعة دهناً لتنور به ، فان هذا النذر نذر معصية باتفاق العلماء لا يجوز الوفاء به ؛ بل عليه كفارة عند كثير من أهل العلم منهم أحمد في المشهور عنه ، ورواية عنه وهي قول أبي حنيفة والشافعي وغيرهما انه يستغفر الله من هذا النذر ولا شيء عليه ، وكذلك إذا نذر للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة ، فان هؤلاء السدنة فيهم شبه من السدنة التي كانت للات والعزى ومنات ، يأكلون أموال الناس بالباطل يصدون عن سبيل الله ، والمجاورون هناك فيهم شبه من العاكفين الذين قال لهم الخليل ابراهيم امام الحنفاء عليه السلام ﴿ ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴾ وكما مر موسى عليه السلام ﴿ وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ﴾ فالنذر لاولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع التي لا فضل في الشريعة

للمجاورين بها نذر معصية ، وفيه شبهة من النذر لسدنة الاوثان والصابان والمجاورين عندها ، أو السدنة الانداد التى بالهند المجاورين عندها .

ومن صفة أهل الضلال مخالفة أمر الله ورسوله وعدم القبول والاذعان به ، كما قال الله تعالى ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً ﴾

ومن صفات أهل الضلال التقليد الجامد للآباء والقبائل والعادات الجاهلية مما يخالف الشريعة الحقة المحمدية ، قال الله تعالى فى سورة الزخرف ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون ﴾

قال العلامة ابن الجوزى فى كتابه تلبيس ابليس، أو نقد العلم والعلماء ومن صفة أهل الضلال الذين لبّس ابليس عليهم على هذه الامة فى عقائدها من طريقين، أحدهما التقليد للآباء والاسلاف، والثانى الخوض فيما لا يدرك غوره ويعجز الخائض عن الوصول إلى عمقه ، فاوقع اصحاب هذا القسم فى فنون من التخليط ، فاما الطريق الاول فان ابليس زين للمقلدين التقليد فضلّل به خلق كثير ، وبه هلاك عامة الناس، وان اليهود والنصارى قلدوا آباءهم و علماءهم فضلوا ، وكذلك أهل الجاهلية .

واعلم أن فى التقليد ابطال منفعة العقل ، لانه انما خلق للتأمل والتدبر ، وقبيح بمن اعطى شمعة يستضئ بها أن يطفئها ويمشى فى

الظلمة . واعلم ان عموم أصحاب المذاهب يعظم فى قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال . وهذا عين الضلال . لان النظر ينبغى أن يكون الى القول لا إلى القائل : كما قال على رضي الله تعالى عنه . ان الحق لا يعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله وقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى من ضيق علم العالم أن يقلد فى إعتقاده رجلا . واما الفرعيات فيصح للعامى التقليد فيها لمن سبر و نظر . وأما الطريق الثاني فكثير من الفلاسفة الذين خرجوا عن الشريعة والحدود الخ

فان قلت ان كان طريق المقلدين فى الاصول وطريق المتكلمين هكذا فما الطريق السليم من تلبيس ابليس . فالجواب انه ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه وتابعوهم باحسان من إثبات الخالق سبحانه وإثبات صفاته على ماوردت به الآيات والاخبار من غير تغيير ولا بحث عما ليس فى قوة البشر إدراكه .

وفى إقتضاء الصراط المستقيم لابن تيميـة . فمن أوصاف الضالين الانهماك فى البدع والمحدثات فى الامور الدينية . ولا ريب ان من المحدثات فى الدين ما أحدثه بعض الناس أمامضاهاة للنصاري فى ميلاد عيسى عليه السلام وأما محبـة للنبي ﷺ وتعظيما له . والله يثيبهم على هـذه المحبة والاجتهاد لا على البدع من إتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً ، فان هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه ، ولو كان خيرا لكان السلف أحق به منا ، فانهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيما له منا وانما

كمال محبته وتعظيمه فى متابعته وطاعته واتباع أمره واحياء سنته ظاهراً وباطناً ، ونشر مابعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان ، فان هذه طريقة السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان ، وأكثر هؤلاء الذين تجدونهم حراصاً على أمثال هذه البدع مع مالهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذى يرجى لهم به المثوبة تجدوهم فاترين فى أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه ، وانهم بمنزلة من يحلى المصحف ولا يقرأ فيه . أو يقرأ فيه ولكن لا يتبعه . وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلى فيه . أو يصلى فيه قليلا ، وبمنزلة من يتخذ المصابيح والسجادات المزخرفة رياء وكبراً . كما فى الحديث « ما ساء عمل قوم قط الا زخرفوا مساجدهم » الخ .

قال المعصومى حفظه الله عزوجل ؛ فالخير كل الخير فى إتباع ما فعله الرسول ﷺ وأصحابه والسلف الصالحون رضي الله تعالى عنهم ، والشر كل الشر والضلال كل الضلال فيما أحدثه المتأخرون فى الامور الدينية . وقد قال فى جوهرة التوحيد ونعم ما قال .

كل خير فى اتباع من سلف　　　كل شر فى ابتداع من خلف
فتابع الصالح ممن سلفا　　　وجانب البدعة ممن خلفا

والمراد من السلف المأمور باتباعهم هم الصحابة الكرام والتابعون الاخيار والائمة ذووا الوقار رضى الله تعالى عنهم لا كل من سلف وان كان من الاشرار او الائمة الدجالين الفجار . كما يزعمه كثير ممن لا خبرة له من الجهال وان كان فى صورة الائمة او المشائخ .واصحاب العمائم

الكبار وقد اخبر الرسول سيدنا محمد ﷺ ان امته ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة فكلها تكون اهل الضلالة فتستحق النار فتدخلها الافرقة واحدة وهى التى تتمسك بسنته ﷺ وبسنة خلفائه الراشدين رضى الله تعالى عنهم اعتقادا وقولا وعملا . وهم أهل السنة والجماعة . جعلنا الله تعالى منهم وحشرنا فى زمرتهم . وجماع الفرق الضالة هو أنهم يعتقدون بعقيدة بدعية ويعملون باعمال محدثة بزعم أنها قربة ومثوبة . وان صلوا وصاموا وزكوا وحجوا وزعموا انهم مسلمون . فهاانا اذكر لك جملة من اخبار الرسول ﷺ التى اذا تدبرتها وتفكرتها يظهر لك اهل الحق من أهل الضلال واهل الفلاح من اهل الشقاء .

قال الحافظ الخطيب التبريزى فى مشكاة المصابيح . عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد . رواه البخارى ومسلم وغيرهما

وعن جابر رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ اما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة . رواه مسلم وغيره

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ أبغض الناس الى الله ثلاثة ملحد فى الحرم . ومبتغ فى الاسلام سنة الجاهلية . ومطلب دم امرئ مسلم بغير حق ليهريق دمه . رواه البخارى وغيره

وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال جاء ثلاثة رهط الى أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أخبروا بها كانهم تقالوها فقالوا أين نحن

من النبي ﷺ وقد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر . فقال أحدهم أما أنا فاصلي الليل أبدا . وقال الآخر أنا أصوم النهار أبدا ولا أفطر. وقال الاخر أنا اعتزل النساء ولا أتزوج أبدا فجاء النبي ﷺ اليهم فقال انتم الذين قلتم كذا وكذا . أما والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له لكني أصوم وأفطر . وأصلي وأرقد واتزوج النساء . فمن رغب عن سنتي فليس مني روا البخاري ومسلم وغيرهما .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال. قال رسول الله ﷺ « يكون في آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الاحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فاياكم واياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم . رواه مسلم ، أي يتحدثون بالاحاديث الكاذبة ويبتدعون احكاما باطلة واعتقادات فاسدة وكذا رواه .

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي إلا كان له في أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بامره ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل رواه مسلم .

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه قال خط لنا رسول الله ﷺ خطاً ثم قال « هذا سبيل الله ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه وقرأ ﴿ وان

هذا صراطي مستقيما فاتبعوه﴾ الآية . رواه أحمد والنسائى والدارمى وغيرهم

وعن بلال بن الحارث المزنى رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من احيي سنة من سنتي قد أميتت بعدى فان له من الاجر مثل اجور من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ، ومن ابتدع بدعه ضلالة لا يرضاها الله ورسوله كان عليه من الاثم مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً . رواه الترمذى وابن ماجه وغيرهما .

وعن عبد الله بن عمرو رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ « ليأتين على أمتي كما أتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل حتى ان كان منهم من اتى أمه علانية لكان فى أمتى من يصنع ذلك وان بنى اسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين فرقة وملة ، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم فى النار إلا ملة واحدة ، قالوا من هى يارسول الله قال ما أنا عليه واصحابى ، رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن غريب ، وكذا رواه أبو هريرة رضى الله عنه وحديثه حديث حسن صحيح ، وفى رواية أحمد وأبى داود عن معاوية رضى الله تعالى عنه ، ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة ، وانه سيخرج فى أمتى أقوام تتجارى بهم تلك الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل الا دخله » وكذا رواه .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ

من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله اجر مائة شهيد . رواه البيهقي في كتاب الزهد له .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اتوا الجدل ثم قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ﴾ رواه احمد والترمذي وابن ماجه وقال القاري في المرقاة المراد من الجدل هنا التعصب لترويج مذهبهم من غير ان يكون لهم دليل . وذلك محرم .

وعن انس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول لا تشددوا على انفسكم فيشدد الله عليكم فان قوما شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار ﴿ رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ﴾ رواه أبو داود وغيره .

وعن الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى مرسلا قال قال رسول ﷺ تركت فيكم امرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله رواه مالك في موطئه وغيره .

وعن غضيف بن الحارث الثمالي رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ ما احدث قوم بدعة الا رفع مثلها من السنة فتمسك بسنة خير من احداث بدعة رواه احمد وغيره .

وعن ابراهيم بن ميسرة رحمه الله تعالى قال قال رسول الله ﷺ من وقر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام . رواه البيهقي في شعب الايمان مرسلا . وكذا .

وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال من تعلم كتاب الله ثم اتبع ما فيه هداه الله من الضلالة فى الدنيا ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وفى رواية قال من اقتدى بكتاب الله لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ثم تلى هذه الاية ﴿ فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ﴾ رواه رزين وغيره .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله ﷺ قال ضرب الله مثلا صراطاً مستقيما وعن جنبتى الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة وعلى الابواب ستور مرخاة وعند رأس الصراط داع يقول استقيموا على الصراط ولا تعوجوا . وفوق ذلك داع يدعو كلما هم عبد ان يفتح شيئاً من تلك الابواب قال ويحك لا تفتحه فانك ان تفتحه تلجه ثم فسره فاخبر ان الصراط هو الاسلام وان الابواب المفتحة محارم الله وان الستور المرخاة حدود الله . وان الداعى على رأس الصراط هو القرآن وان الداعى من فوقه هو واعظ الله فى قلب كل مؤمن رواه رزين واحمد والبيهقى فى شعب الايمان . وكذا رواه الترمذى بنوع اختصار .

وفى آخر كتاب العلم من المشكاة المصابيح عن على رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ يوشك أن يأتى على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه . ولا يبقى من القرآن الا رسمه مساجدهم عامرة وهى خراب من الهدى ، علماؤهم شر من تحت أديم السماء . من عندهم تخرج الفتنة وفيهم تعود رواه البيهقى فى شعب الايمان .

وفى باب السمعة منه . عن ابى هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال:

رسول الله ﷺ سيخرج فى آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين « أى يخدعون ويطلبون » يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، السنتهم أحلى من السكر ، وقلوبهم قلوب الذئاب . يقول الله تعالى أبى يغترون أم على يجترؤن ، فبى حلفت لا بعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم فيهم حيران » رواه الترمذى قلت الآن يصدق هذه الاوصاف على صوفية العصر وقلندريته الذين يتعيشون فى التكايا والزوايا والخانقاهات ، وتلك الفتنة كفتنة الاورباويين والبلاشفة .

وعن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم ، قيل يارسول الله اليهود والنصارى ، قال فمن . رواه الشيخان وقال القارى فى شرحه المرقاة ، المراد طريقة أهل الأهواء والبدع التى ابتدعوها من تلقاء أنفسهم بعد انبيائهم من تغيير دينهم وتحريف كتابهم الخ .

وفى كتاب الفتن منه ، عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى ، قال قلت يارسول الله انا كنا فى جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم . قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت ومادخنه . قال قوم يستنون بغير سنتى ويهدون بغير هدى تعرف منهم وتنكر ، قلت فهل بعد ذلك الخير من شر ، قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم اليها قذفوه فيها ، قلت يا رسول الله صفهم لنا ، قال هم من جلدتنا ويتكلمون بالسنتنا قلت فما

تأمرني ان أدركني ذلك ، قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم ، قلت فان لم يكن لهم جماعة ولا إمام ، قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو ان تعض باصل شجرة حتى يدركك الموت وانت على ذلك ، متفق عليه ، وفي رواية لمسلم ،قال يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس ، قال حذيفة قلت كيف اصنع يارسول الله ان أدركت ذلك . قال تسمع وتطيع الامير وان ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع واطع .

وعن ثوبان رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « انما أخاف على امتي الأئمة المضلين ، واذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنهم إلى يوم القيامة » رواه أبو داود والترمذي .

وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول « ان بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم » رواه مسلم . قال القاري في المرقاة : كالذين يدعون النبوة ، ويدعون أهواء فاسدة ويسندون ذلك الباطل اليه ﷺ كاهل البدع كلهم . قلت كاكثر مشائخ الطرق القبوريين والملاحدة المتجددين أصحاب العقول السخيفة والآراء الباطلة .

وعن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « اني فرطكم على الحوض من مرّ عليّ شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً ، ليردنّ عليّ اقوام أعرفهم ويعرفونني ، ثم يحال بيني وبينهم فاقول أنهم مني ، فيقال انك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فاقول سحقا سحقا لمن غير بعدي »

متفق عليه . وفى رواية احمد كما رواه ابن كثير فى تفسيره وكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائى عن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ « الكوثر حوض ونهر اعطانيه ربى عزوجل في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد الكواكب ، فيختلج العبد منهم ، فاقول يارب أنه من أمتى، فيقول انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك »

وفى سنن أبى داود عن أبى سعيد الخدرى وأنس بن مالك رضى الله تعالى عنهما عن رسول الله ﷺ قال « سيكون فى أمتى اختلاف وفرقة ، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل ، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرتد على فوقه هم شر الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، يدعون الى كتاب الله وليسوا منه فى شئ ، من قاتلهم كان أولى بالله تعالى منهم قالوا يارسول الله ما سيماهم قال التحليق » وفى رواية : التسميد والتحليق . قال أبو داود التسميد استئصال الشعر . وفي رواية على رضى الله تعالى عنه أنه قال أيها الناس إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « يخرج قوم من أمتي يقرؤن القرآن ليست قراءتكم الى قراءتهم شيئاً ولا صلاتكم إلى صلاتهم شيئاً ولا صيامكم إلى صيامهم شيئاً ، يقرؤن القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية » الحديث .

ثم ان المحقق الامام ابا اسحاق ابراهيم اللخمى الشاطبى رحمه الله تعالى قد اتى فى كتابه (الاعتصام) بجمل من علامات اهل البدع

والضلالة ، وقد حقق وأفاد ، قال رحمه الله تعالى ان الاسلام قد كمل وتم واستقام طريقه على مدة حياة النبي ﷺ ومن بعد موته ، واكثر قرن الصحابة رضى الله تعالى عنهم الى ان نبغت فيهم نوابغ الخروج عن السنة ، وأصغوا الى البدع المضلة كبدعة القدر ، ثم لم تزل الفرق تكثر حسبما وعده الصادق ﷺ فى قوله « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى مثل ذلك ، وتفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة » وفى الحديث الآخر « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » وهذا الحديث أعم من الاول فان الاول عند كثير من اهل العلم خاص باهل الاهواء ، وهذا الثانى عام فى المخالفات ، وكل صاحب مخالفة فمن شأنه انه يدعو غيره اليها ، ومن سنة الله فى الخلق ، ان اهل الحق فى جنب اهل الباطل قليل ، لقوله تعالى ﴿ وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ وقوله تعالى ﴿ وقليل من عبادى الشكور ﴾ ولان الهوى قد يتداخل فى الانسان ، وسبب الخروج عن السنة الجهل بها ، فاندرست رسوم السنة حتى مدت البدع أعناقها ، فاشكل على الجمهور مرماها ، فبدأ الدين غريباً كما بدأ ، ولكن مع ذلك لايزال ولن يزال طائفة من النصحاء فى الارض من عباد الله تعالى يعرضون أعمال العباد على كتاب الله فاذا وافقوه حمدوا الله ، واذا خالفوه عرفوا بكتاب الله ضلالة من ضل وهدي من اهتدى ، فاولئك خلفاء الله تعالى فى الارض .

قال البدعة طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصد بالسلوك

عليها مايقصد بالطريقة الشرعية ؛ كالاختصاص في الانقطاع للعبادة ، والاقتصار من المأكل والمشرب والملبس على صنف دون صنف ، وكالتزام الكيفيات والهيئات المعينة فى العبادات كالذكر بهيئة الاجتماع على صوت واحد واتخاذ يوم ولادة النبي ﷺ عيداً ، وكالتزام صيام يوم النصف من شعبان وقيام ليلته وصاحب البدعة إنما يخترعها ليضاهى بها السنة حتى يكون ملبساً بها على الغير ، إذا الانسان لايقصد الاستتباع بامر لايشابه المشروع ، لانه إذ ذاك لايستجلب به فى ذلك الابتداع نفعاً ، ولا يدفع به ضرراً ، ولا يجيبه غيره اليه ، ولذلك تجد المبتدع ينتصر لبدعته بامور تخيل التشريع ولو بدعوى الاقتداء بفلان المعروف .

فانت ترى العرب الجاهلية فى تغيير ملة ابراهيم عليه السلام كيف تأولوا فيما أحدثوه احتجاجا منهم ، كقولهم فى أصل الاشراك ﴿ مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ وكترك الحمس الوقوف بعرفة لقولهم ، لانخرج من الحرم اعتدادا بحرمته ، وكطواف من طاف بالبيت عريانا قائلين لا نطوف بالبيت بثياب عصينا الله فيها ، وما أشبه ذلك مما وجهوه ليصيروه بالتوجيه كالمشروع ؛ ويقصدون بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله تعالى ، وهو تمام معنى البدعة ، إذ هو المقصود بتشريعها ، والعامل بغير السنة تديناً هو المبتدع بعينه ، والتارك للمطلوبات الشرعية ان تركها كسلا أو تضييعاً فهو عاص ، وان تركها تدينا فهو مبتدع .

لاخفاء ان البدع من حيث تصورها يعلم العاقل ذمها ، لان اتباعها خروج عن الصراط المستقيم ورمى فى عماية ، وان الشريعة جاءت

كاملة لا تحتمل الزيادة ولا النقصان ، كما ثبت نصاً ، فان كان كذلك فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أو مقاله ، ان الشريعة لم تتم ، وانه بقى منها أشياء يجب أو يستحب استدراكها ، لانه لو كان معتقداً كمالها وتمامها من كل وجه لم يبدع ولا استدرك عليها ، وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم .

قال ابن الماجشون سمعت مالكا رحمه الله تعالى يقول ؛ من ابتدع في الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً ﷺ خان الرسالة ، لان الله تعالى يقول ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً ، فمن يبتدع شيئا فى الدين فهو ضال ، أما يكفيك ما كفى من هم خير منك ومن شيوخك ألا وهم الصحابة والتابعون الاخيار رضى الله تعالى عنهم .

قوله تعالى ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾ قد جاء تفسيرها فى الحديث من طريق عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ ياعائشة ﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾ من هم قلت الله ورسوله أعلم، قال هم أصحاب الاهواء واصحاب البدع وأصحاب الضلالة من هذه الامة ، ياعائشة ان لكل ذنب توبة ماخلا أصحاب الاهواء والبدع ليس لهم توبة ، وانا برىء منهم وهم منى برآء .

قال الامام الاوزاعى رحمه الله تعالى ، بلغنى أن من ابتدع بدعة ضلالة آلفه الشيطان العبادة ، أو ألقى عليه الخشوع والبكاء كي يصطاد به ؛ فالمبتدع يزيد فى الاجتهاد لينال فى الدنيا التعظيم والمال والجاه.

وغير ذلك من أصناف الشهوات ، الا ترى إلى انقطاع الرهبان فى الصوامع والديارات ، ومن مقاساتهم أصناف العبادات وهم مع ذلك خالدون فى جهنم ، كما وصفهم النبي ﷺ « يحقر أحدكم صلاته فى صلاته وصيامه فى صيامه » الحديث .

والمبتدع يخشى عليه الفتنة ، وقد حكى عياض عن سفيان بن عيينة رحمهما الله تعالى ، انه قال سألت مالكا انى أريد أن أحرم من مسجد الرسول ﷺ فقال لا تفعل فان هذا مخالف لله ورسوله اخشى عليك الفتنة فى الدنيا والعذاب الاليم فى الآخرة ، أما سمعت قوله تعالى ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم﴾ قال وأى فتنة فى هذا فانما هى أميال أزيدها . قال وأى فتنة أعظم من أن ترى انك سبقت الى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ . وهذه الفتنة التى ذكرها مالك رحمه الله تعالى فى تفسير الآية هى شأن أهل البدع وقاعدتهم التى يؤسسون عليها بنيانهم . فانهم يرون ان ماذكره الله تعالى فى كتابه وماسنه نبيه ﷺ دون مااهتدوا اليه بعقولهم .

وفى مثل ذلك قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه فيما روى عنه ابن وضاح لقد هديتم لمالم يهتد به نبيكم . وانكم تتمسكون بذنب ضلالة . اذ مر بقوم كان رجل يجمعهم يقول رحم الله من قال كذا وكذا مرة سبحان الله . فيقول القوم ويقول رحم الله من قال كذا وكذا مرة الحمد لله ، فيقول القوم . يعنى انه يلقن الناس التسبيح والتحميد بالكيفية التى ذكرها فعد ذلك بدعة . لان النبي ﷺ ما كان يلقن أصحابه الذكر بهذه

الكيفية . ذلك بأن الصحابة والتابعين لهم كانوا لا يتجاوزون فى الدين حد الاتباع ولو الى مستحسن فى الرأى . ويعدون من زاد فى العبادة على ماورد ولو فى الصورة والكيف مبتدعاً مفضلا نفسه على الشارع واضعاً نفسه موضع من اهتدى الى مالم يهتد اليه الرسول ﷺ فى بيان كتاب الله وتبليغ دين الله . وبيان ما يوصل الى الله .

ولما تقرر ان البدعة ضلالة . وان المبتدع ضال ومضل . ومن صفات أهل الضلالة الاختلاف والتفرق شيعاً وتفرق الطرق . كما تشهد به الآيات والاخبار . ولا تجد مبتدعاً ممن ينسب الى الملة الا وهو يستشهد على بدعته بدليل شرعى . فينزله على ما وافق عقله وشهوته . وهو امر ثابت في الحكمة الازلية التى لا مرد لها . قال الله تعالى ﴿ يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً ﴾ وقال تعالى ﴿ فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ الآية .

ثم ان بعض المفسرين وان قالوا ان المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى . ولكن لا يبعد أن يقال ان الضالين يدخل فيه كل من ضل عن الصراط المستقيم كان من هذه الامة اولا . اذ قوله تعالى ﴿ ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ عام فى كل ضال كان ضلاله كضلال الشرك اوالنفاق . أو كضلال الفرق المعدودة فى الملة الاسلامية وهو أبلغ وأعلى فى قصد حصر أهل الضلال . وهو اللائق بكلية فاتحة الكتاب والسبع المثانى .

قال ومن جملة أهل البدع والضلال هؤلاء الفقراء الذين زعموا انهم سلكوا طريق الصوفية . وقلما تجد منهم من يحسن قراءة الفاتحة فى

الصلاة الا على اللحن . فضلا عن غيرها . ولا يعرف كيف يتعبد . وكيف يعلمون ذلك وهم قد حرموا مجالس الذكر التي تغشاها الرحمة . وتنزل فيها السكينة وتحف بها الملائكة، فبانطماس هذا النور عنهم ضلوا، فاقتدوا بجهال أمثالهم وخرجوا عن الصراط المستقيم الى ان يجتمعوا ويقرأ احدهم شيئاً من القرآن يكون حسن الصوت طيب النغمة جيد التلحين تشبه قرائته الغناء المذموم ثم يذكرون الله ويرفعون اصواتهم على صوت واحد يشبه الغناء (قلت بل مثل اصوات حمر جماء نهقت نهقا كما كان هو المشاهد فى بلاد تركستان) ويزعمون ان هذا من مجالس الذكر المندوب اليها ، وكذبوا فانه لو كان حقاً لكان السلف الصالح أولى بادراكه وفهمه والعمل به والا فاين فى الكتاب أو السنة الاجتماع للذكر على صوت واحد جهراً عالياً ، وقد قال الله تعالى ﴿ أدعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ﴾ والمعتدين فى التفسير هم الرافعون أصواتهم بالدعاء ، وعن أبى موسى الاشعرى رضى الله تعالى عنه قال كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير ، فقال النبي ﷺ « اربعوا على انفسكم ، انكم لا تدعون اصم ولا غائبا ؛ انكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم ، وهذا الحديث من تمام تفسير الآية ؛ ولم يكونوا رضى الله تعالى عنهم يكبرون على صوت واحد ، ولكنه نهاهم عن رفع الصوت ليكونوا ممتثلين للآية ؛ وقد جاء عن السلف ايضاً النهى عن الاجتماع على الذكر والدعاء بالهيئة التى يجتمع عليها هؤلاء المبتدعون ، وجاء عنهم النهى عن المساجد المتخذة لذلك ؛ وهي الربط التى يسمونها بالصفة .

وفقراء الوقت قد تخيروا بايات وتميزوا باصوات، هي إلى الاعتداء أقرب منها إلى الاقتداء، وطريقتهم الى اتخاذها مأكلة وصناعة، أقرب منها إلى اعتدادها قربة وطاعة . وقد صح من حديث عرباض بن سارية رضي الله تعالى عنه قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب الحديث فقال الامام الآجرى العالم السنى ابو بكر رحمه الله تعالى، ميزوا هذا الكلام ، فانه لم يقل صرخنا من موعظة ؛ ولا طرقنا على رؤوسنا ؛ ولا ضربنا على صدورنا ، ولا زفنا ولا رقصنا ؛ كما يفعل كثير من الجهال يصرخون عند المواعظ ويزعقون ويتناوشون ، قال وهذا كله من الشيطان يلعب بهم وهذا كله بدعة وضلالة ، ويقال لمن فعل هذا ، اعلم ان النبي ﷺ أصدق الناس موعظة وانصح الناس لامته وارق الناس قلباً ، وخير الناس من جاء بعده ، ولا يشك فى ذلك عاقل ، ما صرخوا عند موعظته ولا زعقوا ولا رقصوا ولا زفنوا ، ولو كان هذا صحيحاً لكانوا احق الناس به ان يفعلوه بين يدي رسول الله ﷺ ، ولكنه بدعة وضلالة ومنكر ؛ فاعلم ذلك ولا تكن من الجاهلين الهالكين .

ومن البدع عمل جملة ممن ينتمى إلى طريقة الصوفية من تربصهم ببعض العبادات (المخترعة كختم خواجة وأورادالفتحية ودلائل الخيرات واشدهم من يلازم تلاوة قصيدة البردة) أوقاتا مخصوصة غير ما وقته الشرع فيها ، وربما وضعوا لانواع من العبادات لباساً مخصوصاً ، واشباه

ذلك من الاوضاع الفلسفية يضعونها شرعية ، أى متقرباً بها إلى الحضرة الالهية فى زعمهم ؛ وربما وضعوها على مقاصد غير شرعية ، كاهل التصريف بالاذكار والدعوات ليستجلبوا بها الدنيا من المال والجاه والحظوة ورفعة المنزلة ، بل ليقتلوا بها ان شاؤا أو يمرضوا أو يتصرفوا وفق اغراضهم . فهذه كلها بدع محدثات بعضها أشد من بعض لبعد هذه الأغراض عن المقاصد الشرعية الاسلامية الموضوعة مبرأة عن مقاصد المتخرصين ، مطهرة لمن تمسك بها عن أوضار اتباع الهوى . وهذا كله ان فرضنا أصل العبادة مشروعاً ؛ فان كان أصلها غير مشروع فهى بدعة حقيقية مركبة كالاذكار والأدعية التى يزعمون انها مبنية على علم الحروف. كما اعتنى به البونى وغيره ممن حذ احذوه أو قاربه ، وكل ذلك ضلال ، واشبه بالسحر وان ادعوا أنه كرامات .

وواضع البدعة يزعم أنه يتقرب بها إلى الله تعالى ، فهى عنده مما يلحق بالمشروعات ؛ كجعل الثانى عشر من ربيع الأول ملحقاً بايام الاعياد لانه ﷺ ولد فيه ؛ وكمن عد السماع والغناء مما يتقرب به الى الله تعالى بناءاً على أنه يجلب الاحوال السنية ، أو رغب فى الدعاء بهيئة الاجتماع في ادبار الصلوات دائماً ، أو زاد فى الشريعة أحاديث مكذوبة لينصر فى زعمه سنة محمد ﷺ ، ويقول انما كذبت له لا عليه وكل هذا بدعة وافتراء على الشريعة .

قال وانما سمى أهل البدع أهل الاهواء ، لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الادلة الشرعية مأخذ الافتقار اليها والتعويل عليها ، حتى

يصدروا عنها بل قدموا اهواءهم واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الادلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك ؛ واكثر هؤلاء هم أهل التحسين والتقبيح ومن مال إلى الفلاسفة وغيرهم ويدخل فى غمارهم من كان منهم يخشى السلاطين لنيل ما عندهم ، أو طلباً للرئاسة ؛ فلا بد أن يميل مع الناس بهواهم، يتأول عليهم فيما رأوا وأرادوا. فبذلك فسدت الامور وتغيرت الشريعة .

قال العبد الضعيف جامع هذه السطور محمد سلطان المعصومى الخجندى المهاجر المجاور الآن بمكة المكرمة انى كلما أشاهد ما فى عتبة الكعبة المشرفة من المجمرة والشموع الموقدة ضئيلة النور يتنفر عنها قلبى واحسب هذا الفعل من الدخيل. لأنى قد شاهدت فى كنائس النصارى وبيع اليهود ومعابد المجوس والبودا والبراهمة فى بلاد الروس والصين والمغل والتبت والهند وأوروبا أنهم يوقدون المجامر والشموع فى ابواب معابدهم وبين يدى صور معبوداتهم . ولهذا شبه من ذلك ، والحال ان النبى ﷺ حذرنا عن المشابهة بهم ؛ كما يوضح المسئلة حديث الاذان حين ذكر الناقوس والنار ثم بعد زمان طالعت فى كتاب الاعتصام للمحقق الشاطبى. قال ابن العربى أول من اتخذ البخور فى المسجد بنو برمك يحيى بن خالد ومحمد بن خالد كانوا باطنيته يعتقدون آراء الفلاسفة فاحيوا المجوسية واتخذا البخور فى المساجد وانما كانت تطيب بالخلوف ، فزادوا التجمير الخ ، وقال العلامة الاستاذ السيد محمد رشيد رضا فى حاشيته ؛ قال بعض المؤرخين ، ان البرامكة زينوا للرشيد وضع المجامر فى الكعبة المشرفة ليأنس المسلمون بوضع النار

فى أعظم معابدهم ، والنار معبود المجوس ، والظاهر ان البرامكة كانوا من رؤساء جمعيات المجوس السرية التي تحاول هدم الاسلام وسلطة العرب وإعادة الملك للمجوس ، وانما فتك بهم هارون الرشيد لانه وقف على دخائلهم ، قال المصوى فعلى هذا ثبت ان وضع المجمرة وإيقاد الشمع الضئيل النور على عتبة الكعبة المشرفة مما دس اعداء الاسلام فيجب على ولى الامر العامل بالسنة منع ذلك ، مع ان المشاهد ان تلك الشمعة لا تفيد نوراً ، فانتبهوا يا أولى الالباب الابصار

ان أهل البدع وأصحاب الضلالات لهم خواص وعلامات يعرفون بها ، منها الفرقة التى نبه عليها قوله تعالى ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات ، والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى الى يوم القيامة ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ﴾ قال بعض العلماء صاروا فرقا لاتباع اهوائهم ، وبمفارقة الدين تشتت أهوائهم فافترقوا ، وهو قوله تعالى ﴿ ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾ ثم برأه الله تعالى منهم بقوله ﴿ لست منهم فى شئ ﴾ وهم أصحاب البدع وأصحاب الضلالات . وقد وجدنا أصحاب رسول الله ﷺ من بعده قد اختلفوا فى احكام الدين ولم يتفرقوا ، ولا صاروا شيعاً لانهم لم يفارقوا الدين وانما اختلفوا فيما أذن لهم من الاجتهاد . والاستنباط من الكتاب والسنة فيما لم يجدوا فيه نصاً ، كاختلاف أبى بكر وعمر وعلى وزيد رضى الله تعالى عنهم فى الجد مع الأم ونحوه . فاختلفوا فيه وكانوا مع هذا أهل مودة وتناصح ، واخوة الاسلام فيما بينهم قائمة ، فلما حدثت الأهواء

المردية التى حذر منها رسول الله ﷺ وظهرت العداوات وتحزب أهلها فصاروا شيعاً . دل على انه انما حدث ذلك من المسائل المحدثة التى القاها الشيطان على افواه اوليائه .

فكل مسئلة حدثت فى الاسلام واختلف الناس فيها ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة علمنا انها من مسائل الاسلام، وكل مسئلة حدثت وطرأت فأوجبت العداوة والبغضاء والتدابر والقطيعة علمنا انها ليست من أمر الدين فى شئ . وانها التى عنى رسول الله ﷺ بتفسير الآية . وذلك ما روى عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله ﷺ يا عائشة « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً » من هم ، قلت الله ورسوله اعلم ؛ قال هم اصحاب الاهواء واصحاب البدع واصحاب الضلالة من هذه الامة الحديث ؛ قال فيجب على كل ذى عقل ودين ان يجتنبها ، والاسلام يدعو إلى الالفة والتحاب والتراحم والتعاطف ، فكل رأى ادى إلى خلاف ذلك فخارج عن الدين .

ومن خواص أهل البدع والضلالات ما نبه عليه قوله تعالى ﴿فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه﴾ الآية فبينت الآية ان أهل الزيغ يتبعون متشابهات القرآن ، ومعنى المتشابه ما اشكل معناه ؛ ولم يبين مغزاه ومن علاماتهم اتباع الهوى ؛ وهو الذى نبه عليه قوله تعالى ﴿فاما الذين فى قلوبهم زيغ﴾ والزيغ هو الميل عن الحق اتباعا للهوى ، وكذلك قوله تعالى ﴿ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله﴾

افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم) وقد قررنا ان اصل الضلال وحدوث الفرق انما هو الجهل بمواقع السنة .

قال الامام مالك رحمه الله تعالى ان العبد لوارتكب جميع الكبائر بعد ان لا يشرك بالله شيئا وجبت له ارفع المنازل لان كل ذنب بين العبد وربه هو منه على رجاء . وصاحب البدعة ليس هو منها على رجاء ، انما يهوى به فى نار جهنم لكونه اعتقد بيدعته خيراً وثوابا . انتهى ماخصا .

قال العلامة البركوى محمد بن بير على الرومى الحنفى فى كتابه الطريقة المحمدية ، بعد ما ذكر الاحاديث الواردة فى ذم البدعة وضررها ، ان للبدعة معنى لغوى عام وهو المحدث مطلقا عادة اوعبادة ، ومعنى شرعى خاص هو الزيادة فى الدين أو النقصان منه الحادثان بعد الصحابة بغير اذن من الشارع لاقولا ولافعلا ولا صريحا ولا اشارة ، فلا يتناول العادات أصلا ، بل تقصر على الاعتقادات والعبادات ، فهذه هى مراده ﷺ بدليل قوله ﷺ « فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، ومن احدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وقوله ﷺ « أنتم اعلم بامور دنيا كم » والبدعة فى الاعتقاد هى المتبادرة من اطلاق البدعة والبدعة فى الاعتقاد هى اكبر من كل كبيرة فى العمل حتى القتل والزنا والبدعة فى العبادة وان كانت دونها لكنها ايضا منكر وضلال ، لاسيما اذا صادمت سنة مؤكدة . واما البدعة فى العادة كالمنخل فليس فعلها ضلالة ، بل تركها اولى . فظهر ان البدعة ثلاثة اصناف مرتبة فى القبح . ثم

ان فعل البدعة اشد ضرراً من ترك السنة ، لان الفقهاء قالوا اذا تردد في شيء بين كونه سنة أو بدعة فتركه لازم .

فان قيل ان ما سبق قد دل على ان الكتاب والسنة كافيان في أمر الدين ، وان ما لم يثبت باحدهما بدعة وضلالة ، فكيف يستقيم قول الفقهاء الادلة الشرعية اربعة ، وقلنا لابد للاجماع من سند من احدهما حالا ومالا على الصحيح ، والقياس من اصل ثابت باحدهما ، وانه مظهر لا مثبت ، ثم رجع الاحكام ومثبتها الإثنان في الحقيقة ، فظهر من هذا أن ما يدعيه بعض المتصوفة في زماننا إذا أنكر عليهم بعض أمورهم المخالف للشرع الشريف ان حرمة ذلك في العلم الظاهر وأنا أصحاب العلم الباطن وانه حلال فيه ، وأنكم تأخذون من الكتاب وانا نأخذ من صاحبه محمد ﷺ ، وذلك كله من الترهات والحاد وضلال ، ويجب على كل من سمعه من المؤمنين الانكار على قائله ، والجزم ببطلان مقاله بلا شك ولا تردد والا فهو من جملتهم ، فيحكم بالزندقة عليهم .

ومن الامور المبتدعة الباطلة التي اكب الناس عليها على ظن انها قرب وطاعات استئجار القارىء لتلاوة القرآن ووقف النقود عليها والامر باعطاء ثوابها الى أرواح من يريد الآمر والوصية بذلك ، فكل هذا باطل وضلال ، وقال عطاء الله السكندري في حكمه أن من علامة اتباع الهوى الاهتمام والانهماك في نوافل العبادات مع التساهل في الفرائض والواجبات ، وكذا نقله النازلي في آخر كتابه خزينه الاسرار .

قال العبد الضعيف وقد صرح العلماء بان الالهام ليس من أسباب المعرفة

بالاحكام ، وفى العقيدة النسفية والالهام ليس من أسباب معرفة الحق بشيء عند أهل الحق ، وكذلك الرؤيا فى المنام خصوصاً اذا خالفا كتاب العليم العلام ، أو سنة محمد عليه الصلاة والسلام ، وقد قال سيد الطائفة الصوفية جنيد البغدادي رحمه الله تعالى الطرق كلها مسدودة إلا علىٰ من اقتفى أثر الرسول ﷺ ، وقال من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لايقتدى به فى هذا الامر لان علمنا ومذهبنا هذا مقيد بالكتاب والسنة .

وقال ابو يزيد البسطامى رحمه الله تعالى ، لو نظرتم الى رجل أعطى من الكرامات حتى تربع فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهى وحفظ الحدود . الخ .

قال العبد الضعيف محمد سلطان المعصومى عافاه الله تعالى ، وإنما طولت الكلام فى شأن أهل الضلال وصفاتهم لكثرة شعوبهم وتشتت سبلهم وتفرق مذاهبهم ليعرفوا فيحترزوا ؛ لان من عرف السم اجتنب ومن جهل ربما وقع فيه فهلك ؛ كما دلت عليه الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وشهدت التجربة فنسألك اللهم أن توفقنا إلى صراطك المستقيم الذى وفقت له أنبيائك وعبادك الصالحين ؛ واحفظنا ياربنا عن الوقوع فيما وقع فيه الذين غضبت عليهم وعما وقع فيه أهل الضلال . آمين .

الخاتمة فى (آمين)

قال الحافظ العماد ابن كثير فى تفسيره يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها آمين مثل يسين ، ويقال امين بالقصر أيضا ، ومعناه اللهم استجب ، والدليل على استحباب التأمين مارواه الامام احمد وابو داود والترمذى عن وائل بن حجر رضى الله تعالى عنه قال سمعت النبى ﷺ قرأ ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فقال آمين . مد بها صوته ، ولابى داود رفع بها صوته ، وقال الترمذى هذا حديث حسن ، وروى عن على وابن مسعود وغيرهما رضى الله تعالى عنهم وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال كان رسول الله ﷺ اذا تلا ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ قال آمين حتى يسمع من يليه من الصف الاول ؛ رواه ابو داود ، وابن ماجه ، وزاد فيه فيرتج بها المسجد قال الدارقطنى هذا اسناد حسن .

ونقل ابو نصر القشيرى عن الحسن وجعفر الصادق رحمهما الله تعالى انهما شددا الميم من آمين مثل ﴿ آمين البيت الحرام ﴾ قال الشوكانى فى نيل الاوطار خطاء جماعة هذه الرواية ، قال إصحابنا وغيرهم ويستحب ذلك لمن هو خارج الصلاة ، ويتأكد فى حق المصلى ، وسواء كان منفرداً أو إماما أو مأموماً وجميع الاحوال ، لما جاء فى الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ « قال اذا أمن الامام فامنوا ، فانه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ماتقدم من ذنبه » وفى مسلم عن أبى موسى رضى الله تعالى عنه مرفوعا اذا قال ؛ يعنى الامام ﴿ ولا

الضالين ﴾ فقولوا (آمين يجبكم الله) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قلت يا رسول الله ما معنى آمين ، قال رب افعل ، قال الجوهرى معنى آمين كذلك فليكن وقال الترمذى معناه لا تخيب رجاءنا ؛ وقال الاكثرون معناه اللهم استجب لنا ، وحكى القرطبى عن مجاهد وجعفر الصادق وهلال بن يساف رحمهم الله تعالى ، ان آمين اسم من أسماء الله تعالى ، وروى ابن مردويه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول ﷺ قال (آمين خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين) وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ إعطيت آمين فى الصلاة وعند الدعاء لم يعط أحد قبلى الا أن يكون موسى ، كان موسى يدعو وهارون يؤمن فاختموا الدعاء بآمين فان الله يستجيب لكم ، فآمين هارون نزل منزلة من دعا لقوله تعالى ﴿ قد أجيبت دعوتكما ﴾ فلهذا قال من قال ان المأموم لا يقرأ لان تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها ، ولهذا جاء فى الحديث « من كان له إمام فقراءة الامام له قراءة » رواه احمد فى مسنده الخ .

قال الامام محى السنة البغوى فى تفسيره ، والسنة للقارىء أن يقول بعد فراغه من قراءة الفاتحة آمين مفصولا عن الفاتحة بسكتته وهو مخفف ويجوز ممدوداً ومقصوراً ؛ ومعناه اللهم اسمع واستجب وقيل هو طابع الدعاء ، وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع به الآفات عنهم كخاتم الكتاب يمنعه من الفساد وظهور ما فيه الخ .

قال العلامة البيضاوى فى تفسيره ، آمين اسم الفعل الذى هو استجب ، وليس من القرآن وفاقا ، ولكن يسن ختم السورة به لقوله

ﷺ علمنى جبريل آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة ؛ وقال انه كالختم على الكتاب ، و فى معناه قول على رضى الله تعالى عنه آمين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده . الخ .

وقال شيخ الاسلام برهان الدين على المرغينانى فى الهداية . آمين المد والقصر فيه وجهان ، والتشديد فيه خطأ فاحش .

قال العبد الضعيف الغريب المهاجر و فى حرم الله المجاور محمد سلطان المعصومى ، فنحمدك اللهم وأنت رب العالمين الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . فاياك نعبد و إياك نستعين . واهدنا الصراط المستقيم الذى أنعمته على عبادك الصالحين من الانبياء والصديقين وعبادك المؤمنين ؛ وأدم لنا التوفيق للقيام بذلك ، واحفظنا ياربنا عن صراط المغضوب عليهم وطرائق الضالين من المشركين والمنافقين والكافرين والزنادقة والملحدين والائمة الدجالين المضلين وشياطين الانس والجن أجمعين ؛ وأسألك اللهم ياربنا أن تجعل هذا التأليف خالصاً لوجهك الكريم ، وان تنفع به عبادك المؤمنين ، وأن تهدى به الضالين ، فتجعله ذكراً لى عندك وذخراً ليوم الدين ، يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم ؛ يارب ان العبد الغريب المسكين ، البعيد عن الاولاد والاقارب والاهل ومن المنكوبين ، الملتجى إلى بابك فى جوار بيتك المعظم ، فاحفظ اللهم اولادى الذين تركتهم فى بلاد ما وراء النهر من خجندة والصين ، ويسر لهم الطريق وأوصلهم إلى حرمك وحرم رسولك ياأكرم الاكرمين و يا أرحم الراحمين ، ويامجيب

السائلين ، و يامجير من استجارك يارب العالمين ، يارب تبت اليك فهب لي نوراً من انوارك ، وعلماً نافعاً ورزقاً حلالا طيباواسعاً ، ولا تحوجني إلى غيرك ، وأغنني بفضلك عمن سواك ، وارزقني الحسنى واختم عمري بلا إله إلا الله خالصاً ومخلصاً ، فاني لا أعبد إلا إياك ، ولا أستعين الا بك ، ولا التجئ الا اليك ، وانا العبد العاجز المسكين لديك .

هذا آخر ما أردت تحريره مما التقطته من مقالات السلف الصالحين المتعلقة بتفسير فاتحة الكتاب حسب فهمي القاصر وعقلي الفاتر ، ولعل ماتركته اكثر مما ذكرت ، فالله حسبي وعليه اعتمادي في مبدئي ومعادي ، وآخر دعوانا سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وكان ذلك ضحوة يوم الاحد الرابع عشر من شهر صفر عام (١٣٥٦) هـ . المطابق ٢٥ من شهر ابريل (١٩٣٧) م . في مكة المكرمة في مسكني في رباط خجند الكائن في أول زقاق البخارية من محلة المسفلة قريبا من مسجد الحرام بقلم جامعه العبد الضعيف الغريب المهاجر المجاور بهذا البلد الامين محمد سلطان المعصومي الخجندي ثم المكي المدرس بالمسجد الحرام ومدرسة دار الحديث المكية . تم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وفقنا لخدمة العلم ونشره من منذ عنفوان الشباب الى آخر شيبه والصلاة والسلام على رسول الله الذى بلغ الينا عن الله تعالى ما يحبه من دينه وشرعه ورضى الله تعالى عن صحابته وعلماء دينه الذين بلغوا الينا ما ثبت عنه ﷺ من قوله وفعله وتقريره بأسانيد متصلة وطرق صحيحة بايضاح سبله وإزالة خفائه .

أما بعد فقد وفقنى الله تعالى لطبع تفسيرى لأم القرآن الذى سميته (أوضح البرهان فى تفسير أم القرآن) فى مطبعة أم القرى الكائنة فى مكة المكرمة بنفقة (الملك المعظم مالك المملكة العربية السعودية) ﴿ عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ﴾ وفقه الله تعالى لما فيه رضاه . فجاء بعون الله تعالى على أحسن شكل وأجمل حرف وقد كنت طبعت قبل هذا مقدمة لهذا التفسير وكنت سميتها (مختصر ترجمة حال محمد سلطان الذى كتبه مقدمة لتفسير أم القرآن) وكانت جزءاً من رسالتى (حكم الله الواحد الصمد فى حكم الطالب من الميت المدد) وكان طبعها فى مصر فى مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بتاريخ ٢ / ٥ / ١٣٥٥ واكتفينا بهذا عن إعادة طبعها هنا فمن أراد الوقوف على تلك المقدمة فعليه بها فانها نافعة ومفيدة وصادرة عن تجارب صحيحة وهى توجد عند المؤلف بكمية وافرة أسأل الله تعالى أن يجعل مؤلفاتى خالصة لوجهه الكريم وسبباً للفوز الى جنات النعيم وأن ينفع بها العباد فى عامة البلاد آمين .

وللمؤلف مؤلفات أخرى يريد طبعها ونشرها ان يسر الله تعالى مؤنة الطبع بحول الله تعالى وقوته وهاك بيانها .

(١) « حبل الشرع المتين وعروة الدين المبين » مرتب على المواد وعددها الف مادة كل واحدة منها مثبتة بالآيات والاحاديث والآثار .

(٢) « القول السديد فى تفسير سورة الحديد » باللغة التركية الازبكية قد بين فيه مافيه سعادة الدنيا والآخرة .

(٣) « رفع التشكيك عن مظالم البلشفيك . اومن البولشوفيك وما البولشوفيزيم » قد بين فيه ما شاهده بعينه ما فعلته البلاشفة من الظلم والعدوان والتدمير والتخريب .

(٤) « تحفة الخواص فى تفسير آية الكرسى والاخلاص » وهى باللغة التركية الازبكية . وغيرها من المجموعات .



فهرست

اوضح البرهان

بيان الخطأ والصواب

الواقع في طبعة (اوضح البرهان)

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٤	٧	ادراك	أدران	٥١	١٤	ائمة	الائمة
٥	١٩	غرمامون	غرامافون	٦٢	٩	يؤخذ لهم	يؤخذ بقولهم
٨	١٧	تعالى	تعالى عنه	٦٤	١	الصائين	الصابئين
٩	١٦	تعال	تعالى	٦٥	١	كال	كمال
١٢	١٤	ان	أنا	٦٦	١١	المغضب	المعضب
١٥	٢	ازقنا	ارزقنا	٦٩	١٩	فخنقة	فخنقه
٠٠	١٧	الحيلة	الحلية	٧١	١	قذ	قد
١٦	٣	الخوارجة	الخواجة	٧٢	١	مرادتهم	مراداتهم
١٧	٧	اثبات	اتيان	٧٧	١٤	رسوله	رسول
٢٣	١٠	ان نكون	انا نكون	٠٠	١٧	الزهاوى	الرهاوى
٢٥	٨	والقدرة	والقدر	٧٨	٩	يفتتح	نفتتح
٢٧	١٠	غيرها	غيرها	٨٧	١٦	أتتركون	لم تتركون
٣١	١	لا يظنون	ألا يظنون	٩٣	٢	من حمد	حق حمده
٠٠	٧	الحق	الخالق	٠٠	١٠	الرجان	المرجان
٠٠	١٧	البلياب	البليات	٩٥	٢	ابرهيم	ابراهيم
٠٠	٢٠	بالجلة وانهم	وبالجلة انهم	٩٦	١١	قلت	قلت أنا
٣٥	١٢	الغررر	الغرور	١٠٢	٢	نجذب	تجذب
٣٣	٠٠	كتابه	كتابه جلاء الافهام	١٠٦	١٠	بيمينه	بيمينه
٣٦	٢٠	الاتصاف	الاتساق	١٠٨	٤	الاقسام	الاسقام
٣٨	٢٠	يمنع	يمتنع	١١٣	١١	دور	دوراً

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١١٧	٧	ادرك	ادراك
١١٨	٢٠	الاستدلال	والاستدلال
١٢٨	٤	الا الله	الاالله
٠٠٠	٩	كونو	كونوا
١٢٨	١٠	ان امر	ان اسر
١٢٩	١١	عبدهم	نعبدهم
١٣٣	٥	من	وفي
١٣٤	٦	أنتبئون	أتنبئون
١٣٥	١١	انواط	انواط كما لهم ذات انواط
١٣٨	١٠	واحشون	واخشوني ان كنتم مؤمنين
١٤٣	١٨	انبيانهم	انبيائهم
١٤٧	٣	بمقه	بمقد
١٤٨	١٤	بمنزلنه	بمنزلة
١٤٩	١٨	ولى	تعالى
١٥٢	١٠	الثلائة	الثلاثة
١٥٥	٦	وتع	وقع
١٥٨	٩	وكل له نذر	وكله نذر
١٦٠	٢	بدنات	بينات
١٦٢	١	والكفر وعا	والكفر عا
١٦٤	١٣	يا بيرم	يا پيرم
١٦٥	٥	و الرجاء	والرخاء
٠٠٠	٧	وجمبع	وجميع
١٧٣	١	عينه	عليه
١٧٦	٢٠	وللانبياء الموتى	للانبياء والموتي
١٧٧	١٩	تميمية	تيمية
١٧٨	١٠	عالى	تعالى
١٧٩	٩	الاحول	الاحوال
١٨٠	٤	دواءه	دواؤه
٠٠٠	٥	وعبادة	وعبادته
١٨١	٦	تيمة	تيمية
٠٠٠	١٣	مفاسده	مفاسدها
١٨٤	٤	وا كثر	وا كثر
١٨٣	٦	و يستمد	وتستمد
١٨٧	٧	مضمودة	مضمومة
١٨٨	٩	سجدة	كسجدة
١٩٠	٥	المخلوق	لمخلوق
١٩١	٤	لحج	الحج
٠٠٠	١٤	طائف	طائفة
٠٠٠	١٥	وادعا	دادعا
٠٠٠	١٧	لمسلمين	المسلمين
٠٠٠	١٨	وفي الحجة البالغة	وفي حجة الله البالغة
١٩٢	١١	اعبدو	اعبدوا
١٩٣	١٦	برحمتك	برحمتك
١٩٦	١٠	اشعرون	يشعرون
١٩٨	٢١	نه	انه
٢٠٠	٢٠	منك	منكم
٢٠٦	١٦	يميت	يميت

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٠٧	١٠	واتقرب	والتقرب	٢٣٤	١٧	والامانة	والاماتة
٢٠٨	٣	ذلك	ذلك	٢٣٩	١٥	فى رفع	في دفع
٠٠٠	١٨	زماننا	اهل زماننا	٢٤١	١٨	المسرين	المفسرين
٢١٠	١١	يبين	يبين	٢٤٢	٤	واسطة	من واسطة
٢١٢	١١	الاخلاص	الاخلاص و	٢٤٣	٧	الحوائج	الجوائح
٠٠٠	١٣	الكافرون	الكافرون و	٢٤٥	١	الاختراع	لاختراع
٢١٣	١٤	من دنياهم	فى دنياهم	٠٠٠	٢٠	امراضه اوحية	امراضه الروحيه
٢١٤	٥	ويدعون	ويدعون	٢٤٧	١٣	المقصود	القصور
٠٠٠	١٩	المروف	المروف	٢٤٨	١٤	هو	وهو
٢١٧	٢	معصية	مصيبة	٠٠٠	٢٠	ق	الق
٠٠٠	٠	يعلمون	يعلمون الغيب	٢٤٩	٤	المدرك القوى	المدرك قوي
٢١٨	٩	وهو صاحب	هو صاحب	٠٠٠	٢٠	فية	فيه
٢١٩	١٩	لابن	الشيخ محمد بن	٢٥٢	١٣	تنحقق	تتحقق
٠٠٠	٢٠	متفرد	متفرد	٠٠٠	١٦	من كان	ماكان
٢٢٢	١٨	من الشرك	فى الشرك	٢٥٦	٥	ان الذى	ان الذين
٢٢٦	١٢	طلق الشرك	أطلق الشرك	٢٥٨	١٣	النزعات	النزغات
٢٢٧	١٠	فان من	فاما من	٠٠٠	١٩	المكات	الملكات
٢٢٩	١	يقرب	يتقرب	٠٠٠	٢٠	لانزكى	لاتتزكي
٠٠٠	١٦	المضره ضرود	المفرد مظهراً	٢٦٤	٢	الذى يغشاه	الذي يغشاه
٢٣٠	٩	التفريع	التفريغ	٠٠٠	٥	والهياكل	الهياكل
			ويدخل فيه	٠٠٠	١١	اعرضة	عرضة
٠٠٠	١٢		خوف الله	٠٠٠	١٥	من دون	من دون الله
		وينفى	تعالى وينفى	٢٦٦	١٧	يعصي الله	يعص الله
٠٠٠	٢٠	لاتفارقون	لاتفارقوا	٢٧١	١	كما كان يأمر	كان يأمر

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٧٢	٥	فلما كمت	فلما كنت
٠٠٠	١٠	امتست	أسست
٠٠٠	١٤	ويمنن	ويمتن
٠٠٠	١٦	كالنخاذ	كاتخاذ
٢٧٣	١	رجالهم	رجال هم
٠٠٠	٢	عادلى	عادلا
٠٠٠	٤	آذان	اذاناً
٠٠٠	٥	وافهام	وافهاماً
٠٠٠	١٤	والتقحيق	والتحقيق
٠٠٠	٠٠	الارب	الارباب
٠٠٠	١٦	الحكمية	الحكيمة
٢٧٤	١٣	برجائه	ورجاه
٠٠٠	١٥	اوسجد له له	او سجد له
٢٧٥	٦	لكلمات	ككلمات
٢٧٨	١	يأفكم	يفككم
٢٨٢	١٠	زامير	المزامير
٢٨٦	٢٠	من طريق	من غير طريق
٢٨٧	٧	لكونهما	لكونها
٠٠٠	١٤	على الهبة	على الآلهة
٢٩١	٤	سؤال الهداية	سؤال الله الهداية
٢٩٣	٩	الموصل	الموصلة
٠٠٠	٢٠	الداء	الدواء

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٩٤	٨	وداء الكبر	ودواء الكبر
٣٠٦	٧	ولم ينقل	ولم ينقد
٠٠٠	٢٠	اذا لزم	اذا الزم
٣٠٨	٢	من محبة استبشارهم	من استبشارهم
٠٠٠	١١	هذا هو القدر	وهذا القدر هو الذى
٣٠٩	١٨	تعملون	تعبدون
٣١٢	٤	وشئث	وشئت
٣١٣	٥	سؤاله	وسؤله
٠٠٠	٠	انما السبب	وانما السبب
٣١٥	٤	بلفظ	بلطف
٠٠٠	٦	الاطفال	للاطفال
٠٠٠	٨	مايصل الى الشدى	مايصل الثدى الى فيه
٠٠٠	٠	ياهم امتصاصه	باهم التقامه وامتصاصه
٣١٦	٢	يصح	يصحح
٣١٧	١٤	مايؤذى	مايؤدى
٣٢٠	٥	واجعلنا له	وجعلناه
٣٢٢	١٤	وازدياره	ازدياده
٣٢٥	٥	الربع	الرابع
٣٢٦	٨	لم يهدى	لم يهد
٣٢٧	٢	وكذبو	كذبوا
٣٢٨	٢٠	تركها	فى تركها

صحيفة	سطر	خطأ	صواب	صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٠٠٠	٠	وهو الوسط	هو الوسط	٣٥٤	٧	الفانحة	الفاتحة
٣٢٩	٦	ضللوا	ضلوا	٣٥٧	٦	وهم الدين الذين	وهم الذين
٠٠٠	٨	كاكثر	وكأكثر	٣٥٨	٤	عذاب عظيم	
٠٠٠	٩	مجتمعا	مجتمعاً	٣٦٢	١٦	يصدون	ويصدون
٣٣٢	٦	الزيع	الزيغ	٣٦٣	٢	اوالسدنة	او السدنة
٣٣٣	١	روايةالموضوع	وروايةالموضوع	٠٠٠	٠	الجاورين	والجاورين
٠٠٠	١١	والسراج	واسراج	٣٧١	١٣	كناب	كتاب
٠٠٠	١٢	والغفائية	الغذائية	٠٠٠	١٨	ونتكر	وتفكر
٣٣٦	١٢	وصول	اصول	٣٧٢	٥	تعنهم	منهم
٣٤٠	٤	لامانانهم	لاماناتهم	٣٧٥	١٣	باليت	بالبيت
٣٤٧	١١	العبادة	العباد	٣٧٩	١٤	اريعوا	اربعوا
٣٤٨	١٩	ولايدبرون	ولايتدابرون	٣٩٥	١١	والنغلة	الغفلة
٣٥٠	٥	فيتفغر	فينفجر	٣٩٧	٤	يتاحي	يناجي
٣٥١	٦	الادرك	الادراك	٠٠٠	١٦	الالاعلى	لاعلى
٠٠٠	٧	وتطرب	وتضطرب	٣٩٩	١٥	التلحيل	التحليل
٠٠٠	٩	المملامات	الملامات				

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى وفقنى لتأليف كتابى « أوضح البرهان فى تفسير أم القرآن » ثم بعد ان اتممت تشبثت لطبعه ونشره بين الاخوان من اهل الايمان وكانت بضاعتى قاصرة عن مؤنة الطبع لكونى غريباً مهاجراً شارداً عن بلادى الظالم اهلها صفر اليدين .

ومع ذلك كنت لا أقطع رجائى عن اتمام ماقصدت فعرضته على محى السنة وناصرها وقامع البدعة الملك المعظم ملك المملكة العربية السعودية عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود أيده الله تعالى. فامر بطبعه على نفقته زاده الله تعالى توفيقاً ونصراً للسنة

فشرعت المطبعة الاميرية أم القرى فى الطبع وانا باشرت تصحيح البروفات بعون الله وحوله فتم بفضل الله تحت اشرافى على أحسن ورق وحرف وترتيب ووضعت الفهرست و بيان الخطأ الواقع فيه والصواب فكل من يطالع الكتاب لابد ان يلاحظ ذلك و يصحح لان الخطأ والنسيان من خصائص الانسان وانى اسأل الله تعالى ان يؤيد الملك المعظم بنصره وان ينفع بهذا الكتاب عامة المسلمين شرقا وغربا آمين وكان ذلك فى الرابع من شهر رمضان عام ١٣٥٧

كتبه عبد ربه واسير ذنبه ابوعبد الكريم محمد
سلطان المعصومي الخجندى المدرس
بالمسجد الحرام ودار الحديث المكية